

أَجُودُ الْبَيَانِ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

المجلد السابع

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِيْسِيْنَ وَزُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

بيان في شأن أخلاق اليهود والنصارى والمشركين مع المؤمنين ودينهم.

﴿لَ﴾ لام القسم، تأكيد.

﴿تَجِدَنَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير «أنت». خطاباً للرسول الأعظم ﷺ أو

لكل قارئ. والوجدان هنا أعم من القلبي والحي.

﴿نَ﴾ نون تأكيد الثقيلة. ﴿أَشَدَّ﴾ مفعول به أول.

﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَدَاوَةً﴾ تمييز نسبة ﴿أَشَدَّ﴾ إلى ﴿النَّاسِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَدَاوَةً﴾. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿الْيَهُودَ﴾ مفعول به ثان. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، معطوف على ﴿الْيَهُودَ﴾.

﴿أَشْرَكُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «ذكر المشركين مع اليهود لمناسبة اجتماع الفريقين على عداوة المسلمين، فقد أُلّف بين اليهود والمشركين بـبُغض الإسلام؛ فاليهود للحسد على مجيء النبوءة من غيرهم، والمشركون للحسد على أن سبقهم المسلمون بالاهتداء إلى الدين الحقّ ونبذ الباطل»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا﴾ الجملة معطوفة على

الجملة الماضية وتعرب إعرابها. «المودة هي المحبة إذا كان معها ميل الطباع»^٢.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿نَصَرَيْ﴾ خبره. والجملة ﴿إِنَّا نَصَرَيْ﴾ مقول القول. أي إنهم يدعون أنهم

أنصار الله تعالى كما نقل عنهم: ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾^٣.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿بِ﴾ حرف جرّ، للسببية.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.

﴿مِنْهُمْ﴾ جارٍ ومجرور، خبر مقدم ﴿أَنَّ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿نَصَرَيْ﴾.

﴿قَسَيْسِينَ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾ المؤخر. جمع قسيس أو قسّ وهو عالم دين النصرانية

وكتبها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿زُهَبَانًا﴾ معطوف على ﴿قَسَيْسِينَ﴾. جمع راهب. وهو المنقطع في دير أو

صومعة للعبادة في النصارى.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٨٣.

٢. التبيان ٣/ ٦١٥.

٣. سورة الصف / ١٤.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى ﴿نَصْرَى﴾ أو إلى ﴿فَيَسِيرِينَ وَرُهْبَانًا﴾ والثاني أظهر لكونه أقرب.
﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله في محل نصب اسم ﴿أَنَّهُمْ﴾.

لطيفة: مَنْ هم أقرب مودة للمؤمنين؟

«وكثيراً ما يستشهد بهذه الآية على أن دين النصارى أقرب إلى الإسلام من دين اليهود... وهذا خطأ إن أريد دين اليهود والنصارى قبل التحريف، لأن الدين عند الله وأنبيائه واحد من حيث العقيدة وأصولها، وإن أريد دينها بعد التحريف فهذا فيه سواء: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾^١.

والصحيح ان عداوة اليهود والمشركين تتصل اتصالاً وثيقاً بالتصادم بين طبيعة الدعوة الإسلامية، وطبيعة النظام الذي كان سائداً في جزيرة العرب أول البعثة... كان هذا النظام يقوم على أساس التسابق لاقتناء المال والعبود عن طريق السلب والنهب، والربا والغش، وما إليه من أسباب القهر والمكر، وقد انعكست طبيعة هذا النظام على الكبار من مشركي مكة الذين كانوا يسيطرون على التجارة الخارجية، كما انعكست على زعماء اليهود في المدينة الذين كانوا يسيطرون على الصناعة والتجارة الداخلية.

وانطلقت دعوة محمد ﷺ تنادي بالعدل، وترفض الظلم والاستغلال بشتى صورته وأشكاله، وتصدت للمستغلين من اليهود والمشركين بالذات، وعلى هذا الصعيد التقت مصلحة الطرفين، وتحالفوا على ما بينهما من التباعد في الدين والعقيدة،

١. سورة آل عمران / ١٩.

تحالفوا وتكاتفوا يداً واحدة على حرب محمد ﷺ العدو المشترك... وبهذا نجد تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾. وبتعبير أوضح ان عداوة اليهود والمشركين للمسلمين كانت بدافع دينوي، لا بدافع ديني، ولكن تستر اليهود باسم الدين رياءً ونفاقاً، تماماً كما يفعل اليوم أصحاب الكسب غيرا لمشروع... هذا، إلى أن كلاً من اليهود والمشركين يشتركون في العصبية الجنسية، والحمية القومية... ولكن مشركي العرب كانوا على جاهليتهم أرق قلباً، وأكرم يداً، وأكثر حرية في الفكر، ومن هنا آمن أكثرهم برسول الله ﷺ، وما آمن به من اليهود إلا قليل.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾. يتخذ البعض من هذه الآية وما بعدها مادة للتصويه بأن القرآن الكريم يرجح أحد المعسكرين المتطاحنين - في أيامنا هذه - على المعسكر الآخر... وهذا ما يدعوننا إلى أن نشرح هذه الآيات الأربع، ونوضحها بما لا يترك مجالاً لاستغلال الانتهازيين والمنحرفين.

ان من تأمل هذه الآيات لا يعتريه أدنى ريب بأنها متكاملة يتم بعضها بعضاً، وانه لا يصح بحال أن تُفسر واحدة منها مستقلة عن أخواتها، وانها صريحة واضحة في ان الله سبحانه لم يفاضل بين النصارى على وجه العموم، وبين غيرهم من الطوائف في البعد أو القرب من المسلمين، وإنما أراد سبحانه فئة خاصة من النصارى بدليل انه تعالى لم يفق عند القول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ بل عقبه بقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمِّ مِمَّا عَرَفُوا مِنَّ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^١. ومعنى هذا ان من النصارى من

عرفوا الإسلام، ودخلوا فيه طوعاً، وعن قناعة وإيمان، والتاريخ يثبت ذلك، كما شهد التاريخ أيضاً بالأحقاد الصليبية على الإسلام والمسلمين، وبإبادتهم من الأندلس، وبفظائع الايطاليين في طرابلس الغرب، والفرنسيين في الجزائر وتونس والمغرب وسورية، وبفظائع الانكليز في مصر والعراق والسودان وغيرها... واليوم تتحالف الولايات المتحدة مع اليهود على إبادة شعب فلسطين، وتسليح هؤلاء القراصنة بأحدث الأسلحة فيعتدون، ثم يزعمون انهم المعتدى عليهم فتدعم الولايات المتحدة هذا الزعم، وتذب عنه بحماس في مجلس الأمن وهيئة الأمم، ويهاجم اليهود ويبطشون، ثم يدعون انهم معرضون للبطش والهجوم، وتقول الولايات المتحدة: نعم هذا هو الصدق والعدل... فهل بعد هذا، وكثير غير هذا يقال: ان النصرارى، كل النصرارى أقرب الناس مودة للمسلمين؟ ان مثل هذا لا يفوه به إلا جاهل أو مظلّم^١.

شأن نزولها

قال القمي: كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب عليه السلام أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين، حتى ركبوا البحر.

فلما بلغ قريش خروجهم، بعثوا «عمرو بن العاص» و «عمارة بن الوليد» إلى النجاشي ليردّهم إليهم، وكان عمرو وعمارة متعادين، فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعادين؟! فبرئت بنو مخزوم من جنابة عمارة، وبرئت بنو سهم من جنابة عمرو بن العاص، فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً مترفاً، وأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر؛

١. التفسير الكاشف ٣/ (١١٦-١١٤).

فقال عمارة لعمر بن العاص: قل لأهلك تقبلني!
فقال عمرو: أيجوز هذا سبحان الله؟! فسكت عمارة، فلما انتشى عمرو، وكان
على صدر السفينة، دفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبَّث عمرو بصدر السفينة، فأدركوه
وأخرجوه، فوردوا على النجاشي؛
وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن
قوماً منا خالفونا في ديننا وسبوا أهلكنا، وصاروا إليك، فردّهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر فجاء، فقال: يا جعفر! ما يقول هؤلاء؟
فقال جعفر عليه السلام: أيها الملك، وما يقولون؟ قال: يسألون أن أردّكم إليهم.
قال: أيها الملك، سلهم أعييد نحن لهم؟ فقال عمرو: لا، بل أحرار كرام.
قال: فسلمهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ فقال: لا، ما لنا عليكم ديون.
قال: فلکم في أعناقنا دماء تطالبوننا بذحول؟ قال عمرو بن العاص: لا.
قال: فما تريدون منّا؟! أذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، خالفونا في ديننا، وسبوا أهلكنا، وأفسدوا
شبابنا، وفرّقوا جماعتنا، فردّهم إلينا لنجمع أمرنا.
فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنّه بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد،
وترك الإستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور، وسفك
الدماء بغير حقّها، والزنا، والربا، والميتة، والدم [ولحم الخنزير] وأمرنا بالعدل
والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، ثمّ قال النجاشي: يا جعفر
هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيك شيئاً؟ قال: نعم. فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى
قوله: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ نُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا * فَكُلْ وَأَشْرَبْ وَفَرِّ عَيْنًا﴾^١.

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بشدة، وقال: هذا - والله - هو الحق.
فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن هذا مخالفنا فردّه إلينا.
فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت، والله يا هذا لئن
ذكرته بسوء لأفقدنك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول:
إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له. وكانت على رأس النجاشي
وصيفة له تذبّ عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد، وكان فتى جميلاً فأحبتّه!
فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله، قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك!
فراسلها فأجابته، فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب الملك شيئاً.

فقال لها، فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، وكان الذي فعل به عمارة
في قلبه حين ألقاه في البحر، فأدخل الطيب على النجاشي، فقال:
أيها الملك، إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا [عظيمة] وما يلزمنا إذ دخلنا
بلادنا ونأمن فيها أن لا نغشّه ولا نرهبه، وإنّ صاحبي هذا الذي معي قد راسل حرمتك
وخدعها، وبعثت إليه من طيبك! ثم وضع الطيب بين يديه. فغضب النجاشي وهمّ
بقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله فإنهم دخلوا بلادي بأمان.

فدعا النجاشي السحرة، فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشدّ عليه من القتل.
فأخذوه ونفخوا في إحليله الزئبق، فصار مع الوحش يغدو ويروح، وكان لا
يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك [إليه] فكمنوا له في موضع حتى ورد المائ مع
الوحش فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات.

ورجع عمرو إلى قريش، فأخبرهم أنّ جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة،
فلم يزل بها حتى هادن رسول الله ﷺ قريشاً وصالحهم، وفتح خيبر، فوافى بجميع من
معه، وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس «عبدالله بن جعفر» وولد للنجاشي

ابن فسّماه «محمدًا».

وكانت أمّ حبيب بنت أبي سفيان تحت عبدالله، فكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يخطب «أمّ حبيب» فبعث إليها النجاشي فخطبها لرسول الله ﷺ فأجابته، فزوّجها منه وأصدقها أربعمئة دينار، وساقها عن رسول الله ﷺ، وبعث إليها بثياب وطيب كثير، وجهازها وبعثها إلى رسول الله ﷺ. وبعث إليه ببارية القبطية أمّ إبراهيم، وبعث إليه بثياب وطيب وفرس.

وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين، فقال لهم: انظروا إلى كلامه، وإلى مقعده وإلى مطعمه ومشربه ومصلاه. فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ إلى قوله ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^١.

فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وأمنوا، ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول الله ﷺ، وقرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي وبكى القسيسون، وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه.

وخرج من بلاد الحبشة يريد النبي ﷺ، فلما عبر البحر توفّي، فأنزل الله على رسوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾^٢ إلى قوله ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^٣ ٤.٣

رواية

عن مروان، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ذكر النصارى

١. سورة المائدة / ١١٠.

٢. سورة المائدة / ٨٢.

٣. سورة المائدة / ٨٥.

٤. تفسير القمي / ١ (٢٦٢-٢٥٩).

وعداوتهم، فقال: قول الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

قال: أولئك كانوا قوماً بين عيسى ومحمد، يَنْتَظِرُونَ مجيء محمد ﷺ. ١.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨٣﴾

«هذا وصف للذين آمنوا من هؤلاء النصارى الذين ذكرهم الله أنهم أقرب مودة للمؤمنين بأنهم ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا﴾ أنزل الله من القرآن يتلى ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ يعني من آمن من هؤلاء النصارى»^٢.
و «مظهر من مظاهر التواضع للحق وعدم الاستكبار...، وبيان لرقّة قلوبهم وشدّة خشيتهم، ومسارعتهم لقبول الحق»^٣.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق بجوابه.
﴿سَمِعُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿الَّذِينَ﴾ قالوا إنّنا نصنرى ﴿في الآية السابقة.
﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به.

﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».
﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أُنزِلَ﴾. والمراد بالرسول محمد ﷺ

١. تفسير العياشي ٢/٦٧، ح ١٦٤.

٢. التبيان ٤/٣.

٣. مواهب الرحمن ١٢/١٣٩.

خاتم أنبياء الله تعالى وما ﴿أُنزِلَ﴾ إليه هو القرآن.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاباً للرسول الأعظم ﷺ أو كل قارئ ناظر، جواب الشرط، والمراد بالرؤية البصرية. ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿تَفِيضٌ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾، في محل نصب حال من ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾. «فيض العين من الدمع: امتلاؤها منه سيلاً ومنه فيض النهر من الماء وفيض الإناء وهو سيلانه عن شدة امتلاء»^١.

﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَفِيضٌ﴾ أي: ﴿تَفِيضٌ﴾ ﴿مِنَ﴾ ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ ﴿الدَّمْعِ﴾. فحرف ﴿مِنَ﴾ للإبتلاء و «ال» ﴿الدَّمْعِ﴾ للجنس، وفي الآية قلب للمبالغة كما يظهر للمتأمل.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر و اسم موصول. جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَفِيضٌ﴾. «من» للنشوء والسببية والتعليل، ويمكن أن يكون ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿عَرَفُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ الموصولة. أو متعلق بـ ﴿عَرَفُوا﴾ بناء على كون ﴿مَا﴾ مصدرية.

و ﴿مِنَ﴾ بيانية لـ ﴿مَا﴾ الموصولة، أو تبعيضية بناءً على كون ﴿مَا﴾ مصدرية أي ﴿مِمَّا﴾ عرفوه أي عرفوا الرسول الخاتم والنبي الموعود في كتبهم.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب حال أي تفيض أعينهم في حال قولهم هذا أو قائلين:

﴿رَبَّنَا﴾ منادى منصوب بأداة نداء محذوفة ومضاف إليه، تقديره: يا ﴿رَبَّنَا﴾. مقول القول.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي ﴿ءَامَنَّا﴾ بك وبما أنزلت على نبيك ﷺ .

﴿فَع﴾ تفريع على الإيمان.

﴿أَكْتَبْنَا﴾ فعل أمر في مقام ادعاء. وفاعله ضمير مستتر «أنت» و مفعول به. أي

فاحسبنا أو فاجعلنا.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدل على الاجتماع والمصاحبة متعلق بـ ﴿فَأَكْتَبْنَا﴾ .

﴿الشَّاهِدِينَ﴾ مضاف إليه. أي الذي شهدوا بعثة الرسول ﷺ وصدقوه.

«وهذه فضيلة عظيمة لم تحصل إلا في أزمان ابتداء دعوة الرسل ولا تحصل بعد هذه المرة. وتلك الفضيلة أتمها المبادرة بتصديق الرسل عند بعثتهم حين يكذبهم الناس بادىء الأمر. كما قال ورقة: يا ليتني أكون جدعاً إذ يُخرجك قومك. أي تكذيباً منهم. أو أرادوا فاكبتنا مع الشاهدين الذين أنبأهم عيسى عليه السلام ببعثة الرسول الذي يجيء بعده، فيكونوا شهداء على مجيئه وشهادة بصدق عيسى. ففي إنجيل متى عدد ٢٤ من قول عيسى «ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويفوز ببشارة الملكوت هذه شهادة لجميع الأمم»^١. وفي إنجيل يوحنا عدد ١٥ من قول عيسى «ومتي جاء المعزى روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء»^٢. وإن لكلمة ﴿الْحَقِّ﴾ وكلمة ﴿الشَّاهِدِينَ﴾ في هذه الآية موقعاً لا تغني فيه غيرهما لأنهما تشيران إلى ما في بشارة عيسى عليه السلام .

١. إنجيل متى، باب ٢٤، الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤.

٢. إنجيل يوحنا، باب ١٥، الآيات ٨ و ٩ و ١٠.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ

الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾

يحتمل هذه الآية حديث نفس يجري بين هذه الطائفة من النصاري و «أنفسهم عند ما يخامرهم التردد في أمر النزوع عن دينهم القديم إلى الدخول في الإسلام. وذلك التردد يعرض للمعتقد عند الهمم بالرجوع في اعتقاده وهو المسمى بالنظر؛ ويحتمل أنهم يقولونه لمن يعارضهم من أهل ملتهم أو من إخوانهم ويشككهم فيما عزموا عليه، ويحتمل أنهم يقولونه لمن يعيرهم من اليهود أو غيرهم بأنهم لم يتصلبوا في دينهم. فقد قيل: إن اليهود عيروا النفر الذين أسلموا، إذا صحَّ خبر إسلامهم»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، ويمكن أن تكون عاطفة.

﴿مَا﴾ اسم استفهام، مبتدأ، استفهام انكار واستبعاد بمعنى: كيف ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾.

﴿لَنَا﴾ جار ومجروره، خبر. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿نُؤْمِنُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ في محل نصب حال من الضمير في ﴿لَنَا﴾. أي: أي شيء ﴿لَنَا﴾ في حال تركنا للإيمان. «والإيمان: هو التصديق عن ثقة لأنَّ الصدق راجع إلى طمأنينة القلب بما صدق به»^٢.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُؤْمِنُ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر بالباء في ﴿بِاللَّهِ﴾.

﴿جَاءَنَا﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. والمراد بـ ﴿مَا جَاءَنَا﴾ هو القرآن الكريم أو رسول القرآن مع كتابه.

﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ موصولة، و

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٨٧ و ١٨٨.

٢. التبيان ٤/ ٤.

﴿مِنْ﴾ بياني وتقديره: حال كونه ﴿مِنْ أَلْحَقِ﴾. ويحتمل كون ﴿مِنْ﴾ للتبعيض. لأنَّ الحقَّ لا ينحصر به أو بهما والأوصياء المعصومين عليهم السلام والمعاد أيضاً حقٌّ. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿نَطَمَعُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن»، في محلِّ نصب حال من الضمير الفاعلي في ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾. «الطمع تعلَّق النفس بما يقوى أن يكون من معنى المحبوب ونظيره الأمل والرجاء فالطمع يكون معه الخوف أو لا يكون»^١. والطمع في الخير لا يُتردّد فيه ولا يُلام عليه. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُدْخِلْنَا﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به مقدم. و «كأنتها مضمّنة معنى الجعل ولذلك عدي بجمع»^٢.

﴿مَرَبُّنَا﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدلُّ على الاجتماع والمصاحبة متعلّق بـ ﴿يُدْخِلْنَا﴾. ﴿أَلْقَوْمِ﴾ مضاف إليه.

﴿الصَّالِحِينَ﴾ نعت. «الصالح: هو الذي يعمل الصلاح في نفسه وإذا عمله في غيره فهو مصلح، فلذلك لم يوصف الله تعالى بأنّه صالح ووصف بأنّه مصلح»^٣. والمراد: ﴿أَنْ يُدْخِلْنَا﴾ معهم في الدنيا وفي الآخرة الجنة.

الطمع في الانخراط مع الصالحين يوجب تثبيت الإيمان وتوكيدها، «لأنَّ مجرد القول وحتى الاعتقاد لا يضمن البقاء لكثرة الشواغل وما يوجب الانصراف»^٤ فالإيمان يحتاج إلى الديمومية والاستمرار ولعلّ هذه الديمومية تكون من أسرار

١. التبيان ٤/٤.

٢. الميزان ٦/٨٢.

٣. التبيان ٤/٥.

٤. مواهب الرحمن ١٢/١٤٠.

العبادات والأذكار والأدعية والله العالم.

﴿فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ

جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾

تمتة ما ورد في الآية السابقة وبيان جزاء هذه الطائفة الخاصة من النصارى.

﴿فَ﴾ تفریع على قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا﴾^١ إلى آخر الآيتين.

﴿أَثَبَهُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. الإثابة: المجازاة. ﴿أَثَبَهُمُ﴾: جازاهم

وأعطاهم. والضمير المفعولي يرجع إلى طائفة خاصة من النصارى.

﴿اللَّهُ﴾ فاعل. ﴿بِ﴾ حرف جر، للسببية.

﴿مَا﴾ موصولة أو مصدرية، في محل جر. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿أَثَبَهُمُ﴾.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والمراد بمقاتلتهم ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ﴾^٢.

﴿جَنَّاتٍ﴾ تمييز، منصوب وعلامته الكسرة المنونة. كما يمكن عدّها مفعولاً ثانياً

لـ ﴿أَثَبَهُمُ﴾ لأنّ أثاب يتعدّى إلى مفعولين على طريقة باب أعطى. والمراد بها جنة

الخلد وتُجمع «لأنّها جنّة فيها جنات أي بساتين وتذكر بالجمع لتبين عن اختلاف

صورها وأحوال أشجارها وأنهارها ووجوه الاستمتاع بها، ووجه آخر هو أن يكون

جمعها مضافاً إليهم»^٣.

﴿تَجْرِي﴾ فعل مضارع.

١. سورة المائدة / ٨٣.

٢. سورة المائدة / ٨٣.

٣. التبيان / ٤ / ٥.

﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ تَجْرِي ﴾ أو بحال محذوفة من ﴿ الْأَنْهَارُ ﴾، والضمير عائد إلى ﴿ جَنَّتِ ﴾.

﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ فاعل ﴿ تَجْرِي ﴾. والجملة ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ صفة لـ ﴿ جَنَّتِ ﴾.

﴿ خَلِيدِينَ ﴾ اسم فاعل منصوب حال من ضمير ﴿ أَثْبَهُهُ ﴾.

﴿ فِيهَا ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ خَلِيدِينَ ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿ جَنَّتِ ﴾.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ ذَلِكَ ﴾ اسم اشاره، مبتدأ، اشارة إلى الثواب والجزاء.

﴿ جَزَاءٌ ﴾ خبر.

﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ مضاف إليه. «والإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير

وضده الإساءة وهي إيصال الضرر القبيح إليه»^١.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

تتميم للآية السابقة «فيها ذكر جزاء من خالف المؤمنين على طريق المقابلة

استيفاءً للأقسام»^٢. وفيها ترهيب واحتراس ووعيد بعد ذكر الترغيب والوعد.

وبعبارة أخرى: «لما كان أهل الكتاب فريقين أحدهما آمنوا، والثاني كفروا،

وذكر الوعد للمؤمنين منهم اقتضي أن يذكر الوعيد لمن كفر منهم وأطلق اللفظ ليكون

لهم ولكل من جرى مجراهم»^٣.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ الَّذِينَ ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

١. التبيان ٤/ ٥.

٢. الميزان ٦/ ٨٢.

٣. التبيان ٤/ ٦.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كَذَّبُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿بِقَائِنَتَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّب بـ ﴿كَذَّبُوا﴾. «وإنما شرط في الوعيد على الكفر بالتكذيب بالآيات وإن كان كلّ واحد، منها [من الكفر والتكذيب] يستحق به العقاب، لأن صفة الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات، فلم يصلح - هاهنا - لو كذبوا لأنهم قد جمعوا الأمرين»^١.

﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ثان. إشارة إلى هؤلاء الكفار من النصارى الذين لا يؤمنون

بمحمد ﷺ وقرآنه ويكذبونها.

﴿أَصْحَابٌ﴾ خبر، أي الملازمون.

﴿الْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه. اسم من أسماء جهنم، وأصلها: «النار العظيمة تجعل في

حفرة ليدوم لهيها»^٢ يقال لها ﴿الْجَحِيمِ﴾. «نار حَجْمَة: شديدة اللهب»^٣.

وجملة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ خبر مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

هذه الآية وما بعدها آيات عديدة تبين الأحكام الشرعية الفرعية المتنوعة في

مسائل شتى لها ارتباط تام بتكميل المعنوي للإنسان وتهذيبه.

وقال ابن عاشور: «تكملة على صورة التفريع جاءت لمناسبة ما تقدّم من الشاء

١. التبيان ٦/٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٨٩/٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٨٩/٥.

على القسيسين والرهبان. وإذ قد كان من سنتهم المبالغة في الزهد وأحدثوا رهبانية من الانقطاع عن التزوج وعن أكل اللحوم وكثير من الطيبات كالتدهن وترفيه الحالة وحسن اللباس، نبه الله المؤمنين على أن الثناء على الرهبان والقسيسين بما لهم من الفضائل لا يقتضي اطراد الثناء على جميع أحوالهم الرهبانية^١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين خاصة لأن الالتزام بالأحكام الشرعية الفرعية من علامات الإيمان.

﴿لَا تُحْرَمُوا﴾ فعل نهي وفاعله. «التحريم هو العقد على ما لا يجوز فعله للعبد»^٢. و «مادة «حرم» تدل على المنع سواء كان المانع العقل أم الشرع أم العرف بالاختيار أو بالإلجاء والاضطرار»^٣. «تنهى المؤمنين عن تحريم ما أحل الله لهم»^٤. ﴿طَيَّبَتْ﴾ مفعول به. «الطيبات: اللذيزات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب»^٥. فظهر أن الطيبات حلال.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر بالاضافة والإضافة بيانية.
 ﴿أَحَلَّ﴾ فعل ماض. التحليل حل عقد التحريم. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
 ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَحَلَّ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.
 ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تُحْرَمُوا﴾. الاعتداء: التجاوز عن الحدود الشرعية أو العقلية. وتحريم الطيبات اعتداء على الحدود الإلهية الشرعية.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ جملة تأكيدية تحذيرية من كل اعتداء.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٨٩/٥.

٢. التبيان ٧/٤.

٣. مواهب الرحمن ١٢/١٦٣.

٤. الميزان ٦/١٠٧.

٥. التبيان ٧/٤.

الروايات

صحيح ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون:

فأما أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام بالليل أبداً! وأما بلال فإنه حلف أن لا يفطر بالنهار أبداً! وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبداً!

فدخلت امرأة عثمان على عائشة، وكانت امرأة جميلة، فقالت عائشة:

ما لي أراك متعطلة؟! فقالت: ولمن أترين؟! فوالله ما قاربني زوجي منذ كذا وكذا، فإنه قد ترهب ولبس المسوح، وزهد في الدنيا! فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرته عائشة بذلك. فخرج فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات؟! ألا إني أنام بالليل، وأنكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فقد حلفنا على ذلك!

فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ، إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۗ﴾ الآية ٢.

الخبري في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية. نزلت في عليٍّ وأصحاب له، منهم عثمان [بن] مظعون، وعمار (بن) ياسر وسلمان^٣ حرّموا على أنفسهم الشهوات، وهمّوا بالإخصاء^٤.

١. سورة المائدة / ٨٩.

٢. تفسير القمي / ١ / ٢٦٢، ح ١٤.

٣. ما بين القوسين لم يرد في النسخة المخطوطة القديمة من تفسير الخبري، وأخذناه من رواية فُرات.

٤. الكلمة الأخيرة مشوهة في النسخة المخطوطة القديمة من تفسير الخبري، وأثبتناها من الحسكاني.

٥. تفسير الخبري / ٢٦٤، ح ٢٥.

عن عبدالله بن سنان، قال: سألتُهُ عن رجلٍ قال: امرأته طالق، أو مماليكه أحرار، إن شربت حراماً ولا حلالاً.

فقال: أمّا الحرام فلا يَقْرَبه حَلْفٌ أو لم يَخْلِف، وأمّا الحلال فلا يَتْرُكه، فأنه ليس له أن يُحْرِمَ ما أحلَّ الله، لأنَّ الله يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فليس عليه شيءٌ في يمينه من الحلال. ١.

ابن مردويه، عن ابن عباس، أنّها نزلت في عليٍّ وأصحاب له. ٢.
ابن مردويه، عن قتادة، أنّ عليّاً وجماعة من أصحابه منهم عثمان بن مظعون أرادوا أن يتخلّوا عن الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾. ٣.

ابن مردويه، من طريق الحسن العدني، كان عليٌّ في أناسٍ ممن أرادوا أن يحرّموا الشهوات فنزلت. ٤.

قال الحاكم الحسكاني أخبرونا عن أبي بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي [أخبرنا] علي بن محمد الدهان، والحسين بن إبراهيم الجصاص، قالا [أخبرنا] حسين بن الحكم [عن] حسن بن حسين، عن حبان بن علي، عن الكلبي عن أبي صالح: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [قال]: نزلت في علي بن أبي طالب وأصحاب له منهم عثمان بن مظعون، وعمار بن ياسر حرّموا على أنفسهم الشهوات وهموا بالإحصاء. ٥.

وأخبرنا أبوسعده الصفار المعادني [أخبرنا] أبوالحسين الكهيلي [أخبرنا]

١. تفسير العياشي ٢/٦٨، ح ١٦٥.

٢. مفتاح النجا / ٤٠. ورواه ابن مردويه كما في كشف الغمّة ١/٣١٩؛ وكشف اليقين / ٣٨١.

٣. مفتاح النجا / ٤٠. ورواه ابن مردويه كما في كشف الغمّة ١/٣١٩؛ وكشف اليقين / ٣٨١.

٤. فتح الباري ٩/٨٥.

٥. شواهد التنزيل / ١٩٤ (١/٢٥٩).

أبو جعفر الحضرمي [عن] محمد بن العلاء [عن] زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي: إن علياً وعثمان بن مظعون ونفراً من أصحاب رسول الله ﷺ تعاقدوا أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يأتوا النساء ولا يأكلوا اللحم فبلغ [ذلك] رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^١.

وأخبرنا منصور بن الحسين [أخبرنا] محمد بن جعفر [عن] إبراهيم بن إسحاق [عن] الحسين بن علي [عن] عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: جلس رسول الله ذات يوم فذكر [هم] ثم قام ولم يزددهم على التخويف فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ [وهم جلوس منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون: ما خفنا إن لم تحدث عملاً، فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك، وإن يأكل بنهار، وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وقال رسول الله ﷺ: [ما بال قوم] كذا] حرموا النساء والطعام والنوم، ألا إني وأقوم، وافطر واصوم وأنكح النساء، فمن رغب عني فليس مني.

[والحديث] اختصرته من طول. ٢


وقال سبط ابن الجوزي: قال أهل السير: ولما سلم الحسن الأمر إلى معاوية أقام يتجهز إلى المدينة، فاجتمع إلى معاوية رهط من شيعته؛ منهم: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة - وهو أخو عثمان لأمه، وكان علي بن أبي طالب قد جلدته في الخمر - وعتبة، وقالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجله قبل مسيره إلى المدينة، فنهاهم معاوية وقال: إنه ألسن بني هاشم. فألحوا عليه، فأرسل [إلى] الحسن فاستزاره، فلما

١. شواهد التنزيل / ١٩٤ (١/٢٥٩).

٢. شواهد التنزيل / ١٩٥ (١/٢٦٠).

حضر شرعوا، فتناولوا علياً عليه السلام والحسن ساكت، فلما فرغوا حمد الحسن الله وأثنى عليه وصلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، [ثم] قال:

إن الذي أشرتم إليه قد صلى إلى القبلتين، وبايع البيعتين، وأنتم بالجميع مشركون، وبما أنزل الله على نبيه كافرون، وأنه حرم على نفسه الشهوات، وامتنع من اللذات حتى أنزل الله فيه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^١.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ ءُمُومُونَ﴾ 

تتمة الآية السابقة وتأكيدها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿لَا تَحْرِمُوا﴾ في الآية السابقة، من قبيل ورود الأمر عقيب الحظر يفيد الجواز والإباحة. والمراد بالأكل مطلق التصرفات.

﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كُلُوا﴾ و «ما» موصولة. و «من» تبعيضية.

﴿رَزَقَكُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. «الرزق»: هو ما للحي الانتفاع به

وليس لغيره منعه^٢.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿حَلَالًا﴾ حال من ﴿مَا﴾ أو صفة لمفعول مطلق محذوف أي رزقاً ﴿حَلَالًا﴾. وهو

قيد توضيحي لا احترازي ومساوٍ لمقيده، يعني الرزق لا يكون إلا حلالاً. فذكر الحلال على وجه التأكيد.

﴿طَيِّبًا﴾ نعت لـ ﴿حَلَالًا﴾، ويستفاد من هذا التوصيف أن كل حلال طيب. كما

١. تذكرة الخواص / ٢٠٠.

٢. التبيان ٩/٤.

مَرَّ كُلُّ طَيْبٍ حَلَالٌ.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿اتَّقُوا﴾ معطوف على ﴿كُلُوا﴾. فعل أمر وفاعله.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، جاء بالموصول للإيحاء إلى علة الأمر بالتقوى هو

الإيمان.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر.

﴿مُؤْمِنُونَ﴾ خبر. أي بالله فقط ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ لا بغيره من الآلهة

الكاذبة والمصنوعة والمختلقة.

وإشعاراً بأن الاستمتاع من الحلال يعدّ من التقوى ولا يكون خارجاً عنه.

شأن نزولها وسابقتها

قال الشيخ: «سبب نزول هذه الآية والتي قبلها على ما قال عكرمة وأبو قلابة وأبو مالك وإبراهيم وقتادة والسدي وابن عباس والضحاك: إن جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب عثمان بن مظعون وابن مسعود وعبدالله بن عمر، همّوا بصيام الدهر وقيام الليل، واعتزال الناس وجبّ أنفسهم وتحريم الطيبات عليهم»^١.

رواية

رُوي أنّ عثمان بن مظعون قال أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إئذن لي في الترهّب فقال: لا إنّها رهبانية أمتي الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة. فقلت: يا رسول الله أتأذن لي في السياحة قال: سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله. فقلت: يا رسول الله أتأذن لي في الاختصاء فقال: ليس منّا من خصا واختصا، إنّما اختصاء

أمّتي الصوم. ١

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ط فَكَفَرْتُمْ بِهِ، إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ط فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۗ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

«استئناف ابتدائي نشأ بمناسبة قوله: ﴿لَا تُحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^٢ لأنّ التحريم يقع في غالب الأحوال بأيمان معزومة، أو بأيمان تجري على اللسان لقصد تأكيد الكلام، كأن يقول: والله لا أكل كذا، أو تجري بسبب غضب»^٣.
﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُؤَاخِذُكُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم و «المراد بعدم المؤاخذه: عدم العقاب وعدم الكفارة»^٤.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمْ﴾. «اللغو: ما لا يترتب عليه أثر من الأعمال»^٥، ومن الكلام: «ما لا يعتد به وفي الأيمان: ما لا عقد عليه ولا يترتب

١. التبيان ٨/٤.

٢. سورة المائدة / ٨٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٩٣/٥.

٤. مواهب الرحمن ١٢/١٧٠.

٥. الميزان ٦/١١٠.

عليه أثر من الأعمال»^١.

وقد قلتُ في معنى اللغو في كتابي الآراء الفقهية: «وأما اللغو: هو كلُّ فعلٍ أو قولٍ لم يترتب عليه فائدة في الخارج ولا نفع. ويُعبَّر عنه بالفارسية بـ «بيهوده»»^٢.

﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والأولان يتعلقان بـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾.

الأيان: جمع يمين وهو الحلف والقسم.

﴿وَ﴾ زائدة أو استئنافية. ﴿لَنْكُنَّ﴾ حرف عطف للاستدراك.

﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾ مرّ.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾ ﴿بِ﴾ للسببية و ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿عَقَدْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. التعقيد مبالغة في العقد.

﴿الْأَيْمَانَ﴾ مرّ معناها. «والآية تدلّ على أنّ قسماً خاصاً من ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾ يكون

بترك الوفاء بها مورد المؤاخذة والكفارة، وهو ما وقع عن قصدٍ جدّيٍّ ونيةٍ وعزمٍ. وفي غير هذا القسم لا مؤاخذة ولا عقاب في تركه. ولا بدّ أن يقيّد اطلاق الآية الكريمة بما ورد في السنة الشريفة في بيان شروط انعقاد اليمين التي يكون فقدانها موجباً لإلغائه أيضاً»^٣.

و «اليمين الشرعية التي يجب الوفاء بها، ويؤاخذ الحالف على حنثها هي التي

يخلفها البالغ العاقل عن قصد وتصميم، وإرادة واختيار.

واتفقوا على ان اليمين تمّ وتنقذ إذا كان الحلف بالله، أم باسم من أسمائه

الحسنى، كخالق والرازق. وقال الشيعة الإمامية وأبو حنيفة: لا تنقذ اليمين

بالمصحف والنبى والكعبة، وما إليها، لحديث: «من كان منكم حالفاً فليحلف بالله أو

١. مواهب الرحمن ١٢/١٧٠.

٢. الآراء الفقهية ٣/٩٤.

٣. مواهب الرحمن ١٢/١٧١.

ليذر». وقال الشافعي ومالك وابن حنبل: تنعقد بالمصحف. وتفرد ابن حنبل بآئها تنعقد بالنبي أيضاً^١.

«والتقابل الواقع بين قوله: ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وقوله: ﴿بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ﴾ يعطي أن المراد باللغو في الأيمان ما لا يعقد عليه الحالف، وإنما يجري على لسانه جرياً لعادة اعتادها أو لغيرها وهو قولهم - وخاصة في قبيل البيع والشرى - : لا والله، بلى والله، بخلاف ما عقد عليه عقداً بالالتزام بفعل أو ترك كقول القائل: والله لأفعلنَّ كذا، والله لأتركنَّ كذا.

هذا هو الظاهر من الآية، ولا ينافي ذلك أن يعد شرعاً قول القائل: والله لأفعلنَّ المحرم الفلاني، والله لأتركنَّ الواجب الفلاني مثلاً من لغو اليمين لكون الشارع ألغى اليمين فيما لا رجحان فيه، فإنها هو إلحاق من جهة السنة، وليس من الواجب أن يدل القرآن على خصوص كل ما ثبت بالسنة بخصوصه^٢.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط المقدّر وهو «إذا حنثتم أيمانكم الحقيقية». وما بعدها جوابه.

﴿كَفَرْتُهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. «مادة كفر تدلّ على ستر الشيء والكفارة ما يغطي الإثم وتستر الذنب... وتكفير اليمين: فعل ما يجب بالحنث فيها»^٣.

﴿إِطْعَامُ﴾ خبر. ﴿عَشْرَةَ﴾ مضاف إليه.

﴿مَسْكِينَ﴾ مضاف إليه ثان. ممنوع من الصرف لأنه على وزن «مفاعيل»

﴿مَسْكِينَ﴾ جمع مسكين وهو الفقير الذي تحلّ له الزكاة.

﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿مَسْكِينَ﴾.

١. التفسير الكاشف ٣/ ١٢٠.

٢. الميزان ٦/ ١١٠.

٣. مواهب الرحمن ١٢/ ١٧١.

﴿ مَا ﴾ موصولة، في محلِّ جرٍّ بالإضافة. ﴿ تَطْعُمُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله.
﴿ أَهْلِيكُمْ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي وجبة واحدة من الطعام لكلِّ واحد من
العشرة ويجوز أن يعطي المسكين مُدًّا (٨٠٠ غرام) من الطعام الغالب الذي يأكله هو
وأهله بدلاً من الوجبة.
﴿ أَوْ ﴾ عاطفة.

﴿ كَسَوْتُهُمْ ﴾ معطوف على ﴿ إِطْعَامُ ﴾ ومضاف إليه. ويجزي ما يسمي كسوة في
العرف بشرط عدم كونه بالياً أو ممزقاً.
﴿ أَوْ ﴾ عاطفة. ﴿ تَحْرِيْرُ ﴾ معطوفة على ﴿ إِطْعَامُ ﴾.
﴿ رَقَبَةٍ ﴾ مضاف إليه. «خصال ثلاث يدل الترديد على تعيين إحداها عند
الحنث من غير جمع»^١.

﴿ فَ ﴾ عاطفة يرجع على ﴿ كَفَّرْتُهُ ﴾ أو استثنائية.
﴿ مَنْ ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.
﴿ لَمْ ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
﴿ يَجِدْ ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿ مَنْ ﴾.
﴿ فَ ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿ صِيَامُ ﴾ مبتدأ. ﴿ ثَلَاثَةَ ﴾ مضاف إليه.
﴿ أَيَّامٍ ﴾ مضاف إليه ثان. ﴿ ذَلِكَ ﴾ اسم اشاره، مبتدأ. ﴿ كَفَّرْتُهُ ﴾ خبر.
﴿ أَيَمَنِكُمْ ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.
﴿ إِذَا ﴾ ظرف زمان، وأداة شرط غير جازمة.
﴿ حَلَفْتُمْ ﴾ فعل ماض وفاعله. في محلِّ جرٍّ بالإضافة لوقوعها بعد الظرف، فعل
الشرط، وجوابه محذوف.
﴿ وَ ﴾ استثنائية.

﴿ أَحْفَظُوا ﴾ فعل أمر وفاعله، تأكيد بليغ للحفاظ على الأيمان.
 ﴿ أَيْمَنَكُمْ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي من الحنث.
 ﴿ كَذَلِكَ ﴾ مبتدأ. أي بمثل ذلك البيان البديع.
 ﴿ يُبَيِّنُ ﴾ فعل مضارع. ﴿ اللَّهُ ﴾ فاعله.
 ﴿ لَكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يُبَيِّنُ ﴾.
 ﴿ آيَاتِهِ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
 ﴿ تَشْكُرُونَ ﴾ خبره. شكر الأحكام الشرعية هو تعلمها والعمل بها ومراعاتها
 لأنه توجب ترقى النفوس وسعادة البشر في الدارين.

الروايات

معتبرة الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول في قول الله عزوجل: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾^١ قال: اللغو قول الرجل: لا والله، وبلى والله، ولا يعقد على شيء^٢.

صحيحة الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ قال: هو كما يكون، إنه يكون في البيت من يأكل أكثر من المد، ومنهم من يأكل أقل من المد، فبين ذلك، وإن شئت جعلت لهم أدمًا والأدم أدناه الملح، وأوسطه الخل والزيت، وأرفعه اللحم^٣.

صحيحة أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن ﴿ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾؟

فقال: ما تقوتون به عيالكم من أوسط ذلك.

١. سورة البقرة / ٢٢٥؛ سورة المائدة / ٨٩.

٢. الكافي / ١٤ / ٧٣٣، ح ١ (٤٤٣ / ٧).

٣. الكافي / ١٤ / ٧٥٨، ح ٧ (٤٥٣ / ٧).

قلت: وما أوسط ذلك؟

فقال: الخَلُّ والزَّيْتُ والتَّمْرُ والخَبْزُ تشبعهم به مرّةً واحدةً.

قلت: كسوتهم؟ قال: ثوبٌ واحدٌ^١.


معتبرة أو موثقة إسحاق بن عمار: عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: سألته عن كفارة اليمين في قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾^٢: ما حدّ من لم يجد؟ وإنّ الرجل يسأل في كفّه وهو يجد؟

فقال: إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله، فهو ممن لا يجد^٣.

صحيحه الحلبي: عن أبي عبدالله عليه السلام في كفارة اليمين: يطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدّ من حنطة، أو مدّ من دقيق وحنفة، أو كسوتهم لكل إنسان ثوبان، أو عتق رقبة وهو في ذلك بالخيار أيّ الثلاثة صنع؛ فإن لم يقدر على واحدة من الثلاثة، فالصيام عليه ثلاثة أيام^٤.

«وَحَفْنَةٌ»: الواو بمعنى مع. والحفنة: ملء الكف ويفتح.

الروايات في هذا المجال كثيرة. اختصرت على خمسة من صحاحها.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ 

تبينّت الآية الكريمة الحكم الإلهيّ البتّيّ في الخمر وتشدّد الأمر فيها وتدلّ على

١. الكافي ١٤/٧٦٢، ح ١٤ (٧/٤٥٤).

٢. سورة البقرة/١٩٦؛ سورة المائدة/٨٩.

٣. الكافي ١٤/٧٥٥، ح ٢ (٧/٤٥٢).

٤. الكافي ١٤/٧٥٤، ح ١ (٧/٤٥١).

تويخ شديد لِمَنْ هتك الحكم شرب الخمر ولعب بالقمار والأزلام وعبد الأصنام والأصنام.

وهذه الآية آخر آية نزلت في تحريم الخمر وقد مرَّ أن تحريمها كان بالتدرج.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين بالشرعية المحمّدية.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. أداة حصر. قصر موصوف على صفة. أي هذه الأربعة

مقصورة على الاتصاف بالرجس.

﴿الْخَمْرُ﴾ مبتدأ. الخمر في اللغة «التغطية من قول أهل اللغة خمرت الأثناء إذا

غطيته، ومنه دخل في خمار الناس إذا خفي فيما بينهم بسترهم له والخمير العجين الذي

يغطي حتى يختمر، وخمار المرأة، لأنها تغطي رأسها به. وخامره الحزن إذا خالطه

منتشراً في قلبه واستخمرت فلاناً أي استعبدته. والأصل فيه أمرته أن يتخذ الخمر، ثم

كثر حتى جرى في كل شيء يأمر به»^١.

والخمر في الاصطلاح يطلق على كل أنواع النبيذ والمسكر على اختلاف أنواعه

المتخذة من العنب والتمر وغيرهما، وسُمِّي الخمر خمرًا لتغطيتها العقل وتستره.

ويطلق على المسكر المائع ويتعدى منه إلى الجامد بالقياس المنصوص العلة:

الخمر حرام لأنها مسكر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمَيْسِرُ﴾ معطوف على ﴿الْخَمْرُ﴾. ﴿الْمَيْسِرُ﴾: القمار. المأخوذ أصله من التيسير

واليسر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَنْصَابُ﴾: الأصنام. واحدها نُصْبٌ. وقيل لها أنصاب لأنها كانت تنصب

للعادة وأصله الانتصاب: القيام^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَزْلَمُ﴾ جمع زَلَمَ أو زَلِمَ، قطعٌ من الخشب على هيئة السهام كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. كانوا يقسمون الجزور على ثمانية وعشرين جزءاً وكان عدد القطع عشرة، ذوات الحظوظ منها سبعة وأسمائها «القد، والتوءم، والرقيب، والجلس، والنافس، والمسبل، والمعلی. والاغفال التي لا حظوظ لها ثلاثة أسماءها: السفيح، والمنيح، والوغد»^٢. أو «هي سهام كانوا يجيلونها ويجعلون عليها علامات (إفعل، ولا تفعل) ونحو ذلك على ما يخرج من ذلك في سفر أو إقامة أو غير ذلك من الأمور المهمة، وكانوا يجيلونها للقمار»^٣.

﴿رَجَسٌ﴾ خبر، أي القدر الخبث الذي تتنفر منه العقول والطباع، والمكروه من الأمور الظاهرة والمذمات الباطنة.

و ﴿رَجَسٌ﴾ «اسم جنس فالإخبار به كالإخبار بالمصدر فأفاد المبالغة في الاتصاف به حتى كان هذه الموصوف عين الرجس ولذلك أيضاً أفرد ﴿رَجَسٌ﴾ مع كونه خبراً عن متعدّد لأنّه كالخبر بالمصدر»^٤.

﴿مَنْ﴾ حرف جريبيّ.

﴿عَمَلٌ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿رَجَسٌ﴾.

﴿الشَّيْطَانِ﴾ مضاف إليه. «إنّها نسبها إلى عمل الشيطان وهي أجسام لما يأمر به فيها من الفساد فيأمر بالسكر ليزيل العقل، ويأمر بالقمار لاستعمال الاخلاق الدنيئة ويأمر بعبادة الأوثان لما فيها من الكفر بالله العظيم، ويأمر بالأزلام لما فيها من ضعف

١. راجع التبيان ١٦/٤.

٢. التبيان ١٧/٤.

٣. التبيان ١٦/٤.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٩٧/٥.

الرأي والاتكال على الاتفاق»^١.

﴿فَ﴾ تفرعية وظهر حسنها بعد ما تقدّم ما يوجب النفرة منها.

﴿أَجْتَنِبُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين والمفعولي يرجع إلى ﴿رِجْسٍ﴾ الجامع للأربعة. أي كونوا جانباً منه في ناحية. واجتناب هذه الأمور هو عدم «التلبس بها فيما تقصد له من المفاسد بحسب اختلاف أحوالها؛ فاجتناب الخمر اجتناب شربها؛ والميسر اجتناب التقامر به، والأنصاب اجتناب الذبح عليها؛ والأزلام اجتناب الاستقسام بها واستشارتها. ولا يدخل تحت هذا الاجتناب اجتناب مسّها أو إراءتها للناس للحاجة إلى ذلك من اعتبار ببعض أحوالها في الاستقطار ونحوه، أو لمعرفة صورها، أو حفظها كآثار من التاريخ؛ أو ترك الخمر في طور اختارها لمن عَصَرَ العنب لا تخاذه خلاً»^٢.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محلّ رفع خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. أي رجاء لهم أن يفلحوا عند اجتناب هذه الأرجاس ولارجاء لفلاح من لا يجتنبها.

الروايات

وفي الرواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾^٣ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^٤.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أمّا الخمر: فكلّ مسكر من الشراب خمر، إذا خمر فهو حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام؛

١. التبيان ٤/ ١٧.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٩٨.

٣. سورة المائدة / ٩٠.

٤. سورة المائدة / ٩١.

وذلك أن أبا بكر شرب قبل أن يحرم الخمر، فسكر فجعل يقول الشعر ويكي على قتي المشركين من أهل بدر! فسمع النبي ﷺ فقال:

اللهم أمسك على لسانه. فأمسك على لسانه فلم يتكلم حتى ذهب عنه السكر. فأنزل الله تحريمها بعد ذلك، وإنها كانت الخمر يوم حرمت بالمدينة فضيخ^١ البسر والتمر، فلما نزل تحريمها خرج رسول الله ﷺ فقعد في المسجد، ثم دعا بأنيتهم التي كانوا يبنذون فيها فأكفأها كلها، وقال: هذه كلها خمر! وقد حرّمها الله. فكان أكثر شيء أكفئ من ذلك يومئذ من الأشربة الفضيخ، ولا أعلم أكفئ يومئذ من خمر العنب شيء إلا إناءً واحداً كان فيه زبيب وتمر جميعاً.

وأما عصير العنب فلم يكن يومئذ بالمدينة منه شيء، حرّم الله الخمر قليلها وكثيرها، ويبيعها وشراءها، والإنتفاع بها.

وقال رسول الله ﷺ: من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه.

وقال: حقّ على الله أن يسقي من شرب الخمر مما يخرج من فروج المومسات. والمومسات: الزواني، يخرج من فروجهنّ صديد.

والصديد: قيح ودم غليظ مختلط يؤذي أهل النار حرّه ومنتنه.

وقال رسول الله ﷺ: من شرب الخمر لم تُقبل له صلاة أربعين ليلةً، فإن عاد فأربعين ليلةً من يوم شربها، فإن مات في تلك الأربعين ليلةً من غير توبة سقاه الله يوم القيامة من طينة خبال^٣.

١. الفضيخ كنيذ يُتخذ من البسر، والفضيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ (القاموس المحيط ١/٢٦٧)، والبسر: التمر قبل أن يُرطب لفضاضته (لسان العرب ٤/٥٨).

٢. «يقبل الله منه» خ.

٣. صديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة يتجمع ذلك في قدر جهنم فيشربه أهل النار، (مجمع البحرين ١/١٩٤).

وُسِّمِيَ الْمَسْجِدَ الَّذِي قَعَدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَكْفَيْتُ الْأَشْرِبَةَ مَسْجِدَ
الْفُضَيْخِ مِنْ يَوْمِئِذٍ، لِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ شَيْءٍ أَكْفَى مِنَ الْأَشْرِبَةِ الْفُضَيْخِ.
وَأَمَّا الْمَيْسِرُ: فَالنَّرْدُ وَالشُّطْرَنْجُ، وَكُلُّ قَهَارٍ مَيْسِرٍ.
وَأَمَّا الْأَنْصَابُ: فَالْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ.
وَأَمَّا الْأَزْلَامُ: فَالْأَقْدَاحُ الَّتِي كَانَتْ يَسْتَقْسِمُ بِهَا مُشْرِكُوا الْعَرَبِ فِي الْأُمُورِ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ، كُلُّ هَذَا بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ وَالْإِنْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا حَرَامٌ مُحَرَّمٌ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ رَجَسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَقَرَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ مَعَ الْأَوْثَانِ.^١
خَبَرَ جَابِرٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَطْلِ﴾^٢؟

فَقَالَ: كَانَتْ قَرِيشٌ تَقَامِرُ الرَّجُلَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَنَهَاهُمْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ
ذَلِكَ.^٣

السند ضعيف بعمر بن شمر.

خبر الوشاء عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿الْمَيْسِرُ﴾ هو القمار.^٤

السند ضعيف بسهل بن زياد الأدمي القمي.

عن هشام، عن الثقة، رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قيل له: روي عنكم أنّ
الخمير والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: ما كان الله ليُخاطبَ خَلْقَهُ بِمَا لَا
يَعْقِلُونَ.^٥

ابن شهر آشوب عن القطان عن عمرو بن حمران عن سعيد عن قتادة عن

١. تفسير القمي ١/ ٢٦٣ و ٢٦٤.

٢. سورة البقرة / ١٨٨.

٣. الكافي ٩/ ٦٧٢، ح ٢ (١٢٢/٥).

٤. الكافي ٩/ ٦٧٧، ح ٩ (١٢٤/٥).

٥. تفسير العياشي ٢/ ٧٥، ح ١٩٠.

الحسن البصري قال اجتمع عثمان بن مظعون، وأبو طلحة، وأبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، وأبودجانة، في منزل سعد بن أبي وقاص، فأكلوا شيئاً ثم قدم إليهم شيئاً من الفضيخ فقام عليّ فخرج من بينهم، فقال عثمان في ذلك فقال عليّ: لعن الله الخمر، والله لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ويضحك بي من رأني. وأزوج كريمتي من لا أريد، وخرج من بينهم فأتى المسجد وهبط جبرئيل بهذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^١، يعني هؤلاء الذين اجتمعوا في منزل سعد ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (الآية)، فقال عليّ: تبا لها والله يا رسول الله لقد كان بصري فيها نافذاً منذ كنت صغيراً، قال الحسن: والله الذي لا إله إلا هو ما شربها قبل تحريمها ولا ساعة قط.^٢

وفي الهداية الكبرى^٣ للخصيبي وإرشاد القلوب^٤ للدليمي قصة في شرب خمر أبي بكر فراجعها إن شئت ونقل عنها في البرهان^٥.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^٦

هذه الآية بيان لقوله ﷻ في الآية السابقة ﴿مَنْ عَمِلِ الشَّيْطَانِ﴾ ووجوده الفساد المترتبة على الأرجاس الأربعة المذكورة فيها.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع، ولعلّ معناه هنا يجب.
﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعله. ﴿أَنْ﴾ مصدرية.

١. سورة البقرة / ١٠٤ وغيرها.

٢. المناقب / ٢ / ٢٠٣.

٣. الهداية الكبرى / ١٠٢.

٤. إرشاد القلوب / ٢٦٤.

٥. البرهان في تفسير القرآن / ٢ / ٣٥٦، ح ١٤.

﴿يُوقِعُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾، وتأويل مصدر مفعول به ﴿يُرِيدُ﴾، تقديره ﴿يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ ايقاع.
 ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المؤمنين.
 ﴿الْعَدَاوَةَ﴾ مفعول به لفعل ﴿يُوقِعُ﴾. العداوة ضد الصداقة والولاية أصله من العَدُو بمعنى التجاوز وهي من الفعل الجوارح.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْبَغْضَاءَ﴾ معطوفة على ﴿الْعَدَاوَةَ﴾. البغضاء خلاف المحبة وهي من صفات النفس والأموال القلبية ومن الأفعال الجوانحية.
 ﴿فِي﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُوقِعُ﴾. أي بسبب شرب الخمر وتعاطيها.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمَيْسِرِ﴾ معطوفة على ﴿الْخَمْرِ﴾. أي أئهما ﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ يوجبان ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ وهما ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانِ﴾ و ﴿يُرِيدُ﴾ هما ﴿الشَّيْطَانُ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَصُدُّكُمْ﴾ الجملة معطوفة على ﴿يُوقِعُ﴾. فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى المؤمنين.
 الصد: الصرف والمنع.
 ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان متعلق بـ ﴿يَصُدُّكُمْ﴾.
 بالتعظيم والشكر والدعاء والتوسل ولعل المقصود منه أعم من الذكر اللساني والقلبي والعملية والأخير هو المهم هنا.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَنِ الصَّلَاةِ﴾ الجار والمجرور معطوف على ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على أهميتها.

﴿فَ﴾ تفرعية، تفریع عن قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ...﴾.
 ﴿هَلْ﴾ استفهامٌ تحذيريٌّ من انتفاء وقوع المستفهم عنه. واستفهام مضمّن تحقيق الإسناد المستفهم عنه وهو ﴿أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^١. وبالجملة معناه النهي «لأنه إذا ظهر قبح الفعل للمخاطب صار في منزلة من نهي عنه»^٢.
 ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿مُنْتَهُونَ﴾ خبر أي تاركون. وحذف متعلّق ﴿مُنْتَهُونَ﴾ لظهوره وتقديره ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عن الخمر والميسر بدلالة التفریع.
 «واقصر الآية على تبين مفسد شرب الخمر وتعاطي الميسر دون تبين ما في عبادة الأنصاب والاستقسام بالأزلام من الفساد، لأن إقلاع المسلمين عنهما قد تقرّر قيل هذه الآية من حين الدخول في الإسلام لأتّهما من مآثر عقائد الشرك، ولأنه ليس في النفوس ما يدافع الوازع الشرعي عنهما بخلاف الخمر والميسر فإن ما فيهما من اللذات التي ترجي بالنفوس إلى تعاطيها قد يدافع الوازع الشرعي، فلذلك أكّد النهي عنهما أشدّ ممّا أكّد النهي عن الأنصاب والأزلام»^٣.

شأن نزولها

قال الزمخشري: أنزل الله تعالى في الحمر ثلاث آيات ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^٤ فكان المسلمون بين شاربي وتاركي إلى أن شرّبها رجل، فدخّل في الصلاة فهجر، فنزلت: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾^٥ فشربها من شرب

١. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٠٠.

٢. التبيان ٤/ ١٨.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٠٢.

٤. سورة البقرة / ٢١٩.

٥. سورة النساء / ٤٣.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى شَرِبَهَا عُمَرُ، فَأَخَذَ لِحْيَ بَعِيرٍ، فَشَجَّ رَأْسَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَنُوحُ عَلَى قَتْلِ بَدْرِ بِشَعْرِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ^١:

وكأئن بالقليبِ قليبِ بدرٍ من القينات^٢ والشرب الكرام
وكأئن بالقليبِ قليبِ بدرٍ من الشيزي المكلل^٣ بالسنام
أيوعدنا ابن كَبْشَةَ أن سَنَحِيَا وكيف حياةً أصداءٍ وهام!
أيعجز أن يردَّ الموتَ عني ويثُثُرني إذا بليت عظامي!
ألا من مبلِّغِ الرحمن عني بأني تاركُ شهر الصيام
فقلُ لله يَمُنُّعني شراي وقلُ لله يَمُنُّعني طعامي
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً يجرُّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده ليضربه، فقال: أعود بالله من غضب الله وغضب رسوله، فأنزل الله سبحانه وتعالى:
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ فقال عمر: انتهينا.^٤

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى

رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُمِينُ ﴾

بعد ما «أمر الله تعالى باجتنب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام أمر في هذه

١. في المصدر: الأسود بن عبد يغوث.

٢. في المصدر: الفتبان.

٣. في نسختين مخطوتين: الكامل، وفي النهاية، ولسان العرب: تزئين.

والشيزي: شجرٌ يتخذ منه الجفان، وأراد بالجفان أربابها الذين كانوا يطعمون فيها وقتلوا بدر وألقوا في القليب، فهو يرثيهم، وسمي الجفان (شيزي) باسم أصلها. النهاية ٥١٨ / ٢؛ لسان العرب - شيز - ٣٦٢ / ٥.

٤. ربيع الأبرار ٥١ / ٤ ونقل عنه في البرهان في تفسير القرآن ٣٥٥ / ٢، ح ١٣.

الآية بطاعته في ذلك وغيره من أوامر الله تعالى^١ و «تأكيد للأمر السابق باجتناب هذه الأرجاس أولاً بالأمر بطاعة الله سبحانه ويده أمر التشريع، وثانياً بالأمر بطاعة الرسول وإليه الإجراء، وثالثاً بالتحذير صريحاً»^٢.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ مَا بَعْدَهَا ﴿أَطِيعُوا﴾ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَشَاهِدَ آخَرَ عَلَى أَنَّ الْاسْتِفْهَامَ فِيهِ مَعْنَاهُ النَّهْيُ.

﴿أَطِيعُوا﴾ فَعَلَ أَمْرٌ وَفَاعِلُهُ. «وَالطَّاعَةُ هِيَ امْتِثَالُ الْأَمْرِ وَالانْتِهَاءُ عَنِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَلِذَلِكَ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الطَّاعَةُ طَاعَةً لِأَثْنَيْنِ بِأَنْ يُوَافِقَ أَمْرُهُمَا وَإِرَادَتُهُمَا»^٣.

﴿اللَّهُ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ إِرْشَادِي لِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَقْلَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي يَحْكُمُ بِهَا الْعَقْلُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ فِي التَّشْرِيْعِ وَالتَّكْوِينِ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمُسْتَقْلَاتِ الْعَقْلِيَّةِ لَا يَعْقِلُ ثُبُوتَ الْأَمْرِ الْمَوْلُويِّ فِيهِ لِلزُّومِ اللَّغْوِيَّةِ.

وَالْأَمْرُ الْإِرْشَادِي، إِرْشَادٌ إِلَى حُكْمِ الْعَقْلِ وَلَا يَتَرْتَبُ عَلَى طَاعَتِهِ ثَوَابٌ وَلَا عَلَى مَخَالَفَتِهِ عِقَابٌ.

وَطَاعَةُ اللَّهِ هِيَ الْإِطَاعَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشُرَائِعِهِ وَغَيْرِ هَذِهِ الْإِطَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ مَوْلُويًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَحْكَامِ وَالْقَوَانِينِ الْإِلَهِيِّ، الْأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ مَجْدَدًا تَأْكِيدًا إِلَى مِرَاعَاةِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ وَالْقَوَانِينِ وَلَيْسَ أَمْرًا مَوْلُويًّا حَدِيثًا بَلْ يَكُونُ أَمْرًا إِرْشَادِيًّا إِلَى مِرَاعَاةِهَا وَاحْتِرَامِهَا.

﴿وَ عَاطِفَةٌ.

﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ تَأْكِيدٌ لـ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فَيَكُونُ الْأَمْرُ فِيهِ إِرْشَادِيًّا أَيْضًا غَايَةَ الْأَمْرِ التَّشْرِيْعِي نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالْإِجْرَاءُ عَلَى عَاتِقِ رَسُولِهِ ﷺ .

١. التبيان ٤/ ١٩ .

٢. الميزان ٦/ ١٢٥ .

٣. التبيان ٤/ ١٩ .

ولكن هذا خلاف ظاهر الآية لأجل تكرار كلمة ﴿أَطِيعُوا﴾ لأن الأمران إذا كان يرجعان إلى شيء واحد لا يحتاج إلى تكرار ﴿أَطِيعُوا﴾، وتكرارها يشير إلى أن المراد بطاعة الرسول ﷺ طاعته في ولايته وسلطته وحكومته وكيفية إجراء أحكام الله على يديه فحينئذ يكون طاعة الرسول غير طاعته في أحكام الله وشريعته النازلة إليه ﷺ وهذا سرّ تكرير كلمة ﴿أَطِيعُوا﴾ ويكون الأمر فيه مولوياً لأن إطاعة الرسول في هذه الأمور واجبٌ مولويٌّ ويترتب على طاعته الثواب وعلى معصيته العقاب. و«ال» في ﴿الرَّسُولَ﴾ للعهد والمراد به هو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحْذَرُوا﴾ أمر بالحذر «وهو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر»^١. «والأمر بالحذر أيضاً دالٌّ على أهمية الأحكام الإلهية، فإنَّ الحذر يقي الإنسان من الشرِّ، ويجعله في اتِّقاء مستمرٍّ لكلِّ سيئةٍ والعلم بكلِّ حسنة، فيكون تأكيداً شديداً على المراقبة ودوام الطاعة»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية عن ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، في محلِّ جزمٍ لأنَّه فعل الشرط. «التولي هنا استعارة للعصيان، تُشبه العصيان بالإعراض والرجوع عن الموضوع الذي كان به العاصي، بجامع المقاطعة والمفارقة، وكذلك يطلق عليه الإدبار»^٣. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَعْلَمُوا﴾ فعل أمر وفاعله جواب الشرط. تنبيه على أهمية الخبر وفيه وعيد

١. التبيان ٤/ ١٩.

٢. مواهب الرحمن ١٢/ ٢٠٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٠٢.

وتهديد.

﴿أَنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. ﴿أَنَّمَا﴾ وما بعدها سدّ مسدّ مفعولي ﴿أَعْلَمُوا﴾. و
﴿أَنَّمَا﴾ تفيد الحصر لآئها أخت «إنها» المكسورة.

﴿عَلَى رُسُولِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. خبر مقدم. «وفي اضافة الرسول إلى
ضمير الجلالة تعظيم لجانب هذه الرسالة وإقامة لمعذرتة في التبليغ بأنه رسول من
القادر على كل شيء، فلو شاء مُرسله لهدى المرسل إليهم فإذا لم يهتدوا فليس ذلك
لتقصير من الرسول»^١.

﴿أَلْبَلَّغُ﴾ مبتدأ مؤخر. يعني الايصال والأداء.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ نعت. يعني الظاهر الواضح. وتوصيف ﴿أَلْبَلَّغُ﴾ بـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾
«استقصاء في معذرة الرسول وفي الإعذار للمعرضين عن الامتثال بعد وضوح البلاغ
وكفايته وكونه مؤيداً بالحجة الساطعة»^٢.

تنبيه

في تفسير القمي: «يقول: لا تعصوا ولا تركنوا إلى الشهوات من الخمر والميسر
﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ - يقول: عصيتم - ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رُسُولِنَا أَلْبَلَّغُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ قد بلغ
وبين فانتهوا.

وقال رسول الله ﷺ: إنه سيكون قوم يبيتون وهم على شرب الخمر واللّهو
والغناء، فبينما هم كذلك إذ مسخوا من ليلتهم، وأصبحوا قرده وخنازير!
وهو قوله: ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ أن يحلّ بكم مثل ما حلّ بمن تعدّى وعصى.
فلما نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما، قال الناس من المهاجرين
والأنصار: يا رسول الله! قُتِل أصحابنا وهم يشربون الخمر، وقد سمّاه الله رجساً

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٠٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٠٣.

وجعله من عمل الشيطان، وقد قلت ما قلت، أفيض أصحابنا ذلك شيئاً بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا...﴾^١.

فهذا لمن مات أو قُتِل قبل تحريم الخمر، والجناح: هو الإثم على من شربها بعد التحريم^٢.

رواية

وفي صحيحة الحسين بن نعيم الصحاف قال: وسألته (أي أبا عبد الله عليه السلام) عن قوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾^٣.

فقال: أما والله ما هلك من كان قبلكم، وما هلك من هلك حتى يقوم قائمنا عليه السلام إلا في ترك ولايتنا وجحود حقنا، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا حتى ألزم رقاب هذه الأمة حقنا: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٤.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ

سُحْبُ الْحَسَنِينَ ﴿

«قال ابن عباس و...: إنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة كيف بمن مات

١. سورة المائدة / ٩٣.

٢. تفسير القمي / ١ / ٢٦٥.

٣. سورة التغابن / ١٢.

٤. سورة البقرة / ٢١٣؛ سورة النور / ٤٦.

٥. الكافي / ٢ / ٣٩٩، ح ٧٤ (١/٤٢٦).

من إخواننا وهو يشرها، فأنزل الله الآية وبين أنه ليس عليهم في ذلك شيء إذا كانوا مؤمنين عاملين للصالحات، ثم يتقون المعاصي وجميع ما حرم الله عليهم^١.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ جار ومجرور، في محل نصب خبر مقدم ﴿لَيْسَ﴾.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله، ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﷺ والعقائد الحقّة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمِلُوا﴾ معطوفة على ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿الصَّلِحَتِ﴾ مفعول به «ال» للجنس.

﴿جُنَاحٌ﴾ اسم مؤخر ﴿لَيْسَ﴾. أي إثم.

﴿فِيمَا﴾ حرف جر و «ما» موصولة أو مصدرية في محل جر، متعلقان بصفة

محذوفة من ﴿جُنَاحٌ﴾.

﴿طَعِمُوا﴾ فعل ماض وفاعله. تقديره على الموصولة ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ ه من الحلال

وعلى المصدرية: في طعامهم الحلال. الطُعْمُ والطعام هو التغذي يستعمل في الأكل والشرب معاً والثاني نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^٢.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، وحيث جاء بعد فعل ماض يصير ظرفاً للماضي على أصح

القولين.

﴿مَا﴾ حرف زائد.

﴿اتَّقُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿إِذَا مَا اتَّقُوا﴾ من الحرام في الأطعمة في

زمانهم أي قبل تشريع حكم حرمة النبي للخمر وغيرها.

﴿وَ﴾ عاطفة تفسيرية، فسّر ما بعدها المراد من التقوى.

١. التبيان ٤/ ٢٠.

٢. سورة البقرة / ٢٤٩.

﴿ءَامِنُوا﴾ معطوفة على ﴿اتَّقُوا﴾، تأكيد للإيمان السابق.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ معطوفة على ﴿اتَّقُوا﴾.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿اتَّقُوا﴾ معطوفة على ﴿اتَّقُوا﴾ السابق. للتأكيد على استمرار التقوى ولكن لا

بالنسبة إلى الأطعمة والأشربة المحرمة فقط بل إلى جميع المحرمات والمعاصي والعمل بجميع الواجبات.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَامِنُوا﴾ معطوفة على ﴿اتَّقُوا﴾ وهذه التقوى الثانية توجب زيادة الإيمان لأنَّ

الاستمرار على التقوى يوجب الزيادة في الإيمان.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿اتَّقُوا﴾ معطوفة على ﴿اتَّقُوا﴾ الثانية. ثمَّ زيادة الإيمان يوجب استحكام

التقوى وزيادتها.

والحاصل: بين الإيمان والتقوى ارتباط تقابلي بحيث الإيمان يوجب التقوى

وكلِّها زادت التقوى زاد الإيمان وكلِّها زاد الإيمان زادت التقوى وكلاهما مقولان

بالتشكيك ولعلَّ سرَّ تكرير الإيمان والتقوى في الآية الشريفة ثلاث مرَّات بيان هذا

الارتباط التقابلي وتشكيكيتها والله العالم بأسرار كلامه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحْسَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. الاستمرار على الإيمان والتقوى يوجب زيادتها

وإذا زاداً يوجبان الإحسان إلى العباد للمعاد أو كثرته.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.

﴿الْحَسَنِينَ﴾ مفعول به. والجملة ﴿يُحِبُّ الْحَسَنِينَ﴾ خبر.

الروايات

صحیحة عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الحد في الخمر إن شرب منها قليلاً أو كثيراً.

قال: ثم قال: أتى عمر بقدامة بن مظعون، وقد شرب الخمر، وقامت عليه البيّنة، فسأل علياً عليه السلام، فأمره أن يجلده ثمانين، فقال قدامة: يا أمير المؤمنين، ليس عليّ حدٌّ؛ أنا من أهل هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾ ٢.١

رواها العياشي في تفسيره^٣ والصدوق في علل الشرائع^٤ والشيخ في التهذيب^٥.

عن أبي الربيع، عن أبي عبد الله عليه السلام، في الخمر والنبذ، قال: إنَّ النبيذ ليست بمنزلة الخمر، إنَّ الله حرّم الخمر بعينها، فقليلها وكثيرها حرام، كما حرّم الميئة والدم ولحم الخنزير، وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشراب من كلّ مُسكر، فما حرّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد حرّمه الله.

قلت: فكيف كان صرّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخمر؟ فقال: كان يضرب بالنعل، ويّزيد وينقص، وكان الناس بعد ذلك يّزيدون وينقصون ليس بحدٍّ محدود حتّى وقف عليّ بن أبي طالب عليه السلام في شارب الخمر على ثمانين جلدة، حيث صرّب قدامة بن مظعون.

قال: فقال قدامة: ليس عليّ جلدٌ، أنا من أهل هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ فقال له: كذّبت، ما

١. سورة المائدة / ٩٣.

٢. الكافي ١٤ / ١٢١، ح ١٠ (٧ / ٢١٥).

٣. تفسير العياشي ٢ / ٧٥، ح ١٩١ و ١٩٢ مع اختلاف يسير.

٤. علل الشرائع / ٥٣٩، ح ٧.

٥. التهذيب ١٠ / ٩٣، ح ٣٦٠.

أنت منهم، إن أولئك كانوا لا يشربون حراماً. ثم قال عليّ عليه السلام: إنَّ الشارب إذا شرب فسكّر، لم يدر ما يقول وما يصنع، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى بشارب الخمر ضربه، فإذا أتى به ثانيةً ضربه، فإذا أتى به ثالثةً ضرب عنقه.

قلت: فإن أخذ شارب نبيذ مُسكر قد انتشى^١ منه؟ قال: يُضرب ثمانين جلدةً، فإن أخذ ثالثةً قُتل كما يُقتل شارب الخمر.

قلت: إن أخذ شارب الخمر نبيذ مُسكر سكر منه، أيجلد ثمانين؟ قال: لا، دون ذلك، كل ما أسكر كثيره، فقليله حرام.^٢

روي أن قدامة بن مظعون شرب الخمر في أيام عمر، فأراد عمر أن يقيم عليه الحد فقال ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد حين لم يعلم تحريمها. فقال أمير المؤمنين عليه السلام أديروه على الصحابة، فإن لم يسمع أحداً منهم قرأ عليه آية التحريم، فأدرؤا عنه، وإن كان قد سمع فاستتيبوه، وأقيموا عليه الحد، فإن لم يتب وجب عليه القتل^٣.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَنَّهُمْ اللَّهُ شَيْءٌ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن تَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وردت هذه الآية الشريفة تبيناً لقوله تعالى في أول سورة: ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾^٤ وتمهيداً للآية الآتية.

١. أي سكر.

٢. تفسير العياشي ٧٦/٢، ح ١٩٣.

٣. التبيان ٢٠/٤ و ٢١، مجمع البيان ٣/٢٤٢.

٤. سورة المائدة / ١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين لأن العمل على وفق الشريعة المقدسة لا يحصل إلا من ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ولذا خاطبهم الله تعالى.
﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم مقدر.

﴿يَبْلُغُونَكُمْ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة ومفعول به مقدم. البلاء: الامتحان والاختبار. ولام القسم ونون المشددة تأكيدان مضافاً إلى الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار.

«ونون التأكيد لا تدخل على المضارع في جواب القسم إلا وهو بمعنى المستقبل»^١.

﴿لَيَبْلُغَنَّكُمْ﴾: ليختبرنكم وليمتحننكم.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿بِشَيْءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَيَبْلُغَنَّكُمْ﴾. والتنكير «يفيد التحقير ليكون تلقينه للمخاطبين عوناً لهم إلى انتهائهم»^٢.

أو يفيد التكثير^٣ أو للتنويع^٤.

﴿مَنْ﴾ حرف جر، بيانية.

﴿الصَّيْدِ﴾ مجروره. متعلقان بصفة محذوفة ﴿بِشَيْءٍ﴾، ﴿مَنْ الصَّيْدِ﴾ في حال

الإحرام أو في الحرم.

﴿تَنَالَهُ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم، الضمير المفعولي يرجع إلى ﴿الصَّيْدِ﴾،

في محلّ جر صفة لـ ﴿الصَّيْدِ﴾ أو في محلّ نصب حال منه. ﴿تَنَالَهُ﴾: يسهل أخذه ويمكنكم أخذه بسهولة وصيده يسر.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٠٧.

٢. الميزان ٦/١٣٨ وأصله من الزمخشري في الكشاف ١/٦٧٧ حيث ذهب أنه للتقليل والتصغير.

٣. كما في مواهب الرحمن ١٢/٢٣١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٠٩.

﴿أَيْدِيكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المؤمنين المخاطبين. «كما في فراخ الطير وصغار الوحش والبيض تنالها الأيدي فتصطاد بسهولة»^١ بالأيدي. أو طرح شبك أو وصل حبال أو إرسال الجوارح لأنها تؤول إلى الإمساك باليد.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رِمَاحُكُمْ﴾ معطوفة على ﴿أَيْدِيكُمْ﴾، أي بالسلاح من الرُمح والنبل وغيرهما.

﴿إِ﴾ حرف جر، للتعليل وما بعدها تعليل لقوله ﴿لَيَبْلُوكُمْ﴾.

﴿يَعْلَمَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿تَخَافُهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. ﴿تَخَافُهُ﴾: يحذره.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَخَافُهُ﴾. «يعني مَنْ يخشى عقابه إذا توارى

بحيث لا يقع عليه الحس»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية على ﴿لَيَبْلُوكُمْ﴾ وما بعدها تصريح بالتحذير السابق من الابتلاء.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿أَعْتَدَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿مَنْ﴾، فعل

الشرط في محل جزم. ﴿أَعْتَدَى﴾: تجاوز حدَّ الله بمخالفة أمره وارتكاب نهيته.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان.

﴿ذَلِكَ﴾ خبر. أي ﴿بَعْدَ﴾ هذا البيان الصادر من الابتلاء والتحذير.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها جواب الشرط في محل

جزم.

١. الميزان ٦/ ١٣٨.

٢. التبيان ٤/ ٢٢.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ، أي عقاب.
﴿أَلِيمٌ﴾ نعته، أي شديد.

شأن نزولها

في تفسير القمي: قال: نزلت في غزوة الحديبية، قد جمع الله عليهم الصيد، فدخل بين رحائلهم ليلوئهم الله، أي يختبرهم.
قوله: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فهو يعلم قبل ذلك، ولكنه لا يعذب أحداً إلا بحجة بعد إظهار الفعل^١.

الروايات

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال: حشرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية الوحوش حتى نالتها أيديهم ورماحهم^٢.
صحيحة الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾؟
قال: حشر عليهم الصيد في كل مكان حتى دنا منهم ليلوئهم الله به^٣.
مرفوعة أحمد بن محمد في قوله تعالى: ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾، قال: ما تناله الأيدي البيض والفراخ، وما تناله الرماح فهو ما لا تصل إليه الأيدي^٤.
عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾، قال: حشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحوش حتى نالتها أيديهم ورماحهم في عمرة

١. تفسير القمي ١/ ٢٦٦.

٢. الكافي ٨/ ٥٤٢، ح ١ (٣٩٦/٤).

٣. الكافي ٨/ ٥٤٣، ح ٢ (٣٩٦/٤).

٤. الكافي ٨/ ٥٤٤، ح ٤ (٣٩٧/٤).

الحُدَيْبِيَّة، لِيَلُوْهُمُ اللهُ بِهِ. ١.

صحيحة حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وان وطىء المحرم بيضة وكسرهما فعليه درهم كل هذا يتصدق به بمكة ومنى وهو قول الله تعالى: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ ٢.

فإن كان الحمام من حمام الحرم وقتله في الحرم وهو حلال لزمه القيمة لا غير، وان كان محرماً في الحرم لزمته القيمة والدم، وان كان محرماً في الحل لزمته الكفارة فحسب. ٣.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾

بيان لما ورد في الآية السابقة من الإشارة إلى أحكام الصيد في حال الإحرام أو في الحرام وكفارته.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين لما ورد من بعده من الأحكام الشرعية الفرعية التكليفية ولا يلتزم بها إلا المؤمنون.

﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ فعل نهي وفاعله.

﴿الصَّيْدَ﴾ مفعول به. أي لا تصطادوا بلا فرق بين قتله أو أخذه.

١. تفسير العياشي ٧٧/٢، ح ١٩٥.

٢. سورة المائدة / ٩٤.

٣. تهذيب الأحكام ٣٤٦/٥، ح ١١٥.

- ﴿وَ﴾ حالية، والجملة بعدها حال.
- ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، الضمير يرجع إلى المؤمنين المخاطبين.
- ﴿حُرْمٌ﴾ خبر، حُرْم: جمع حرام صفة مشبهة بمعنى مُحْرَم. كما أن الحلال يأتي بمعنى المُحَلَّل. وأصل الحرمة: المنع.
- ﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.
- ﴿قَتَلَهُر﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ والمفعولي إلى ﴿الْصَّيْدِ﴾.
- ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة مِنْ ﴿مَنْ﴾. أي حال كونه ﴿مِنْكُمْ﴾.
- «مِنْ» هنا بيانيٌّ.
- ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿قَتَلَهُر﴾.
- ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها في محلّ جزم جواب الشرط.
- ﴿جَزَاءً﴾ مبتدأ. وخبره محذوف أي ﴿فَ﴾ عليه ﴿جَزَاءً﴾. الجزاء: العوض عن العمل وهنا تأديب وعقوبة على صفة الكفارات.
- ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿جَزَاءً﴾ أو بدله. المثل: الشُّبُه. المشابهة هنا في الخلقة والهيئة دون القيمة.
- ﴿مَا﴾ موصولة، مضاف إليه. ﴿قَتَلَ﴾ فعل ماض وفاعله.
- ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَا﴾. و ﴿مِنْ﴾ بيانيٌّ. ﴿النَّعَمِ﴾: الإبل والبقر والغنم.
- ﴿يَحْكُمُ﴾ فعل مضارع، صفة لـ ﴿جَزَاءً﴾.
- ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَحْكُمُ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿مَثَلُ﴾.
- ﴿ذَوَا﴾ فاعل، مفردة «ذو» بمعنى صاحب.
- ﴿عَدَلٍ﴾ مضاف إليه. أي عادلان لأنّ التقويم المعتبر في المثلية يحتاج إلى النظر

والخبروية فيعتبر فيها الشهادة.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَدَلٍ﴾.

﴿هَدْيًا﴾ حال من الضمير في ﴿بِهِ﴾. هدي: قربان.

﴿بَلَّغَ﴾ صفة لـ ﴿هَدْيًا﴾. ﴿بَلَّغَ﴾: واصل.

﴿الْكَعْبَةَ﴾ مضاف إليه. والمراد بها هنا: الحرم. أي ذبحه في الحرم. وقد ورد

التفصيل من أئمتنا عليهم السلام أن كفارة الصيد ان كان في إحرام العمرة ذبحها بمكة قبالة

الكعبة وإن كان في احرام الحج ذبحه بمنى ويصدق عليها الحرم.

﴿أَوْ﴾ عاطفة للتخيير. ﴿كَفَّرَهُ﴾ عطف على ﴿فَجَزَاءً﴾.

﴿طَعَامٌ﴾ بدل من ﴿كَفَّرَهُ﴾، وسمى الإطعام كفارة لأنه ليس بجزاء، إذ الجزاء

هو العوض والعوض مأخوذ فيه المماثلة.

﴿مَسْكِينٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَوْ﴾ عاطفة للتخيير.

﴿عَدْلٌ﴾ معطوف على ﴿طَعَامٌ﴾، العَدْلُ: المساوي للشيء قيمة من غير جنسه

والعَدْلُ: المساوي له من جنسه.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، مضاف إليه، اشارة إلى ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾.

﴿صِيَامًا﴾ تمييز ﴿عَدْلُ ذَلِكَ﴾. أي يصوم عن كل مسكين يوماً على ما هو

منصوص في الأخبار. ٢.

﴿إِ﴾ حرف جر، تعليلية، وما بعدها علّة الجزاء مطلقاً.

﴿يَذُوقُ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وفاعله ضمير

مستتر «هو». والمصدر المنسبك من أن ﴿يَذُوقُ﴾ مجرور باللام ومتعلق بـ ﴿صِيَامًا﴾.

﴿وَبَالَ﴾ مفعول به. الوبال: الثقل المكروه.

١. راجع وسائل الشريعة ١٣/٩٥، الباب ٤٩ من أبواب كفارات الصيد.

٢. راجع تفسير العياشي ٢/٨٠، ح ٢٠٧.

﴿أَمْرِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي ﴿لَيَذُوقَ﴾ ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام.

﴿عَفَا﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعل.

﴿عَمَّا﴾ حرف جر «عن» و «مَا» موصولة. جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَفَا﴾.

﴿سَلَفَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». امتنانٌ إلهيٌّ بالعفو قبل نزول

الحكم من دون إثم وكفارة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ عَادَ﴾ معطوف على ﴿مَنْ قَتَلَ﴾. أي ﴿مَنْ عَادَ﴾ بعد الحرمة وبيان الكفارة،

أو ﴿مَنْ عَادَ﴾ إلى الصيد مرةً أخرى بعد ما تعلق به الكفارة.

لأنَّ المحرم إذا تكرر منه الصيد عمداً لم تلزمه الكفارة إلا في أول مرة^١. وإذا

تكرر خطأً لزمه الكفارة^٢.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿يَنْتَقِمُ﴾ فعل مضارع. إخبار عن المستقبل. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَنْتَقِمُ﴾. والضمير يرجع إلى المعيد

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَزِيزٌ﴾ خبر. ﴿ذُو﴾ صفة أو بدل ﴿عَزِيزٌ﴾.

﴿أَنْتِقَامٍ﴾ مضاف إليه. تأكيد شديد على مراعاة الأحكام الإلهية. وهو ﴿ذُو

أَنْتِقَامٍ﴾ ممن يتعدى حدوده ويعصي أوامره وأحكامه.

و تفصيل بحث كفارات الصيد موجود في كتاب الحج من الكتب الفقهية

فراجع.

١. راجع وسائل الشريعة ١٣/٩٣، الباب ٤٨ من أبواب كفارات الصيد.

٢. راجع وسائل الشريعة ١٣/٩٢، الباب ٤٧ من أبواب كفارات الصيد.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ
مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

استئناف بياني نشاء من الآية السابقة وتبيين بالنسبة إلى ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾.
﴿أُحِلَّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وفي الواقع إبقاء حليته قبل الإحرام على
خلاف صيد البرِّ.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُحِلَّ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾.
﴿صَيْدُ﴾ نائب فاعل. والمراد به هنا المصيد والاصطياد أي معنا المصدرى واسم
المصدرى كما حملة على المعنيين الشيخ الطوسي^١ في ﴿صَيْدُ الْبَرِّ﴾.
﴿الْبَحْرِ﴾ مضاف إليه. ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ هو الحيوان الذي لا يعيش إلا في الماء
كالأسماك ذات الفلُس أو الحيوان الذي يبيض أو يفرخ في الماء.^٢ و ﴿الْبَحْرِ﴾: الماء
الكثير بحرًا كان أو نهرًا أو غديرًا أو بركة أو بئرًا.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿طَعَامُهُ﴾ معطوف على ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى
﴿الْبَحْرِ﴾. والمراد بالطعام هنا ما يؤكل من ﴿الْبَحْرِ﴾ حلية أكله.
و «محصل المراد من حل صيد البحر وطعامه جواز اصطياد حيوان البحر وحلّ
أكل ما يؤخذ منه»^٣ في حال الإحرام وغيره وفي الحرم لو وجد زمان ما.
﴿مَتَعًا﴾ مفعول لأجله لـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾. أي: تمتعًا. المتاع: ما يتمتع به.
والتمتع: انتفاع بما يلد ويسرّ.

١. التبيان ٤/ ٢٩.

٢. بالفارسية يعنى: حيوانى كه تخم يا جوجه هر دو در دريا كند.

٣. الميزان ٦/ ١٤١.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿مَتَّعًا﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين المخاطبين الصائدين الحاضرين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لِلسَّيَّارَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُحِلَّ﴾، «السيارة: الجماعة السائرة في الأرض للسفر والتجارة وتأنيث باعتبار الجماعة»^١. فالسيارة: جماعة المسافرين. أي ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ للحاضرين والمسافرين وبقرينة المقابلة يكون المراد «﴿مَتَّعًا﴾ للمحرمين وغيرهم»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة والجملة بعدها معطوفة على جملة ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾.

﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ تعرب اعراب جملة معطوفة إليها. يعني: صيد البر في حال الاحرام حرام ويحكم عليه بأنه ميتة فلا يجوز للصائد وغيره أكله وكذلك في الحرّم.

﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية. ﴿دُمْتُمُ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿حُرْمًا﴾ خبره. أي محرمين.

﴿وَ﴾ استثنائية وما بعدها تحذير على المخالفة ووعيد عليها.

﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، «أمر منه تعالى بأن يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع

محارمه من الصيد في الاحرام وغيره»^٣.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول صفة لـ ﴿اللَّهُ﴾.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُحْشَرُونَ﴾.

﴿تُحْشَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. الحشر: جمع الناس في

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٢٠.

٢. الميزان ٦/ ١٤١.

٣. التبيان ٤/ ٢٩.

مكان مع سوق. ويجازي الله «كلاً بعمله: المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته»^١.

روايتان

صحيحة حريز، عمّن أخبره: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا بأس بأن يصيد المحرم السمك، ويأكل ماله وطريه، ويتزود وقال: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعًا لَكُمْ﴾.

قال: ماله الذي يأكلون، وفصل ما بينهما كل طير يكون في الآجام يبيض في البرّ ويفرخ في البرّ، فهو من صيد البرّ، وما كان من صيد البرّ يكون في البرّ ويبيض في البحر ويفرخ في البحر، فهو من صيد البحر.^٢

رواها العياشي^٣ مرسلًا والشيخ بسند صحيح في التهذيب^٤.

عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، قال: هي الحيتان المالح، وما تزوّدت منه أيضاً، وإن لم يكن مالحاً فهو متاع.^٥

١. التبيان ٢٩/٤.

٢. الكافي ٨/٥٣٢، ح ١ (٣٩٢/٤).

٣. تفسير العياشي ٨١/٢، ح ٢١٣.

٤. التهذيب ٥/٣٦٥، ح ١٨٣.

٥. تفسير العياشي ٨١/٢، ح ٢١٤.

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
وَالْقَلْتِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

بيان «تعظيم لشأن الكعبة المقدّسة، وبيان حرمة البيت الحرام، ومن محلّ فيه من
الإنسان والحيوان بأنّ لهما الأمن ما داموا في الحرم الإلهي، وأنّه سبب لحصول الخيرات
ونزول البركات في الدنيا والآخرة. وفيه التأكيد على مراعاة حرمة التكليف الإلهية
التي بيّنها ﷻ في الآيات السابقة»^١.

﴿ جَعَلَ ﴾ فعل ماضٍ، ومعنى الجعل هنا الإيجاد. والجعل هنا تشريعي وتكويني
كما صرح به السيّد السبزواري^٢.

﴿ اللَّهُ ﴾ فاعله، انتساب الجعل إلى الله يدلّ على أهمية شأن المفعول.
﴿ الْكَعْبَةَ ﴾ مفعول به أول. «الكعبة اسم للبيت الشريف زادها الله شرفاً ورفعته،
تأتي بمعنى الرفعة والعلو، ومنه كعب الرمح، أي الطرف الناشز، وكعب الرجل الجزء
الناتئ، وكعبت الجارية إذا نتأ ثدياها، قال تعالى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾^٣»^٤.

﴿ الْبَيْتَ ﴾ عطف بيان لـ ﴿ الْكَعْبَةَ ﴾ أو بدل لها.
﴿ الْحَرَامَ ﴾ صفة لـ ﴿ الْبَيْتَ ﴾. «الْحَرَامَ» مصدر «حَرُمَ» إذا مُنِعَ، ووصف الشيء
بحرام مبالغة في كونه ممنوعاً من أيدي الجبابرة فهو محترم عظيم المهابة.

﴿ قِيَمًا ﴾ مفعول به ثان. القيام والقوام بمعنى العماد، قوام للأمر: ما يستقيم به

١. مواهب الرحمن ١٢ / ٢٤٥.

٢. مواهب الرحمن ١٢ / ٢٤٥.

٣. سورة النبأ / ٣٣.

٤. مواهب الرحمن ١٢ / ٢٤٥.

أمره. و «القيام هنا بمعنى الصلاح والنفع»^١.
 ﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿قِيَمًا﴾. أي يقوم به أمر
 الناس ويصلح ويستقيم في الدنيا والآخرة.
 قال القمي: «مادامت الكعبة قائمة ويحج الناس إليها لم يهلكوا، فإذا هُدمت
 وتركوا الحج هلكوا»^٢.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿الْكَعْبَةَ﴾. والأشهر الحرم هي: رجب وذو
 القعدة وذو الحجة والمحرم، وقد جعل الله مناسك الحج في ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أي ذي
 الحجة. وقد حرم الله القتال في ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
 الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ^٣. «وقد حرم
 سبحانه القتال فيها وفي حرمه إلا دفاعاً عن النفس أو المال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
 عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ^٤. وقال: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَأَحْرَمَتْ
 قِصَاصٌ^٥ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ^٦».

﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿الْهَدَى﴾ معطوف على ﴿الشَّهْرَ﴾. ﴿الْهَدَى﴾: ما يذبح في الحرم من الأنعام وهو
 ما يهدى إلى البيت من الأنعام فتذبح وتوزع لحومها بين الناس وفقرائهم.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٢٣.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٧٣.

٣. سورة البقرة/ ٢١٧.

٤. سورة البقرة/ ١٩٠.

٥. سورة البقرة/ ١٩٤.

٦. التفسير الكاشف ٣/ ١٢٩.

﴿أَقْلَبِدْ﴾ معطوف على ﴿أَهْدَى﴾ من قبيل عطف الخاص على العام. أي ذوات القلائد من الأنعام لأنهم كانوا يقلدون الهدى بما يدل عليه أي يضعون في عنقه علامة تدل على أنه يهدى إلى البيت العتيق كي لا يتعرض أحد له.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشاره، اشارة إلى حكمة هذا التشريع. مبتدأ، إشارة إلى ﴿جَعَلَ اللَّهُ﴾ في أول الآية. أو خبر لمبتدأ محذوف نحو: العمل ﴿ذَلِكَ﴾، أو مفعول لفعل محذوف تقديرية: فعل الله ﴿ذَلِكَ﴾.

﴿لِ﴾ للتعليل.

﴿تَعْلَمُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله. بتأويل المصدر متعلق بمحذوف خبر. ويمكن أن يكون مفعولاً لفعل محذوف تقديره: فعلنا ﴿ذَلِكَ﴾ من أجل إعلامكم.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾، في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ بتأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿لِتَعْلَمُوا﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به ﴿يَعْلَمُ﴾.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف: وجد. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾. أي ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ تفاصيل الأمور في الأرض والسماء ومنها التي تصلح الناس في دينهم وديناهم...»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿بِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾.

تأكيد على أن «تلك الأحكام التشريعية والأمور التكوينية التي اختص بها

البيت الحرام من أوضح الدلائل على إحاطة علمه الأتم وحكمته التامة المتعالية»^١.

الروايات

قال البرقي: وفي رواية إسماعيل بن مسلم، عن جعفر، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: النظر إلى الكعبة حباً يهدم الخطايا هدماً.^٢

احمد بن محمد بن خالد البرقي عن أبيه، عن علي بن حديد، عن مرزم، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من أيسر ما ينظر إلى الكعبة أن يعطيه الله بكل نظرة حسنة، ويمحى عنه سيئة، ويرفع له درجة.^٣

احمد بن محمد بن خالد البرقي عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن يوسف، عن زكريا، عن علي بن عبدالعزيز، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من أتى الكعبة، فعرف [من حقنا وحرمتنا ما عرف] من حقها وحرمتها، لم يخرج من مكة إلا وقد غفر له ذنوبه، وكفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا وآخرته.^٤

احمد بن محمد بن خالد البرقي عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن علي بن خالد، عن عمه حدثه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان يقول: الداخل الكعبة يدخل والله عنه راض، ويخرج منها عطلاً من الذنوب.^٥

عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، قال: جعلها الله لدينهم ومعايشهم.^٦

وقال الصادق عليه السلام: من نظر إلى الكعبة عارفاً فعرف من حقنا وحرمتنا مثل


١. مواهب الرحمن ١٢/٢٤٩.
٢. المحاسن ١/١٤٥، ح ١٤٩.
٣. المحاسن ١/١٤٥، ح ١٥٠.
٤. المحاسن ١/١٤٥، ح ١٥١.
٥. المحاسن ١/١٤٦، ح ١٥٢.
٦. تفسير العياشي ٢/٨١، ح ٢١٥.

الَّذِي عَرَفَ مِنْ حَقِّهَا وَحَرَمَتِهَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا وَكَفَاهُمْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. ١
وروي «أنَّ من نظر إلى الكعبة لم يزل تكتب له حسنة وتمحى عنه سيئة حتى
يصرف ببصره عنها». ٢.

وقال الصادق عليه السلام: من أمَّ هذا البيت حاجاً أو معتمراً مبرئاً من الكبر رجع من
ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، والكبر هو أن يجهل الحقَّ ويطعن على أهله، ومن فعل ذلك
فقد نازع الله رداءه. ٣.

وقال عليه السلام: دخول الكعبة دخول في رحمة الله، والخروج منها خروج من
الذُّنُوبِ، معصوم فيما بقي من عمره، مغفور له ما سلف من ذنوبه. ٤.
وقال عليه السلام: من دخل الكعبة بسكينة وهو أن يدخلها غير متكبرٍ ولا متجبرٍ غفر
له. ٥.

والروايات في هذا المجال كثيرة فإن شئت راجع وسائل الشيعة^٦.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 

تأكيد شديد لمراعاة الأحكام الماضية وغيرها من أحكام الله وتثبيت لها في
النفوس لئلا يتوهم أحد في أنها أحكام قليلة الجدوى ووعيد شديد لمن ينتهك حرمت
الله ويتولى العمل بها.

١. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٢٠٤، ح ٢١٤٢.

٢. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٢٠٥، ح ٢١٤٣.

٣. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٢٠٥، ح ٢١٤٧.

٤. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٢٠٦، ح ٢١٤٩.

٥. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٢٠٦، ح ٢١٥٠.

٦. وسائل الشيعة ١٣/ ٢٣٦، الباب ١٨ من أبواب مقدمات الطواف، باب وجوب احترام الكعبة
وتعظيمها وتحريم هدمها وأذى مجاورها.

﴿أَعْلَمُوا﴾ فعل أمر وفاعله للإهتمام بالخبر الذي يليه، والخطاب للمؤمنين. و «العلم ما اقتضى سكون النفس، وان شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس إلى ما اعتقده، والأول أخص، ولا يجوز أن يجد العلم بأنه المعرفة، لأن المعرفة هي العلم، ولا يجد الشيء بنفسه. والعلم يتناول الشيء على ما هو به وكذلك الرؤية. والفرق بينهما ان العلم يتعلّق بالمعلوم على وجوه، والرؤية لا تتعلّق إلا على وجه واحد. والعلم محلّه القلب. والرؤية ليست معنى على الحقيقة وانما تثبت للرائي بكونه رائيا صفة. ومن قال هو معنى قال محلّها العين»^١.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد بعد تأكيد.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿شَدِيدٌ﴾ خبره.

﴿أَلْعِقَابِ﴾ مضاف إليه، والجملة ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي ﴿أَعْلَمُوا﴾. وفيها وعيد مع شائبة تهديد للعاصين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ معطوفة على ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ووعد للمطيعين وترغيب لهم.

«وقدّم الترهيب على الترغيب لأنّ من سنّته ﷺ أن ينتهي العقاب إلى العفو

والغفران فلا يدوم»^٢.

قال الشيخ الطوسي: «والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها. وأصلها الستر ومنه المغفرة وضم ذكر الرحمة إلى المغفرة لبيان سبوغ نعم الله تعالى، وانه إذا أزال العقوبة بالتوبة أوجب الرحمة التي هي المغفرة. وذلك يدل على أن الغفران عند التوبة

١. التبيان ٤/ ٣٣.

٢. مواهب الرحمن ١٢/ ٢٤٩.

غير واجب وأنه تفضل وإلا لم يكن كذلك»^١.

وقال الفخر الرازي: «وهذا تنبيه على دققة وهي أن ابتداء الخلق والإيجاد كان لأجل الرحمة والظاهر أن الختم لا يكون إلا على الرحمة»^٢.

رواية

حسنة معاذ بن ثابت الجوهري عن الصادق جعفر بن محمد، عن آبائه صلوات الله عليهم، عن رسول الله ﷺ، عن جبرئيل عليه السلام، قال: قال الله ﷻ: من أذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً وهو لا يعلم أن لي أن أعذبه به أو أعفو عنه لا غفرت له ذلك الذنب أبداً، ومن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً وهو يعلم أن لي أن أعذبه وأن أعفو عنه عفوت عنه.^٣

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

بيان لوظيفة الرسول الكريم وهو ﴿الْبَلْغُ﴾ وأما القبول والامتنال فإنه فعل المكلفين وجملة «معترضة ذيل بها التعريض بالوعيد والوعد. ومضمونها إعدار الناس لأن الرسول قد بلغ إليهم ما أراد الله منهم فلا عذر لهم في التقصير، والمنة لله ولرسوله فيما أرشدهم إليه من خير»^٤.

﴿مَا﴾ حرف نفي.

﴿عَلَى الرَّسُولِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿الرَّسُولِ﴾ هو صاحب الرسالة من جانب الله تعالى «والإتيان بحرف ﴿عَلَى﴾ دون «اللام» ونحوها مؤذن بأن المددود شيء

١. البيان ٤/٣٣.

٢. التفسير الكبير ١٢/١٠٢.

٣. التوحيد ٤١٠/١٠، ح ١٠ للشيخ الصدوق عليه السلام.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٢٧.

يتوهم أنه لازم للرسول من حيث إنه يدعي الرسالة عن الله تعالى»^١.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر والقصر إضافي أي دون إلحائكم إلى الإيمان.
 ﴿أَلْبَلَّغُ﴾ مبتدأ مؤخر. اسم أقيم مقام المصدر. «البلاغ: وصول المعنى إلى غيره وهو هاهنا وصول الانذار إلى نفوس المكلفين»^٢.

﴿و﴾ عاطفة وما بعدها عطف على الآية السابقة. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.
 ﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾، خبر.
 ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿تُبْدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ وتظهرون من الأقوال والأفعال والأحوال والمقصود منه التعميم والشمول.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ عطف على ﴿مَا تُبْدُونَ﴾، أي ﴿مَا﴾ تخفونها.

والحاصل: «الله الذي يعلم ما تبدون من الأقوال والأفعال، وما تكتُمون من العقائد والنوايا، فيجازيكم عليها بحسب علمه الأتم الأكمل، ويعاملكم ما تسحقون، فيكون جزاؤه حقاً وحسابه عدلاً، فلا يخاف منه، فإنه الحكيم العليم العدل، بل يكون من أنفسكم، ولا تخافوا عليها إلا منها، وكل تلك التأكيدات والوعد والوعيد، لتثبيت تلك الأحكام الإلهية، والتشريعات الربانية إلى البيت الحرام، وليبين أنها مبنية على حقائق واقعية، وأساس علمي متين، وليست هي امتداداً لما تفعله الجاهلية والوثنية بالنسبة إلى معبوداتهم الباطلة»^٣.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٢٨.

٢. التبيان ٤/ ٣٤.

٣. مواهب الرحمن ١٢/ ٢٥٠.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾

«مثل مضروب لبيان أن قواعد الدين ركبت على صفات تكوينية في الأشياء من طيب أو خبائثة مؤثرة في سبيل السعادة والشقاوة الانسانية، ولا يؤثر فيها قلة ولا كثرة فالطيب طيب وإن كان قليلاً، والخبث خبيث وإن كان كثيراً.»

فمن الواجب على كل ذي لب يميز الخبيث من الطيب، ويقضي بأن الطيب خير من الخبيث، وأن من الواجب على الانسان أن يجتهد في إسعاد حياته، ويختار الخير على الشر أن يتقي الله ربه بسلوك سبيله، ولا يغتر بانكباب الكثيرين من الناس على خبائث الأعمال ومهلكات الأخلاق والأحوال، ولا يصرفه الأهواء عن اتباع الحق بتوليه أو تهويل لعله يفلح بركوب السعادة الانسانية»^١.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، والخطاب لخاتم الأنبياء محمد ﷺ لأنه هو الطيب بكل معنى الكلمة وهو العقل الكلّ ولأنه رسول الله وواسطة فيضه والمراد به أمته، والجملة بعده مقول القول.
﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَسْتَوِي﴾ فعل مضارع، ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ أي لا يتساوي والمراد نفي المماثلة والمقاربة والمشابهة هنا أمر بين فيكون الكلام مسوقاً لكناية.

﴿الْخَبِيثُ﴾ فاعل ومعناه واضح، قدّم ﴿الْخَبِيثُ﴾ لكثرتة أو غلبته في بعض الأزمنة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الطَّيِّبُ﴾ معطوف على ﴿الْخَبِيثُ﴾ ومعناه واضح.

ويحكم العقل بعدم تساوي الخبيث والطيب وبرداءة الخبيث وأخسيته ولو كان في بعض الأزمنة أو الأمكنة له جولة أو حتى دولة.

وحيث أنّ التشريع الإلهي مبني على فطرة الناس فالأوامر الإلهية تجري في الطيبات والنواهي تجري في الخبائث كما قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾^١. فحينئذ الخبيث هو الحرام أو الكافر والطيب هو الحلال أو المؤمن. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿لَوْ﴾ مصدرى «لا محلّ له من الإعراب ولا عمل له. ترادف «أن» ويؤوّل ما بعده بمصدر يُعرب حسب موقعه في الجملة»^٢. أو اتصالية «لا عمل له ولا جواب نحو: تصدقوا ولو بشقّ تمر»^٣.

﴿أَعَجَبَكَ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم. ﴿كَثْرَةُ﴾ فاعل.

﴿الْخَبِيثُ﴾ مضاف إليه، أي كثرة الخبيث لا يقلّبه إلى الطيب وكذا قلة الطيب لا يقلّبه إلى الخبيث وكلاهما باقيا على حقيقتهما الوجوديين.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، أي اجتنبوا.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿يَا﴾ أداة نداء. ﴿أُولَى﴾ منادى.

﴿الْأَلْبَنِبِ﴾ مضاف إليه. أي العقول. و ﴿أُولَى الْأَلْبَنِبِ﴾ هم الذين لا يغترون بالظواهر ولا يكونون من أهل الغفلة والجهالة.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. يعني إدراك الطيب

١. سورة الأعراف / ١٥٧.

٢. موسوعة النحو والصرف والإعراب / ٥٨٦.

٣. موسوعة النحو والصرف والإعراب / ٥٨٥.

والخبيث ومعرفة مصاديقها وتمييزهما من الآخر ومراعاة تقوى الله في ترك الخبيث والإتيان بالطيب يوجب الفلاح والفوز بالسعادة الدنيوية والأخروية.
قد ذكرتُ عشرةً من الأحاديث حول عنوان «الخبيث» في موسوعي^١ فراجعها إن شئت.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

«الآية الشريفة تبيّن غريزة من الغرائز الإنسانيّة، وهي حبّ الاستطلاع والاستفهام عن جميع الأمور، ولم يمه القرآن الكريم عنها، بل اعتبرها أمراً طبيعياً، وإنّما نبّه الإنسان إلى أمرٍ هو بالغ الأهميّة في حياته، وهو تحديد أسئلته في ما ينفعه، أن لا تكون سبباً في وقوعه في الضيق والمشقّة، وقد تكفّل الشارع المقدس أن يبيّن أسباب سعادته وما يوجب فلاحه، فلا حاجة إلى زيادة الكلفة بأسئلة لا مبرر لها»^٢.
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿لَا تَسْأَلُوا﴾ فعل نهي وفاعله. نهى الله سبحانه عن الأسئلة الخاصة، والمسؤول هنا رسول الله ﷺ .

﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾. و ﴿أَشْيَاءَ﴾ اسم ممنوع عن الصرف والأشياء غير المذكورة في الآية الشريفة ولكنها هي أشياء نظام الحياة على أخفائها لمصلحة نحو يوم الوفاة وسببها ومقدار العمر والرزق والعزّة والمُلْك والعاقبة
و....

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم

١. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ٣/٢٦٣.

٢. مواهب الرحمن ١٢/٢٧٩.

﴿تُبَدَّ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط بـ ﴿إِنْ﴾ بحذف حرف العلة، مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿أَشْيَاءَ﴾. الإبداء: الإظهار.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُبَدَّ﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين المخاطبين.

﴿تَسْؤُكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة ﴿وَ﴾، لأنه جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿أَشْيَاءَ﴾ و مفعول به. ﴿تَسْؤُكُمْ﴾: تحزنكم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَسْأَلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط.

﴿عَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَسْأَلُوا﴾.

﴿حِينَ﴾ ظرف زمان. ﴿يُنزَّلُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول.

﴿الْقُرْآنُ﴾ نائب فاعله. والجملة ﴿يُنزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ في محل جر بالإضافة.

﴿تُبَدَّ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بحذف حرف العلة (ي) جواب الشرط ونائب فاعله ضمير مستتر «هي».

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُبَدَّ﴾.

﴿عَفَا﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَفَا﴾. «جملة استثنائية مسوقة لرفع الآثار الوضعية المترتبة على تلك الأسئلة، أو ما تستتبع، على أن المراد بالأشياء المذكورة هي الراجعة إلى الشرائع والأحكام، ولو كانت من قبيل الأمور الكونية، لكان المتعين أن يقال: عفاها الله، ولكن عرفت أن العفو قد يكون بلحاظ الآثار الوضعية المترتبة على المسألة، مع أنه نفس السؤال قد يكون فيه عصيان وسوء أدب يستتبع المؤاخذه، فإن الله تعالى عفا عنها، فإنه عفاً - كما عرفت آنفاً - تعلقت حكمته بإخفائها، إما لأن ظهورها يوجب وقوع الإنسان في الشدة والخرج أو الضرر، أو لأجل التخفيف على عباده والتسهيل عليهم، وهو يقتضي عفوهم كما ستعرف. وعلى أي

حال لم يكن السكوت عنها عن جهل، أو عن غفلة، أو إهمال. كل ذلك مما يوجب مرجوحية السؤال واستتباعه للحزازة، وربما المؤاخذة، فالله قد عفا عنها^١.
﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ خبران.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ ﴿١٢﴾

«استئناف بياني جواب سؤال يثيره النهي عن السؤال ثم الإذن فيه في حين ينزل القرآن، أن يقول سائل: إن كان السؤال في وقت نزول القرآن وأن بعض الأسئلة يسوء جوابه قومًا، فهل الأولى ترك السؤال أو إلقاؤه. فأجيب بتفصيل أمرها بأن أمثالها قد كانت سببًا في كفر قوم قبل المسلمين»^٢.
﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿سَأَلَهَا﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿أَشْيَاءٍ﴾.
﴿قَوْمٌ﴾ فاعله. والمراد به الأمم التي كانت قبل الإسلام.
﴿مِّن قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿قَوْمٌ﴾ كقصة البقرة وقصة المائدة، وقوم صالح وقصة الناقة.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي.

﴿أَصْبَحُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه، بمعنى صاروا.

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿أَصْبَحُوا﴾ إذا كانت الباء للتعدية، وإذا كانت الباء للسببية فتتعلق بـ ﴿أَصْبَحُوا﴾ أي كانت تلك المسائل سببًا في كفرهم.

١. مواهب الرحمن ١٢/٢٨٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٣٤.

﴿كُفْرِيْنَ﴾ خبره. والجمله الأخيرة تعليل للنهي عن هذه الأسئلة.

الروايات

معتبرة سدير عن أبي جعفر عليه السلام أن صفية بنت عبدالمطلب مات ابن لها، فأقبلت، فقال لها عمر:

غطي قرطك فإن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفعك شيئاً!

فقال له: هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء؟!

ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع؟! لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في أحوالكم، لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته. فقام إليه رجل، فقال:

من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذي تدعى له، أبوك «فلان بن فلان».

فقام آخر، فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك الذي تدعى له.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع، لا يسألني عن أبيه؟!

فقام إليه عمر، فقال له: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، اعف عني، عفى الله عنك! فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كُفْرِيْنَ﴾^١.

عن أحمد بن محمد، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام، وكتب في آخره: أو لم تُنهِوا عن كثرة المسائل؟ فأبيتم أن تنتهوا، أياكم وذلك، فإنها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾^٢ إلى قوله

١. تفسير القمي ١/ ٢٧٤، ح ١٨.

٢. سورة المائدة / ١٠١.

﴿كُفْرِبِ﴾ ١.

حسنة إسحاق بن يعقوب عن محمد بن عثمان العمري النائب الثاني للحجة عليه السلام في توقيع: ... وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^٢ إنه لم يكن لأحد من آبائي: إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج، ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، التوقيع^٣.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَجْحِيرٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^٤

«بيان لبعض أنواع المحرّمات في الجاهليّة من الأنعام التي لم يشرّعها الله تعالى، وهي أربعة، وقد نعتوها بأربعة نعوت، وقد اختلف العلماء في تفسيرها ومعانيها، بل تشخيص بعض خصوصياتها، إلا أنّ المستفاد من الآية الكريمة أنّها من التحريرات التي تخرج عن الملك لغرض ما، وهذه الأنعام ثلاثة منها من الإبل كالبحيرة والسائبة والحامي، وواحدة من الغنم وهي الوصيلة»^٤.

و «استئناف ابتدائي جاء فارقاً بين ما أحدثه أهل الجاهلية من نقائص الحنيفية وبين ما نوّه الله به ممّا كانوا عليه من شعائر الحج، فإنّه لما بين أنّه جعل الكعبة قياماً للنّاس وجعل الهدى والقلائد قياماً لهم، بين هنا أنّ أموراً ما جعلها الله ولكن جعلها

١. تفسير العياشي ٢/ ٨٢، ح ٢١٦.

٢. سورة المائدة/ ١٠١.

٣. كمال الدين وتمام النعمة/ ٤٨٥.

٤. مواهب الرحمن ١٢/ ٣٠٣.

أهل الضلالة ليميز الخبيث من الطيب، فيكون كالبيان لآية ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾^١ فَإِنَّ الْبَحِيرَةَ وما عطف عليها هنا تشبه الهدى في أنها تحرر منافعها وذواتها حية لأصنامهم كما تهدي الهدايا للكعبة مذكاة، فكانوا في الجاهلية يزعمون أن الله شرع لهم ذلك ويخاطون ذلك بالهدايا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾^٢ وقال في هذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾. فالتصدي للفرقة بين الهدى وبين البحيرة والسائبة ونحوهما، كالتصدي لبيان عدم التفرقة بين الطواف وبين السعي للصفاء والمروة في قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^٣ كما تقدم هنالك. وقد قدمنا ما رواه مجاهد عن ابن عباس: أن ناساً سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة ونحوهما فنزلت هذه الآية^٤.

﴿مَا﴾ نافية.

﴿جَعَلَ﴾ فعل ماضٍ. والمراد به هنا الجعل التشريعي لا التكويني. ﴿جَعَلَ﴾: أي

شرع.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِنْ﴾ حرف جر زائدة تفيد أن المراد بما بعدها نفي الجنس لا نفي أفراد معينة.

﴿بِحَيْرَةٍ﴾ مجروره، في محل نصب مفعول به ﴿جَعَلَ﴾. يعني: ما حرم الله البحيرة على ما حرمها أهل الجاهلية ولا نهي عنها.

«والبحيرة - بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة - فعيلة بمعنى مفعولة، أي مبحورة، والبحر الشق. يقال: بحر شق. وفي حديث حفر زمزم أن عبدالمطلب بحرّها بحرّاً، أي شقّها ووسّعها. فالبحيرة هي الناقة، كانوا يشقون أذنها بنصفين طولاً علامة

١. سورة المائدة / ١٠٠.

٢. سورة الأنعام / ١٥٠.

٣. سورة البقرة / ١٥٨.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ٢٣٥ و ٢٣٦.

على تخليتها، أي أتمها لا تركب ولا تنحر ولا تمنع عن ماء ولا عن مرعى ولا يجزرونها ويكون لبنها لطواغيثهم، أي أصنامهم، ولا يشرب لبنها إلا ضيف، والظاهر أنه يشربه إذا كانت ضيافة لزيارة الصنم أو إضافة سادنه، فكل حي من أحياء العرب تكون بحائرهم لصنمهم. وقد كانت للقبائل أصنام تدين كل قبيلة لصنم أو أكثر. وإنما يجعلونها بحيرة إذا نتجت عشرة أبطن على قول أكثر أهل اللغة. وقيل: إذا نتجت خمسة أبطن وكان الخامس ذكراً. وإذا ماتت حتف أنفها حل أكل لحمها للرجال وحرم على النساء»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد معنى النفي.

﴿سَائِبَةٍ﴾ معطوفة على ﴿بَحِيرَةٍ﴾، «والسائبة: المخلاة وهي المسبية^٢. وكانوا في الجاهلية إذا نذر إنسان نذراً لقدم من سفر أو براء من مرض أو ما أشبه ذلك قال: ناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في التخلية، وكان أعتق الإنسان عبداً، فقال: هو سائبة لم يكن بينها عقل، ولا ولاء، ولا ميراث»^٣.
﴿وَلَا﴾ كالسابقتين.

﴿وَصَيْلَةٍ﴾ معطوفة، «الوصيلة من الغنم كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً ذبح فأكل منه الرجل والنساء، وإن كانت أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم تذبح وكان لحومها حراماً على النساء إلا أن يكون يموت منها شيء فيحل أكلها للرجال والنساء»^٤.

﴿وَلَا حَامٍ﴾ كالسابقتها. «الحام الفحل من الإبل الذي قد حمى ظهره من أن يركب بتتابع أولاد تكون من صلبه. وكانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٣٧.

٢. سببت الدابة: أي تركها تسيب وتمّ حيث تشاء فهي سائبة.

٣. التبيان ٤/ ٣٨.

٤. معاني الأخبار/ ١٤٨.

عشرة أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحمل عليه شيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى»^١.
 «وهذه الأسماء وإن اختلفوا في تفسيرها إلا أن من المحتمل قريباً أن يكون ذلك
 الاختلاف ناشئاً من اختلاف سلائق الأقوام في سننهم؛ فإن أمثال ذلك كثيرة في
 السنن الدائرة بين الأقوام الهمجية.

وكيف كان فالآية ناظرة إلى نفي الأحكام التي كانوا قد اختلقوها لهذه
 الأصناف الأربعة من الأنعام، ناسبين ذلك إلى الله سبحانه بدليل قوله أولاً: ﴿مَا جَعَلَ
 اللَّهُ﴾ وثانياً: ﴿وَلَيْكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿لَيْكِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، «استدراك لرفع ما يتوهمه المشركون من اعتقاد
 أنها من شرع الله لتقادم العمل بها منذ القرون»^٣.

وجواب لسؤال مقدر وهو: فما هذا الذي يدعيه الذين كفروا؟ فأجيب بأنه
 افتراء على الله وكذب عليه.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، اسم ﴿لَيْكِنَّ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله والمراد بهم هنا المشركين.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَيْكِنَّ﴾.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

﴿الْكَذِبَ﴾ مفعول به. وهو الخبر المخالف للواقع.

﴿وَ﴾ حالية وما بعدها حال لـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الكفار المفتريين.

١. التبيان / ٤ / ٣٨.

٢. الميزان / ٦ / ١٥٨.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٥ / ٢٣٨.

﴿لَا نَافِيَةَ﴾ نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر.

روايتان

صحیحة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ قال: إن أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولددين في بطن واحد قالوا: وصلت، فلا يستحلون ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشراً جعلوها سائبة، ولا يستحلون ظهرها ولا أكلها، و«الحام» فحل الإبل لم يكونوا يستحلونه فأنزل الله تعالى أنه لم يكن يحرم شيئاً من ذلك.^١

رواها العياشي في تفسيره.^٢

حسنة أبي ربيع الشامي قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن السائبة فقال: الرجل يعتق غلامه ويقول: اذهب حيث شئت ليس لي من ميراثك شيء وليس علي من جريرتك شيء [قال] ويشهد شاهدين.^٣

رواها العياشي في تفسيره.^٤

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

الآية الشريفة تنقل «حكاية دعوتهم إلى ما أنزل الله إلى الرسول الذي شأنه البلاغ، فقط فالدعوة دعوة إلى الحق وهو الصدق الخالي عن الفرية، والعلم المبرى من

١. معاني الأخبار / ١٤٨، ح ١.

٢. تفسير العياشي ٢ / ٨٢، ح ٢١٧.

٣. معاني الأخبار / ٢٤٠.

٤. تفسير العياشي ٢ / ٨٢، ح ٢١٨.

الجهل فإن الآية السابقة تجمع الافتراء وعدم التعقل في جانبهم فلا يبقى لما يدعون إليه - أعني جانب الله سبحانه - إلا الصدق والعلم»^١.

﴿وَ﴾ حالية، وما بعدها حال آخر من قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة.
﴿إِذَا﴾ ظرف زمان للمستقبل، متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه متعلق بجوابه.

﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد ﴿إِذَا﴾ الظرفية.

﴿هَمْزٌ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قِيلَ﴾. والضمير يرجع إلى القائلين بالجعل في شأن ﴿نَحِيرَةٍ﴾ و ﴿سَابِئَةٍ﴾ و ﴿وَصِيْلَةٍ﴾ و ﴿حَامٍ﴾.

﴿تَعَالَوْا﴾ فعل أمر وفاعله، في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾. ﴿تَعَالَوْا﴾ أي هلموا الأمر هنا «مستعمل في طلب الإقبال، وفي إصغاء السمع، ونظر الفكر، وحضور مجلس الرسول ﷺ، وعدم الصد عنه، فهو مستعمل في حقيقته ومجازه»^٢.
﴿إِلَى﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر، جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَعَالَوْا﴾.
﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله، و ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو القرآن الكريم.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِلَى﴾ حرف جر، واعدته يفيد معنيين في متعلقي ﴿تَعَالَوْا﴾ الحقيقي والمجازي.
﴿الرَّسُولِ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَعَالَوْا﴾. أي ﴿تَعَالَوْا إِلَى﴾ تصديق ﴿الرَّسُولِ﴾ ﷺ والافتداء وبأفعاله وتبعية سنته الشريفة.
﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله، جواب الشرط غير جازم. والجملة ما بعده مقول

١. الميزان ٦/ ١٥٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٣٩.

قولهم.

﴿حَسْبُنَا﴾ مبتدأ أو اسم فعل ومضاف إليه، أي كافينا إذا جعلت ﴿حَسْب﴾ اسماً صريحاً، أو كفانا إذا جعلت ﴿حَسْب﴾ اسم فعل.

﴿مَا﴾ موصولة.

﴿وَجَدْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿مَا وَجَدْنَا﴾ خبر إذا كان ﴿حَسْبُنَا﴾ مبتدأ، و

﴿مَا وَجَدْنَا﴾ فاعل إذا كان ﴿حَسْبُنَا﴾ اسم فعل.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَجَدْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَا﴾.

﴿ءَابَاءَنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. يعني مذاهب ﴿ءَابَاءَنَا﴾

يقرون بأنهم يقلدون أسلافهم في الاعتقاد بهذه المذاهب الفاسدة والاعتقادات الكاسدة. وفيها «دلالة على فساد التقليد، لأن الله تعالى أنكر عليهم تقليد الآباء فدل ذلك على أنه لا يجوز لأحد أن يعمل على شيء من أمر الدين إلا بحجة»^١.

نعم، «التقليد وإن كان حقاً في بعض الأحيان وعلى بعض الشروط وهو رجوع الجاهل إلى العالم، وهو مما استقر عليه سير المجتمع الإنساني في جميع أحكام الحياة التي لا يتيسر فيها للإنسان أن يحصل العلم بما يحتاج إلى سلوكه من الطريق الحيوي، لكن تقليد الجاهل في جهله بمعنى رجوع الجاهل إلى جاهل آخر مثله مذموم في سنة العقلاء كما يذم رجوع العالم إلى عالم آخر بترك ما يستقلّ بعمله من نفسه والأخذ بما يعلم غيره»^٢.

﴿أ﴾ استفهام إنكار. ﴿و﴾ حالية.

﴿لَوْ﴾ وصلية، لا عمل له ولا جواب نحو: «تصدّقوا ولو بشقّ تمرّة»، وتقديره: ولو كان تصدّقكم بشقّ تمرّة.

١. التبيان ٤/٣٩.

٢. الميزان ٦/١٥٩.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿ءَابَاؤُهُمْ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ ومضاف إليه.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول به. ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله، معطوف على ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾. «ولعلَّ

إضافة قوله: ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ لتتميم قيود الكلام بحسب الحقيقة، فإن رجوع الجاهل إلى مثله وإن كان مذموماً لكنه إنما يذم إذا كان المسؤول المتبوع مثل السائل التابع في جهله لا يمتاز عنه بشيء، وأما إذا كان المتبوع نفسه يسلك الطريق بهداية عالم خبير به ودلالته فهو مهتد في سلوكه، ولا ذم على من اتبعه في مسيره وقلده في سلوك الطريق، فإن الأمر ينتهي إلى العلم بالآخرة كمن يتبع عالماً بأمر الطريق ثم يتبعه آخر جاهل به.

ومن هنا يتضح أن قوله: ﴿أُولَئِكَ كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ غير كاف في تمام الحجة عليهم لاحتمال أن يكون آباؤهم الذين اتبعوهم بالتقليد مهتدين بتقليد العلماء الهداة فلا يجري فيهم حكم الذم، ولا تتم عليهم الحجة فدفع ذلك بأن آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون، ولا مسوغ لإتباع من هذا حاله»^١.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۗ إِلَى اللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ ۖ جَمِيعًا ۖ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

«لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَلَدُوا آبَاءَهُمْ وَاسْلَافَهُمْ وَرَكَنُوا إِلَيْهِمْ فِي

أديانهم، ذكر في هذه الآية أن المكلف انما يلزمه حكم نفسه وأنه لا يضره ضلال من ضل إذا كان هو مهتدياً، حتى يعلم بذلك أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الذم والعقاب»^١.

وبعبارة أخرى: «الآية تأمر المؤمنين أن يلزموا أنفسهم، ويلزموا سبيل هدايتهم ولا يوحشهم ضلال من ضل من الناس فإن الله سبحانه هو المرجع الحاكم على الجميع حسب أعمالهم، والكلام مع ذلك لا يخلو عن غور عميق»^٢.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خاطب أهل الإيمان لأن لهم القابلية لمراعاة المضمون والالتزام بالمقصود.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ اسم فعل أمر بمعنى الزموا واحفظوا واحرصوا على، أصله: عليك أن تفعل كذا فتكون جملة من خبر مقدّم ومبتدأ مؤخر.

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المؤمنين المخاطبين. يعني على كلِّ أحدٍ أن يراقب نفسه لا غيره. وهذا أوّل مراتب السلوك وهي مراقبة النفس وآخرها.

﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به. أي لا يؤثركم.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿ضَلَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ﴿مَنْ ضَلَّ﴾ من الناس، فلا تتركوا طريق الهدى بضلالة ﴿مَنْ ضَلَّ﴾.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، أداة شرط غير جازمه.

﴿أَهْتَدَيْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. في محلّ جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف.

فعل الشرط وجوابه محذوف لظهوره من قبل وهو عدم التضرر والتأثير من المضلين

١. التبيان ٤/٤٠.

٢. الميزان ٦/١٦٢.

المنحرفين.

«ومن المعلوم أن الضلال والاهتداء - وهما معنيان متقابلان - إنها يتحققان في سلوك الطريق لا غير؛ فالملازم لمتن الطريق ينتهي إلى ما ينتهي إليه الطريق، وهو الغاية المطلوبة التي يقصدها الإنسان السالك في سلوكه، أما إذا استهان بذلك وخرج عن مستوى الطريق فهو الضلال الذي تفوت به الغاية المقصودة فالآية تقدر للإنسان طريقاً يسلكه ومقصداً يقصده غير أنه ربما لزم الطريق فاهتدى إليه أو فسق عنه فضل وليس هناك مقصد يقصده القاصد إلا الحياة السعيدة، والعاقبة الحسنَى بلا ريب»^١.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، قدّمه للاهتمام بمتعلّق هذا الرجوع والقاء المهابة في نفوس السامعين.

﴿مَرَّجِعُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، مصدرٌ ميميٌّ. والضمير يرجع إلى جميع النَّاس من المؤمنين والكافرين والمهتدين والضالين بدلالة:

﴿جَمِيعًا﴾ حال من ضمير ﴿مَرَّجِعُكُمْ﴾ وتأكيده. والتنصيص على العموم للردّ على توهم أنّ الكلام للتغليب. فمرجع الكلّ هو الله تعالى والثواب والعقاب عنده سبحانه.

بيّن الله تعالى في هذه الآية «أنّ الجميع سائرون إليه سبحانه سيراً لا مناص لهم عنه، غير أن طريق بعضهم قصير وفيه الرشد والفلاح، وطريق آخرين طويل لا ينتهي إلى سعادة، ولا يعود إلى سالكه إلا الهلاك والبوار»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. أي يخبركم ولعل «المراد بالإنباء بما كانوا يعملون الكناية عن إظهار أثر ذلك من الثواب للمهتدي

١. الميزان ٦/ ١٦٢.

٢. الميزان ٦/ ١٦٣.

الداعي إلى الخير، والعذاب للضالّ المعرض عن الدعوة»^١.

﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصوله في محلّ جر. الجار والمجرور متعلقان بـ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ أو ﴿مَا﴾

مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جر بالباء وتقديره: بأعمالكم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محلّ نصب خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

«وبالجملة فالآية تقدر للمؤمنين وغيرهم طريقين اثنين ينتهيان إلى الله سبحانه، وتأمر المؤمنين بأن يشتغلوا بأنفسهم وينصرفوا عن غيرهم وهم أهل الضلال من الناس ولا يقعون فيهم ولا يخافوا ضلالهم فإنها حسابهم على ربهم لا على المؤمنين وليسوا بمسؤولين عنهم حتى يهتم أمرهم... فعلى المؤمن أن يشتغل بما يهم نفسه من سلوك سبيل الهدى، ولا يهزه ما يشاهده من ضلال الناس وشيوع المعاصي بينهم ولا يشغله ذلك ولا يشتغل بهم فالحقّ حقّ وإن تركّ والباطل باطل وإن أخذ به كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ اللَّهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٢.

الروايات

عن النبي ﷺ أنه قال: إذا رأوا الناس منكراً فلم يغيروه عنهم عمهم الله

بالعقاب.^٣

وروي أن أبا ثعلبة سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٤٣.

٢. سورة المائدة/ ١٠٠.

٣. التبيان ٤/ ٤١.

ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر الناس وعوامهم^١.
وعن الصادق عليه السلام أنه قال: نزلت هذه الآية في التقية^٢.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةً بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ أَلْمَوْتُ حِينَ أَلْوَصِيَّةِ أَتْنَانِ ذَوَا
عَدَلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ
أَلْمَوْتِ حَسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾

تبينت الآية الشريفة بعض أحكام الوصية وكيفية الشهادة عليها فهي من آيات
الأحكام واثنان بعدها.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين لأنها تتضمن حكماً شرعياً.
﴿شَهْدَةً﴾ مبتدأ وخبره ﴿أَتْنَانِ﴾، الشهادة من الشهود وهو الحضور، وتسمى
الشهادة شهادة لأن المشهود به لا بد أن يكون حاضراً لدى الشاهد.
﴿بَيْنَكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والضمير يرجع إلى المؤمنين.
﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿شَهْدَةً﴾ وليس فيها معنى الشرط. بيان لزمان
الوصية وظرفها.

﴿حَضَرَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿أَحَدَكُمْ﴾ مفعول به مقدم ومضاف إليه.
﴿أَلْمَوْتُ﴾ فاعله. وحضور الموت بظهور أماراته. ﴿حِينَ﴾ ظرف زمان.
﴿أَلْوَصِيَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿حِينَ أَلْوَصِيَّةِ﴾ بدل من ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ أَلْمَوْتُ﴾

١. مجمع البيان ٣/ ٢٥٤.

٢. نهج البيان ٢/ ١٠٧ مخطوط، نقل عنه في البرهان ٢/ ٣٧٤، ح ٣.

بَدَلًا مَطَابِقًا، فَإِنَّ حِينَ حُضُورِ الْمَوْتِ هُوَ الْحِينَ الَّذِي يُوصِي فِيهِ النَّاسُ غَالِبًا. جِيءَ بِهَذَا الظَّرْفِ الثَّانِي لِتَخْلُصِ هَذَا الْبَدَلِ إِلَى الْمَقْصُودِ وَهُوَ الْوَصِيَّةُ^١.

﴿أَتْنَانٍ﴾ خبر ﴿شَهْدَةٌ﴾، أي الشهادة على ﴿الْوَصِيَّةِ﴾ ﴿شَهْدَةٌ﴾ اثنين أي

شاهدين.

﴿ذَوَا﴾ صفة لـ ﴿أَتْنَانٍ﴾.

﴿عَدَلٍ﴾ مضاف إليه. أي صاحبًا اتصاف بالعدالة، لأنَّ العدل والعدالة متحدان. هذا هو الشرط الأوَّل في الشاهد والعدالة هي الاستقامة في الدين على جادة الشريعة طوال الحياة.

﴿مَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلِّق بصفة محذوفة من ﴿أَتْنَانٍ﴾. والضمير يرجع إلى

المؤمنين المخاطبين.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتقسيم هنا لا للتخير والتقسيم باختلاف حالي الحضر

والسفر أو وجود المسلم المؤمن وعدمه.

﴿ءَاخِرَانِ﴾ معطوف على ﴿أَتْنَانٍ﴾.

﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلِّق بصفة محذوفة من ﴿ءَاخِرَانِ﴾، ومضاف إليه.

أي ﴿مِنْ غَيْرِ﴾ المسلمين المؤمنين. تدلُّ على قبول شهادة غير المسلمين في الوصية فقط عند فقد المسلمين.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿صَرَبْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. خبر. والجملة ﴿أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ﴾ في محلِّ جزم

بالشرط. والمراد بالضرب هنا السفر والسير.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿صَرَبْتُمْ﴾.

﴿فَ﴾ عاطفة.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٤٥.

﴿أَصَبْتَكُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم. أي حلت لكم والفعل مستعمل في معنى المشاركة والمقاربة.

﴿مُصِيبَةٌ﴾ فاعله. المصيبة هي الحادثة التي تحل بالمرء من شرٍّ وضرٍّ.

﴿آلَمَوْتُ﴾ مضاف إليه.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. حال من ﴿ءَاخِرَانَ﴾ أو ﴿أَثْنَانَ﴾

والحبس هو الإمساك أي المنع من الانصراف فمنه ما هو بإكراه كحبس الجاني في بيت أو اتقافه في قيد، ومنه ما يكون بمعنى الانتظار وهذا هو المراد في الآية، أي تمسكونها ولا تتركونها يغادرانكم حتى يتحملاً الوصية^١. والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿أَثْنَانَ﴾ في أول الآية أو إلى ﴿ءَاخِرَانَ﴾.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾، ﴿مِنْ﴾ الابتدائية لتقريب

البعديّة أي قرب انتهاء الصلاة.

﴿أَلْصَلَاةِ﴾ مضاف إليه. وهذه هي الشرط الثاني: أن تكون الشهادة في مجمع من

الناس. والمراد بالصلاة هو صلاة المسلمين ان كان ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ حال من ﴿أَثْنَانَ﴾ وصلاة غيرهم إن كان ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ حال من ﴿ءَاخِرَانَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُقْسِمَانِ﴾ فعل مضارع وفاعله. وهذا هو الشرط الثالث: تحليف الشاهد مع

الريبة، وهل هذا الشرط مختص بالشهود من الكفار أو عام ويشمل المسلمين؟ وجهان ولعل التعميم أظهر.

﴿بِاللَّهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿يُقْسِمَانِ﴾. والباء للقسمة.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿آرْتَبْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. فعل الشرط في محلّ جزم والجواب محذوف

١. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٤٧.

لوضوحه وهو حبسها بعد الصلاة. أي ﴿إِنْ﴾ شككتم. وما بعده هو المُقسِمُ عليه.
 ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «نحن». .
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا نَشْتَرِي﴾. والضمير يرجع إلى الأمر الذي أقسم عليه.

﴿ثُمَّنَا﴾ مفعول به. نكرة في سياق النفي تدل على العموم. أي كل ثمن. والمراد به العوض. «أي لا نبدل ما أقسمنا عليه بعوض كائناً ما كان العوض»^١.
 ﴿وَ﴾ حالية.

﴿لَوْ﴾ شرطية يفيد المبالغة هنا وتسمى ﴿لَوْ﴾ وصلية.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿ثُمَّنَا﴾.
 ﴿ذَا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿قُرْبَى﴾ مضاف إليه. أي ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ العوض ﴿ذَا قُرْبَى﴾ للقاسم وارضائه لأن في الجوامع القبائلية نصره القريب والحمية له يعد من الفضائل الأخلاقية، فيقسم على نفيه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا نَكْتُمُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «نحن» معطوف على ﴿لَا نَشْتَرِي﴾. تتمم المقسم عليه وهو عدم كتمان الشهادة.
 ﴿شَهَادَةً﴾ مفعول به.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. «وإضافة الشهادة إلى اسم الجلالة تعظيم لخطرها عند الشهادة وغيره لأن الله لما أمر بأدائها كما هي وحص عليها أضافها إلى اسمه حفظاً لها من التغيير، فالتصريح باسمه تعالى تذكير للشاهد به حين القسم»^٢.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٤٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٤٩.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿إِذَا﴾ حرف جواب لا عمل له.
﴿لَ﴾ لام التأكيد المرحقة.

﴿مِنَ الْآثِمِينَ﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر ﴿إِنَّا﴾. الآثم: مرتكب الإثم.
والجملة ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ مستأنفة بيانية يعني ﴿إِنَّا﴾ إن فعلنا ذلك - أي شراء الوصية والقسم عليه والكتمان - فنحن ﴿إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ أي العاصين.

تنبيه

«قال الشيعة الإمامية والحنابلة: إذا أوصى رجل مسلم في السفر، ولم يكن أحد من المسلمين عنده فله أن يُشهد اثنين من أهل الكتاب، على أن يُستحلفا بعد الصلاة بين جمع من الناس إثمها ما خانا، ولا كتها، ولا اشترى بشهادتها ولا بقسمها ثمناً قليلاً، وعندها تقبل شهادتها كما تقبل من المسلمين، وتجب عليهما اليمين مع الشك في صدقهما، أما الأمين فلا يمين عليه. لقوله تعالى: ﴿إِن أَرْتَبْتُمْ﴾».

هذا ما أفتى به الإمامية والحنابلة معتمدين على هذه الآية، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: لا تقبل شهادة غير المسلم على المسلم بحال، وأولوا الآية بمعنى آخر، وقال المالكية والشافعية: لا تقبل شهادة غير المسلمين اطلاقاً، ولو كانت من بعضهم على بعض^١»^٢.

قال المحقق الحلبي في الشرائع: «تقبل شهادة الذمّي خاصّةً في الوصية، إذا لم يوجد من عدول المسلمين من يشهد بها. ولا يشترط كون الموصي في غربة. وباشترائه رواية مُطَرَّحَةً»^٣.

وقال صاحب الجواهر في ذيله: «تقبل شهادة الذمّي خاصّةً في الوصية» كذلك

١. راجع: المغني باب الشهادات.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ١٤٠.

٣. شرائع الإسلام ٤/ ١١٥.

(إذا لم يوجد من عدول المسلمين من يشهد بها) للكتاب^١ والسنة^٢ والإجماع بقسميه^٣، كما فصلنا ذلك في كتاب الوصايا^٤.

(ولا يشترط) في ذلك (كون الموصي في غربة) كما عن المتأخرين^٥ وظاهر أكثر القدماء^٦، بل لعل قول [المحقق] هنا كالمحكى عن التحرير^٧: (وباشترطه رواية مطّرحه) مشعر بالإجماع عليه.

وأراد بالرواية خبر حمزة بن حمران عن الصادق عليه السلام: «اللذان منكم: مسلمان، واللذان من غيركم: من أهل الكتاب، وإنّا ذلك إذا كان الرجل المسلم في أرض غربة، فيطلب رجلين مسلمين ليشهدهما على وصيته، فلم يجد مسلمين، أشهد على وصيته رجلين ذميين من أهل الكتاب مرضيين عند أصحابها»^٨»^٩.

أقول: قد ذهبنا في أبحاثنا الفقهية في كتاب الشهادات أن شهادة الكافر مطلقاً نافذ في الوصية

١. سورة المائدة / ١٠٦.

٢. وسائل الشيعة: انظر باب ٢٠ من كتاب الوصايا، ٣٠٩/١٩، وباب ٤٠ من كتاب الشهادات ٣٨٩/٢٧.

٣. نقل الإجماع في تلخيص الخلاف: الشهادات ٣/ (٣٧٧-٣٧٦)، مسألة ١٩.

وانظر المقنعة: القضاء / باب البيّنات / ٧٢٧؛ والنهاية: الوصايا / باب شرائط الوصية ٣/ ١٥٣؛ وغنية النزوع: كتاب القضاء / ٤٤٠؛ وجامع المقاصد: الوصايا / فيما به تثبت الوصية ١١/ ٣٠٦، والحدائق الناضرة: الوصايا / أحكام الوصية ٢٢/ ٤٩٤.

٤. جواهر الكلام ٢٩/ ٧٢٤، طبعة جماعة المدرسين بقم.

٥. كالعلامة في القواعد: الشهادات / صفات الشاهد ٣/ ٤٩٤؛ والشهيد الأوّل في الدروس: الشهادات / المقدّمة ٢/ ١٢٤؛ والشهيد الثاني في الروضة: الشهادات / الفصل الأوّل ٣/ ١٢٨.

٦. كالمفيد في المقنعة: القضاء / باب البيّنات / ٧٢٧؛ والشيخ في النهاية: الشهادات / من خالف الإسلام ٢/ ٦٢؛ وسلار في المراسم: أحكام الوصية ٢/ ٢٠٢؛ والقاضي في المهذب: الوصايا / الإشهاد عليها ٢/ (١٢١-١٢٠).

٧. تحرير الأحكام: الشهادات / صفات الشاهد ٥/ ٢٤٥.

٨. الكافي: الشهادات / باب شهادة أهل الملل ٧/ ٣٩٩، ح ٨؛ تهذيب الأحكام: القضايا / باب ٩١ البيّنات، ٦/ ٢٥٣، ح ٦٠؛ وسائل الشيعة: باب ٢٠ من كتاب الوصايا ١٩/ ٣١٢، ح ٧.

٩. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ٤٢/ ٢٥ و ٢٦، طبعة جماعة المدرسين بقم.

بلا فرق بين الوصية المالية والولاية وبلا فرق بين الذمي وغيره فراجع ما حررناه هناك والله العالم.

شأن نزولها

قال القمي: فإنها نزلت في «ابن بندي» و «ابن أبي مارية» النصرانيين، وكان رجل يُقال له: «تميم الداري» مسلم خرج معها في سفر، وكان مع تميم خراج ومتاع وآنية منقوشة بالذهب وقلادة، أخرجها إلى بعض أسواق العرب لبيعها، فلما مروا بالمدينة اعتلّ تميم، فلما حضره الموت دفع ما كان معه إلى ابن بندي وابن أبي مارية، وأمرهما أن يوصلاه إلى ورثته. فقدموا المدينة وأوصلا ما كان دفعه إليهما تميم، وحسبنا الآنية المنقوشة والقلادة!

فقال ورثة الميت: هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق فيه نفقة كثيرة؟

فقالوا: ما مرض إلا أياماً قليلة. قالوا: فهل سُرق منه شيء في سفره [هذا]؟

فقالوا: لا. قالوا: فهل اتَّجر تجارة خسر فيها؟ فقالوا: لا.

قالوا: فقد افتقدنا أنبل شيء كان معه: آنية منقوشة بالذهب مكّلة وقلادة!

فقالوا: ما دفعه إلينا قد أديناه إليكم. فقدموهما إلى رسول الله ﷺ، فأوجب

عليها اليمين، فحلفوا! وأطلقها. ثم ظهرت القلادة والآنية عليهما، فأخبر ورثة الميت

رسول الله ﷺ بذلك، فانتظر الحكم من الله، فأنزل الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا

عَدَلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ يعني من أهل الكتاب ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

فأطلق الله شهادة أهل الكتاب على الوصية فقط إذا كان في سفر ولم يجد المسلم ثم قال:

﴿فَأَصْبَحْتُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ يعني [بعد] صلاة العصر

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ

إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ فهذه الشهادة الأولى التي جعلها رسول الله ﷺ. ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ

أُنْهَمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَءَاخِرَانِ يُقِيمَانِ﴾.

ثم قال ﷺ: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي حلفا على كذب ﴿فَفَاخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ يعني من أولياء المدعي ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ فيُشِيرَانِ بِاللَّهِ أَي يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ ﴿لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وأتھا قد كذبا فيما حلفا بالله. ١

الروايات

صحیحة أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةً بَيْنَكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ قلت: ما آخِرَانِ من غيركم؟ قال: هما كافران. قلت: ذوا عدل منكم؟ فقال: مسلمان. ٢

صحیحة الحلبي ومحمد بن مسلم: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته: هل تجوز شهادة أهل ملّة من غير أهل ملّتهم؟ قال: نعم، إذا لم يوجد من أهل ملّتهم، جازت شهادة غيرهم؛ إنّه لا يصلح ذهاب حقّ أحد. ٣

صحیحة هشام بن الحكم: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: إذا كان الرجل في بلد ليس فيه مسلم، جازت شهادة من ليس بمسلم على الوصية. ٤

صحیحة ربّعي: عن أبي عبد الله عليه السلام في شهادة امرأة حضرت رجلاً يوصي ليس معها رجل، فقال: يجاز ربع ما أوصى بحساب شهادتها. ٥

١. تفسير القمي ١/ ٢٧٥ و ٢٧٦.

٢. الكافي ١٣/ ٣١٨، ح ١ (٤/٧).

٣. الكافي ١٣/ ٣١٨، ح ٢ (٤/٧).

٤. الكافي ١٣/ ٣١٩، ح ٣ (٤/٧).

٥. الكافي ١٣/ ٣٢٠، ح ٤ (٤/٧).

صحيحة أبان: عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال في وصية لم يشهدا إلا امرأة، فأجاز شهادة المرأة في الربع من الوصية بحساب شهادتها^١.

﴿فَإِنْ عَثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَٰئِينَ فَيُقْسَمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَاتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

«بيان وتفصيل للحكم في صورة ظهور خيانة الشاهدين وكذبها في شهادتهما»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية أو استثنائية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿عَثِرَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، في محل جر لأنه فعل الشرط. ﴿عَثِرَ﴾ على الشيء: أطلع عليه وتبين ذلك. العثور: هو الظهور والحصول والوجدان. «أصل فعل عثر أنه مصادفة رجل الماشي جسماً نائياً في الأرض لم يترقبه ولم يحذر منه فيختل به اندفاع مشيه، فقد يسقط وقد يتزلزل. ومصدره العثار والعثور، ثم استعمل في الظفر بشيء لم يكن مترقباً الظفر به على سبيل الاستعارة. وشاع ذلك حتى صار كالحقيقة، فخصوا في الاستعمال المعنى الحقيقي بأحد المصدرين وهو العثار، وخصوا المعنى المجازي بالمصدر الآخر، وهو العثور»^٣.

﴿عَلَىٰ﴾ حرف جر.

﴿أَنَّهُمَا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى ﴿أَتْنَانِ﴾ أو

١. الكافي ١٣/ ٣٢٠، ح ٥ (٤/٧).

٢. الميزان ٦/ ١٩٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٥٠.

﴿ءَاخِرَانِ﴾ في الآية السابقة أي الشاهدان.

﴿أَسْتَحَقَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿إِثْمًا﴾ مفعول به. وجملة ﴿أَسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ خبر ﴿أَنْهُمَا﴾. وأنَّ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر في محلِّ جرِّب ﴿عَلَى﴾، والجار والمجرور في محلِّ رفع نائب فاعل ﴿عُتِرَ﴾. ﴿أَسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾: أي ثبت ارتكابها ﴿إِثْمًا﴾ وهو هنا الخيانة في الشهادة على خلاف ما يقسمان عليه في الآية السابقة ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ سَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ فهذان أي الشراء بالثمن أو الكتمان يعدان إثمها هنا. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿ءَاخِرَانِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي شاهدان ﴿ءَاخِرَانِ﴾، أو فاعل لفعل محذوف

أي يشهد ﴿ءَاخِرَانِ﴾.

﴿يَقُومَانِ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿مَقَامَهُمَا﴾ مفعول مطلق ومضاف إليه. ومقام الشاهدين هو الاتيان بالشهادة

على الوصية وإثباتها.

﴿مِنْ﴾ حرف جر تبعيضية أو بيانية.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلِّ جرِّ، الجار والمجرور متعلق بحال محذوفة من

الشاهدين الجديدين.

﴿أَسْتَحَقَّ﴾ فعل ماضٍ معلوم على قراءة عاصم في رواية حفص والأعشى في غير

رواية النصارى، مجهول على قراءة الجمهور «اسْتَحَقَّ».

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْتَحَقَّ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ﴾. وهم

أولياء الميت.

﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾ فاعل ﴿أَسْتَحَقَّ﴾ على قراءة عاصم. ﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾ تشنية الأولى بمعنى

أحق وأجدر أي الأحقان بالميت وهما من أوليائه الذين عليهم انفاذ وصيته واجرائها.

«والمراد بـ ﴿الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ أولياء الميت، وحاصل المعنى أنه إن عشر على أن الشاهدين أجر ما على أولياء الميت بالخيانة والكذب فيقوم شاهدان آخران من أولياء الميت الذين أجرم عليهم الشاهدان الأولان ﴿الَّذِينَ﴾ بالموت قبل ظهور استحقاقهما الإثم.

هذا على قراءة ﴿اسْتَحَقَّ﴾ بالبناء للفاعل وهو قراءة عاصم على رواية حفص، وأما على قراءة الجمهور «استحق» بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للمفعول فظاهر السياق أن يكون الأوليان مبتدأً خبره قوله: ﴿فَفَاخْرَانِ يَقُومَانِ﴾ الخ، قدم عليه لتعلق العناية به، والمعنى إن عشر على أنها استحقا إثماً فالأوليان بالميت هما آخران يقومان مقامهما من أوليائه المجرم عليهم.

وفي قراءة عاصم من طريق أبي بكر وحمزة وخلف ويعقوب ﴿الَّذِينَ﴾ جمع الأوّل مقابل الآخر، وهو بظاهره بمعنى الأولياء والمقدمين، وصف أو بدل من قوله: ﴿الَّذِينَ﴾.

وقد ذكر المفسرون في تركيب أجزاء الآية وجوهاً كثيرة جداً لو ضرب بعضها في بعض للحصول على معنى تمام الآية ارتقت إلى مئين من الصور، وقد ذكر الزجاج فيما نقل عنه: أنها أشكل آية في كتاب الله من حيث التركيب.

والذي أوردناه من المعنى هو الظاهر من سياق اللفظ من غير تعسف في الفهم، وأضربنا عن استقصاء ما ذكره من المحتملات لأن تكثيرها لا يزيد اللفظ إلا إبهاماً، ولا الباحث إلا حيرة^(١) ٢.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿يُقَسِّمَانِ﴾ معطوف على ﴿يَقُومَانِ﴾.

١. وعلى من يزيد الاطلاع عليها أن يراجع مجمع البيان ٣/٢٥٧؛ روض الجنان ٧/١٩٢؛ تفسير الرازي ١٢/١٢٠؛ روح المعاني ٧/٦٥ للآلوسي وسائر المطولات.
٢. الميزان ٦/١٩٨.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُقَسِّمَانِ﴾ . ﴿لَ﴾ واقعة في جواب القسم .

﴿شَهِدْتَنَّا﴾ مبتدأ ومضاف إليه، والضمير يرجع إلى أولياء الميت .

﴿أَحَقُّ﴾ خبر .

﴿مِنْ شَهِدْتَهُمَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه . متعلقان بـ ﴿أَحَقُّ﴾ . والضمير

يرجع إلى الشاهدين الأولين .

﴿وَ﴾ استئنافية . ﴿مَا﴾ نافية .

﴿أَعْتَدَيْنَا﴾ فعل ماض وفاعله . أي ﴿مَا أَعْتَدَيْنَا﴾ على الشاهدين في إتهامهما في

شهادتهما أو إخفاء بعض الوصية أو بعض التركة .

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه . ﴿إِذَا﴾ حرف جواب لا عمل له .

﴿لَ﴾ لام التأكيد المزحلقة .

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر ﴿إِنَّا﴾ . أي لو ﴿أَعْتَدَيْنَا﴾ لكننا

﴿الظَّالِمِينَ﴾ .

روايتان

خبر يحيى بن محمد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةً بَيْنَكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ

ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾^١؟

قال: اللذان منكم مسلمان، واللذان من غيركم من أهل الكتاب، فإن لم تجدوا

من أهل الكتاب فمن المجوس؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنّ في المجوس سنة أهل الكتاب

في الجزية، وذلك إذا مات الرجل في أرض غربية، فلم يجد مسلمين، أشهد رجلين من

أهل الكتاب، يجلسان بعد الصلاة، فيقسمان بالله عز وجل ﴿لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ

ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١﴾

قال: وذلك إذا ارتاب ولي الميت في شهادتهما، فإن عثر على أتهما شهيدا بالباطل، فليس له أن ينقض شهادتهما حتى يجيء بشاهدين، فيقومان مقام الشاهدين الأولين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَاتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإذا فعل ذلك نقض شهادة الأولين، وجازت شهادة الآخرين، يقول الله عزوجل: ﴿ذَلِكَ أَدَّبَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍهَا أَوْ تَخَافُوا أَنْ تُردَّ أَمِّنُكُمْ بَعْدَ أَيَّمَانِهِمْ﴾ ٣.٢

علي بن سالم، عن رجل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةَ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ ٤.

فقال: اللذان منكم مسلمان، واللذان من غيركم من أهل الكتاب، فان لم تجدوا من أهل الكتاب فممن المجوس، لأن رسول الله ﷺ قال: «وسنوا في المجوس سنة أهل الكتاب في الجزية».

قال: وذلك إذا مات الرجل بأرض غربة، فلم يجد مسلمين، أشهد رجلين من أهل الكتاب، يُحْبَسَانِ من بعد الصلاة، فيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ قليلاً ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ٥.

قال: وذلك إن ارتاب ولي الميت في شهادتهما ﴿فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ يقول: شهيدا بالباطل، فليس له أن ينقض شهادتهما حتى يجيء شاهدان فيقومان مقام الشاهدين الأولين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَاتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا

١. سورة المائدة / ١٠٦.

٢. سورة المائدة / ١٠٨.

٣. الكافي ١٣ / ٣٢٠، ح ٦ (٤ / ٧).

٤. سورة المائدة / ١٠٦.

٥. سورة المائدة / ١٠٦.

لَمِنَ الظَّالِمِينَ^١ فإذا فعل ذلك نقض شهادة الأولين، وجازت شهادة الآخرين، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ تَخَافُوهَا أَنْ تُرَدَّ أَمِّنٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ^{٣.٢}﴾

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ تَخَافُوهَا أَنْ تُرَدَّ أَمِّنٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ^٣﴾
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا^٤ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^{١.٨}

«بيان لحكمة التشريع، وقد اشتملت على أمرين لعلهما يرجعان إلى حالتين تعرضان على الشاهدين، وهما حالة الارتياب، فيحسبان بعد الصلاة، ويحلفان كما عرفت. وحالة ظهور الإثم والخيانة والكذب في شهادتهما وحلفهما، فتردّ ويعمل بشهادة آخرين، أي أنّ ذلك الحكم الذي قرره ﷺ بالترتيب المذكور، أقرب الوسائل والطرق إلى تأدية الشهادة على الوجه المطلوب، وبالكيفية التي حملوها، من غير تحريف وخيانة فيها»^٤.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. إشارة إلى إلى الحالتين مرّتا في الآيتين السابقتين وهما حالة الارتياب وحالة ظهور الخيانة.

﴿أَدْنَىٰ﴾ خبر. ﴿أَدْنَىٰ﴾ بمعنى أقرب، والقرب هنا مجاز في قرب العلم وهو الظن، أي أقوى إلى الظن بالصدق وانكشاف الواقع.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

١. سورة المائدة / ١٠٧.

٢. سورة المائدة / ١٠٨.

٣. تفسير العياشي ٢ / ٨٣، ح ٢٢٣.

٤. مواهب الرحمن ١٢ / ٣٥٩.

﴿يَأْتُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. والضمير الفاعلي عائد إلى الشهداء وهم ﴿أَتَانِ ذَوَا عَدَلٍ مِّنْكُمْ أَوْ أٰخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾^١ والآخران اللذان يقومان مقامهما، وجمع الضمير على إرادة التوزيع.

﴿بِالشَّهَدَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَأْتُوا﴾. أن يؤدوا الشهادة على ما كان عليها من واقعها.

﴿عَلَىٰ وَجْهَهَا﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الشَّهَدَةِ﴾، ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿الشَّهَدَةِ﴾. أي ﴿عَلَىٰ﴾ واقعها وتمامها وكما لها. ﴿أَوْ﴾ حرف عطف، للتقسيم يفيد تفصيل ما أجمله الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ...﴾.

﴿سَخَافُوا﴾ معطوف على ﴿يَأْتُوا﴾. ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تُرَدُّ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب، الرد هنا مجاز في الانتقال.

﴿أَيْمَنُ﴾ نائب فاعله. جمع يمين، وجمعه باعتبار عموم حكم الآية للوصايا.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿تُرَدُّ﴾.

﴿أَيْمَنِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والضمير يرجع إلى الشهداء. ثم فليعلم «إنَّ الإنسان ذو هوى يدعو إلى التمتع بكلِّ ما يسعه التمتع به والقبض على كلِّ ما يتهوسه إذا لم يكن هناك مانع يصرفه عنه سواء كان ذلك منه عن حقِّ يستحقه أو جوراً، عدلاً أو ظلماً وتعدياً على غيره بإبطال حقِّه والغلبة عليه، وإنَّها ينصرف الإنسان عن هذا التعدي والتجاوز إما لمانع يمنعه من خارج بسياسة أو عقوبة أو فضيحة، وإما لرادع يردعه من نفسه؛ وأقوى رادع نفساني هو الاعتقاد بالله الذي إليه مرجع العباد وحساب الأعمال والقضاء الفصل والجزاء المستوفى.

وإذا كان الواقع من أمر الوصية بحسب فرض المقام مجهولاً لا طريق إلى كشفه

إلا شهادة من أشهدهما الميت من الشاهدين فأقوى ما يقرب شهادتها من الصدق أن يؤخذ في ذلك بإيائها بالله تعالى وهو اليمين، وأن يرد اليمين إلى الورثة الأولياء مع يمينها على تقدير انكشاف كذبها وخيانتها عند الورثة، فهذان أعني يمينها أولاً ثم رد اليمين إلى الورثة أقرب وسيلة إلى صدقها في شهادتها وخوفها فضيحة رد اليمين، والرادعان أقوى ما يردعهما من الإنحراف.

ثم عقب تعالى القول بالموعظة والإنذار فقال^١:

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَسْمَعُوا﴾ معطوف على ﴿اتَّقُوا﴾، والأمر بالسمع مستعمل في الطاعة مجازاً كما

في قوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.

﴿الْقَوْمَ﴾ مفعول به.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾ نعت لـ ﴿الْقَوْمَ﴾. وجملة ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ خبر. إنذار

لهم في أن ترك التقوى والسمع يوجب الفسق.

بعض أهم الأحكام المستخرجة من الآيات الثلاث

أهم الأحكام ثلاثة:

«أحدها: استشهاد غير المسلمين في حقوق المسلمين، على رأي من جعله المراد

من قوله ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾. وثانيها: تحليف الشاهد على أنه صادق في شهادته.

وثالثها: تغليظ اليمين بالزمان.

١. الميزان ٦/١٩٩.

٢. سورة المائدة/٧.

فَأَمَّا الْحُكْمُ الْأَوَّلُ: فقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَوْءَاخْرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾. وقد بيّنا أنّ الأظهر أنّ الغيرية غيرية في الدين. وقد اختلف في قبول شهادة غير المسلمين في القضايا الجارية بين المسلمين؛ فذهب الجمهور إلى أنّ حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^١ وقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾^٢ وهذا قول مالك، وأبي حنيفة، والشافعي. وذهب جماعة إلى أنّ الآية محكمة، فمنهم من جعلها خاصّة بالشهادة على الوصية في السفر إذا لم يكن مع الموصي مسلمون. وهو قول أبي موسى الأشعري، وابن عباس، وقضى بذلك أبو موسى الأشعري في وصية مثل هذه، أيام قضائه بالكوفة، وقال: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ. وهو قول سعيد بن المسيّب، وابن جبير، وشريح، وابن سيرين، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وسفيان الثوري، وجماعة، وهو يقولون: لا منسوخ في سورة المائدة، تبعاً لابن عباس. ومنهم من تأوّل قوله ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ على أنّه من غير قبيلتكم، وهو قول الزهري، والحسن، وعكرمة.

وقال أحمد بن حنبل بقياس بقية العقود المشهود فيها في السفر على شهادة الوصية، فقال بأنّ شهادة أهل الذمّة على المسلمين في السفر ماضية، وزاد فجعلها بدون يمين. والأظهر عندي أنّ حكم الآية غير منسوخ، وأنّ قبول شهادة غير المسلمين خاصّ بالوصية في السفر حيث لا يوجد مسلمون للضرورة، وأنّ وجه اختصاص الوصية بهذا الحكم أنّها تعرض في حالة لا يستعدّها المرء من قبل فكان معذوراً في إشهد غير المسلمين في تلك الحالة خشية الفوات، بخلاف غيرها من العقود فيمكن الاستعداد لها من قبل والتوثّق لها بغير ذلك؛ فكان هذا الحكم رخصة. والحكمة التي من أجلها لم تقبل في شريعة الإسلام شهادة غير المسلمين إلاّ في

١. سورة الطلاق / ٢.

٢. سورة البقرة / ٢٨٢.

الضرورة، عند من رأى إعمالها في الضرورة، أن قبول الشهادة تزكية وتعديل للشاهد وترفع لمقداره إذ جعل خبره مَقْطَعاً للحقوق. فقد كان بعض القضاة من السلف يقول للشهود: اتقوا الله فينا فأنتم القضاة ونحن المنفذون. ولما كان رسولنا ﷺ قد دعا الناس إلى اتباع دينه فأعرض عنه أهل الكتاب لم يكونوا أهلاً لأن تزكيتهم أمته وتسمهم بالصدق وهو كذبوا رسولنا، ولأن من لم يكن دينه ديننا لا نكون عاملين بحدود ما يزرعه عن الكذب في خبره، ولا لمجال التضييق والتوسع في أعماله الناشئة عن معتقداته، إذ لعل في دينه ما يبيح له الكذب، وبخاصة إذا كانت شهادته في حق لمن يخالفه في الدين، فإننا عهدنا منهم أنهم لا يتوَحَّون الاحتياط في حقوق من لم يكن من أهل دينهم. قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ (أي المسلمين) سَبِيلٌ﴾^١ فمن أجل ذلك لم يكن مظنة للعدالة ولا كان مقدارها فيه مضبوطاً. وهذا حال الغالب منهم، وفيهم من قال الله في شأنه ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾^٢ ولكن الحكم للغالب.

وأما حكم تحليف الشاهد على صدقه في شهادته: فلم يرد في المأثور إلا في هذا الموضع؛ فأما الذين قالوا بنسخ قبول شهادة الكافر فتحليف شاهدي الوصية الكافرين منسوخ تبعاً، وهو قول الجمهور. وأما الذين جعلوه محكماً فقد اختلفوا، فمنهم من خصَّ اليمين بشاهدي الوصية من غير المسلمين، ومنهم من اعتبر بعلّة مشروعية تحليف الشاهدين من غير المسلمين، ففاس عليه تحليف الشاهدين إذا تطرقت إليهما الريبة ولو كانا مسلمين. وهذا لا وجه له إذ قد شرط الله فيهما العدالة وهي تنافي الريبة، نعم قد يقال: هذا إذا تعذرت العدالة أو ضعفت في بعض الأوقات ووقع الاضطرار إلى استشهاد غير العدول كما هي حالة معظم بلاد الإسلام اليوم، فلا

١. سورة آل عمران / ٧٥.

٢. سورة آل عمران / ٧٥.

يعد أن يكون لتحليف الشاهد المستور الحال وجه في القضاء. والمسألة مبسطة في كتب الفقه.

وأما حكم تغليظ اليمين: فقد أخذ من الآية أن اليمين تقع بعد الصلاة، فكان ذلك أصلاً في تغليظ اليمين في نظر بعض أهل العلم، ويجيء في تغليظ اليمين أن يكون بالزمان والمكان واللفظ. وفي جميعها اختلاف بين العلماء. وليس في الآية ما يتمسك به بواحد من هذه الثلاثة إلا قوله: ﴿مَنْ بَعَدِ الصَّلَاةَ﴾ وقد بينت أن الأظهر أنه خاص بالوصية، وأما التغليظ بالمكان وباللفظ فتفصيله في كتب الخلاف^١.

﴿يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنْكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ

الْغُيُوبِ﴾

«جملة استثنائية تبين شرف الرسل وعظيم منزلتهم عند الله تعالى في يوم يكون عظيماً في الأحوال والأحوال، ما لا يمكن وصفه بلسان المقام، مع أنه يوم مجموع له الناس، فيكون في ذكر الرسل بالخصوص مزية خاصة، مع أن ذكرهم يُغني عن ذكر غيرهم من سائر أفراد الناس؛ لأنهم الشهداء عليهم، وهم أتباع لهم»^٢.

ولها صلة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا^٣ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^٣ «بحسب الانطباق على المورد نهي عن الإنحراف والجور في الشهادة والاستهانة بأمر اليمين بالله فناسب أن يذكر في المقام بما يجري بينه سبحانه وبين رسله يوم القيامة وهم شهداء على أمهم وأفضل الشهداء، حيث من عند الله عليهم فيجيئونه بقولهم: ﴿لَا

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ (٢٥٧-٢٥٥).

٢. مواهب الرحمن ١٢/ ٣٧٧.

٣. سورة المائدة / ١٠٨.

عَلِمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ^١.

فإذا كان الأمر على هذه الوتيرة، وكان الله سبحانه هو العالم بكل شيء حق العلم فجدير بالشهود أن يخافوا مقام ربهم: ولا ينحرفوا عن الحق الذي رزقهم الله العلم به، ولا يكتموا شهادة الله فيكونوا من الآثمين والظالمين والفاستقين^٢.
﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان، منصوب بفعل محذوف نحو «اتقوا» أو «اذكروا» أو «احذروا».

﴿تَجْمَعُ﴾ فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿الرُّسُلُ﴾ مفعول به. وهذا «مشهد رهيب، يحشر فيه الخلائق للحساب والمحكمة قبل صدور الحكم بالعفو أو الإدانة...»^٣ وقال تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^٤ والشهداء هنا الرسل والمشهود هم الأمم.
﴿فَ﴾ حرف عطف.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى، معطوف على ﴿تَجْمَعُ﴾.

﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول به بانتصاب مصدر على معنى: أي إجابة أجبتم.

﴿أُجِبْتُمْ﴾^٥ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. «مستعمل في الاستشهاد. ينتقل منه إلى لازمه، وهو توبيخ الذين كذبوا الرسل في حياتهم أو بدلوا وارتدوا بعد

١. سورة المائدة / ١٠٩.

٢. الميزان / ٦ / ١٩٩ و ٢٠٠.

٣. التفسير الكاشف / ٣ / ١٤٣.

٤. سورة البروج / ٢ و ٣.

٥. بالفارسية: پاسخ به شما داده شد.

مما تمهم^١.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي أجاب أنبياء الله في جوابه سبحانه. والفعل «المفيد للمضي مع أن الجواب لم يقع، للدلالة على تحقيق أنه سيقع حتى صار المستقبل من قوة التحقق بمنزلة الماضي في التحقق. على أن القول الذي تحكى به المحاورات لا يلتزم فيه مراعاة صيغته لزمان وقوعه لأن زمان الوقوع يكون قد تعين بقريته سياق المحاوراة»^٢.

﴿لَا﴾ نافية للجنس. ﴿عَلِمَ﴾ اسم ﴿لَا﴾.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَا﴾. وجملة ﴿لَا عَلِمَ لَنَا﴾ في محل نصب مقول القول. وليس المراد من قولهم ﴿لَا عَلِمَ لَنَا﴾ «نفي العلم إطلاقاً، بل المراد أن علمهم ليس بشيء في جانب علمه تعالى، لأنهم يعلمون من أمتهم ما أظهروا وهو يعلم ما أظهروا وأضمروا»^٣، أو أن المراد به أن حقيقة العلم حتى العلم لا يوجد عند غير الله سبحانه لأنه تعالى يعرف الأشياء والأشخاص بحقيقتهم وماهيتهم الواقعية، أو أن ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ و ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٥ وأنه ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^٦ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^٧ و ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^٨ وانه ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٥٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٥٩.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ١٤٣.

٤. سورة النحل ٧٧؛ هود/ ١٢٣.

٥. سورة فاطر/ ٣٨.

٦. سورة السجدة/ ٦؛ المؤمنون/ ٩٢؛ الزمر/ ٤٦؛ الحشر/ ٢٢؛ التغابن/ ١٨.

٧. سورة الأنعام/ ٥٩.

٨. سورة النمل/ ٦٥.

أَحَدًا * إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿١﴾ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿٢﴾ .
«ويستفاد من هذا الجواب أمور:

الأول: نهاية الخضوع منهم لمعدن العظمة والكبرياء، وغاية الأدب مع علام الغيوم كما عرفت.

الثاني: الاعتراف بحاجتهم الذاتية للرعاية، وإثبات عدم المحض لأنفسهم مقابل مولا هم الحق.

الثالث: إظهار حقيقة الأمر بأن علمهم إفاضي، وأنهم أحوج ما يكون إليه ﷻ من سائر الخلق.

الرابع: إيكال أمر الخلق إليه ﷻ، فإنهم عباده، وهو الرب العظيم الذي سبقت رحمته غضبه، فيكون من قبيل قول عيسى بن مريم كما حكاه ﷻ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾^٣، كما سيأتي.

فإن له الأمر والملك يومئذ، فحالمهم معلوم، وهم بحاجة إلى عناية الباري الكريم، فلم يثبت الأنبياء والرسل عنادهم واعتراضهم عليهم.

الخامس: استغراقهم في بحار العظمة والجلال، وظهور آثار التجلي، فلم يكن ذهولهم عن خوف ذلك اليوم وحزن واقع فيه، فهم الآمنون من فرع ذلك اليوم الرهيب، وقد يكون من عظمة يوم الجمع، كما عرفت آنفاً.

والمستفاد من جميع ذلك أنهم سلام الله عليهم لم ينفوا حقيقة العلم المطلق عنهم، بل العلم الإحاطي الذي يختص به الله تعالى الذي يملك العلم بذاته. ويدل

١. سورة الجن/ ٢٦ و ٢٧.

٢. سورة البقرة/ ٢٥٥.

٣. سورة المائدة/ ١١٨.

على ذلك أَنَّهُ ﷺ أَثْبَتَهُ لَطَائِفَهُ خَاصَّةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَهُمْ شَأْنٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ»^١.

﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد، والضمير الخطاب يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿أَنْتَ﴾ تأكيد آخر لضمير الخطاب الأوَّل.

﴿عَلَّمُ﴾ خبر ﴿أَنْتَ﴾، صيغة مبالغة وحيث لا مبالغة في علم الربِّ فالمراد به حقيقة العلم وكماله وواقعيته.

﴿الْغُيُوبِ﴾ مضاف إليه. جمع غيب، جُمع باعتبار أنواعه وأقسامه واصنافه.

وجملة ﴿أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ «اثبات العلم المطلق الإحاطي للذات المقدسة، الذي يفاض منه على الأفراد حسب القابليات والاستعدادات كما قالت الملائكة ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^٢»^٣.

الروايات

صحيححة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ماذا أُجبتُم في أوصيائكم؟

يسأل الله تعالى يوم القيامة فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا بعدنا بهم.^٤

حسنه يزيد الكُناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ

تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا؟

قال: فقال: إنَّ لهذا تأويلاً يقول: ما ذا أُجبتُم في أوصيائكم الَّذِينَ خَلَّفْتُمُوهم

١. مواهب الرحمن ١٢ / ٣٨١.

٢. سورة البقرة / ٣٢.

٣. مواهب الرحمن ١٢ / ٣٨٣.

٤. تفسير القمي ١ / ٢٧٧، ح ١٩.

على أممكم؟ قال: فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا.^١

رواها العياشي في تفسيره.^٢

خبر أبي يزيد بن الحسن عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ قال: يقولون: لا علم لنا بسواك.

قال: وقال الصادق عليه السلام: القرآن كله تقريب وباطنه تقريب.

قال الصدوق عليه السلام: يعني بذلك أنه من وراء آيات التوبيخ والوعيد آيات الرحمة

والغفران.^٣

وُردّ على الصدوق بأن الظاهر والباطن غير السابق واللاحق.^٤

وقال الرادّ في تفسيره الآخر: «إنّ الكلام ظاهر في أنّ القرآن كله تقريب وكلّه تقريب، وإنما يختلف الأمر بحسب الباطن والظاهر فباطنه تقريب وظاهره تقريب، لا أنّ القرآن منقسم إلى قسمين فقسم منه آيات التقريع ووراء القسم الآخر وهو آيات التقريب.

والتأمل في كلامه عليه السلام مع ملاحظة صدر الرواية يعطي أن مراده عليه السلام من التقريع بالنظر إلى مقابلة التقريب لأزم معناه وهو التباعد المقابل للتقريب، والقرآن كلّ معارف وحقائق فظاهرة تباعد الحقائق بعضها من بعض وتفصيل أجزائها، وباطنه تقريب البعض من البعض وإحكامها وتوحيدها، ويعود محصل المراد إلى أنّ القرآن بحسب ظاهره يعطي حقائق من المعارف مختلفة بعضها بائن منفصل من بعض لكنها على كثرتها وبيئونها وابتعاد بعضها من بعض بحسب الباطن يقترب بعضها من

١. الكافي ١٥/٧٥٠، ح ٥٣٥ (١/٣٣٨).

٢. تفسير العياشي ٢/٨٥، ح ٢٢٥.

٣. معاني الأخبار / ٢٣١.

٤. والراد عليه هو العلامة الطباطبائي في تفسيره البيان في موافقه بين الحديث والقرآن ٣/٣٥٥.

بعض وتلتئم شتى معانيها حتى تتحد حقيقة واحدة كالروح الساري في الجميع، وليست إلا حقيقة التوحيد قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾ ٢.١

وقال سيّد المواهب: «المراد منه أنّ القرآن الكريم يختلف عن سائر الكلام الفصيح، فإنّ ظاهره يدلّ على مطلب، وباطنه يريد مطلباً آخر، وتدلّ كلماته دلالات متعدّدة. وعلى هذا الأساس أفردنا بحثاً دلاليّاً، فقد استفاد من آية واحدة وجوه متعدّدة، فالآية التي تقدّم تفسيرها ظاهرها توييح الأمم لعدم إجابتهم الأنبياء المرسلين، ولكن باطنها طلب الرحمة لهم، إذ أوكلّ الرسل أممهم إلى علمه الأتمّ، الذي هو عين ذاته المقدّسة، التي تفيض الرحمة الرحانيّة والرحيميّة منها، فيكون تفسير الصدوق عليه السلام للرواية تفسيراً بالمصداق، وهذا هو سرّ إعجاز القرآن الكريم.

وأما ما ذكره بعض السادة المفسّرين^٣ في توجيه الرواية إن أمكن إرجاعه إلى ما ذكرناه فلا بأس به. وإلا فلا دليل عليه. كما أنّ ما ذكره بعض آخرون من أنّ المراد اشتغال القرآن على آيات التوعيد والتقريع وآيات التقريب. فإنّ الحديث ينظر إلى نفس الآية الواحدة لا إلى الآيات الأخرى»^٤.

وفي صحيح البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنَا الْمَغِيرَةَ بْنِ النَّعْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرُلًا ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾^٥ إلى آخر الآية، ثمّ قال: أَلَا وَإِنْ أَوَّلَ

١. سورة هود / ١.

٢. الميزان / ٦ / ٢١٧.

٣. وهو العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي عليه السلام صاحب الميزان.

٤. مواهب الرحمن / ١٢ / ٣٩٨.

٥. سورة الأنبياء / ١٠٤.

الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصبحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۗ﴾^١ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.^٢

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۗ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۗ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۗ﴾

«قد ذكر ﷺ ما جرى بينه وبين فرد واحد من الرسل، أثر ما جرى بينه وبينهم من المحاوراة الإجمالية أولاً؛ لبيان ما امتنّ به ﷺ عليه من الآيات الباهرات وعلى والدته، وقد سردها ﷺ عليه في سورة آل عمران من دون تفاوت يذكر ذلك. أولاً: تعظيماً لشأن عيسى بن مريم عند الله تعالى. ثانياً: لبيان أنّ ما جرى لفرد واحد من الرسل، إنّما يجري لسائر الأنبياء والمرسلين، وأنّه مثال للبقية.

١. سورة المائدة/ ١١٧.

٢. صحيح البخاري ١٩١/٥ طبعة دارالفكر بيروت ونحوها في سنن الترمذي ٤/٥ في ذيل تفسير سورة الأنبياء.

ثالثاً: الاحتجاج على معانديه بتفضيل النعم عليهم، فيكون أجلب لحسرتهم وأعظم عليهم، ولعلّه لأجل هذا لم يكن تذكير عيسى ﷺ بالنعم في ذلك اليوم لأجل الشكر عليها، فإنه خرج عن عهده في دار الدنيا، بل لإظهار أمره وإتمام الحجّة على أمته الذين انقسموا إلى طائفتين الغلاة والكفرة، كما سرد ﷺ قصّتهم في هذه السورة^١.

﴿إِذْ ظُرِفَ زَمَانٌ بِمَعْنَى «حِينَ»، مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ نَحْو: أُذْكَرُ. ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ فَعَلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ. وَقَدْ مَرَّ عَلَّةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ذَيْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَالُوا﴾.

﴿يَعِيسَى﴾ اِدَاءٌ وَمَنَادَى. ﴿أَبْنُ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿عِيسَى﴾.

﴿مَرِيَمَ﴾ مِضَافٌ إِلَيْهِ. مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ.

﴿أَذْكَرُ﴾ فَعَلٌ أَمْرٌ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ «أَنْتَ»، مَقُولُ الْقَوْلِ.

﴿نِعْمَتِي﴾ مَفْعُولٌ بِهِ وَمِضَافٌ إِلَيْهِ.

﴿عَلَيْكَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿نِعْمَتِي﴾. سُرْدٌ لِلنَّعْمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى

عيسى النبي ﷺ.

﴿وَ﴾ عَاطِفَةٌ.

﴿عَلَىٰ وَوَالِدَتِكَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ وَمِضَافٌ إِلَيْهِ. مَعْطُوفَانِ عَلَىٰ ﴿عَلَيْكَ﴾، لِأَنَّ

الكرامات التي تكون لعيسى ﷺ تكون لوالدته أيضاً، فهما معاً منعمان بالنعمة الإلهية

كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^٢.

﴿إِذْ﴾ ظُرِفَ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿نِعْمَتِي﴾ لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْمَصْدَرِ، أَيِ النِّعْمَةِ الْحَاصِلَةِ فِي

ذلك الوقت.

١. مواهب الرحمن ١٢/ ٣٨٤.

٢. سورة الأنبياء / ٩١.

﴿أَيْدَتُكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به.

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. ﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل الذي هو واسطة وحي الإلهي.

﴿تُكَلِّمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿النَّاسِ﴾ مفعول به.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ جارٍ ومجرور في محلِّ نصب حالٍ من ﴿تُكَلِّمُ﴾. أي في الطفولة والرضاعة.

﴿وَكَهَلًا﴾ حرف عطف ومعطوفه عطفاً على محلِّ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾. أي حين

الكهولة ونزوله ﷺ خلف الإمام المهدي ﷺ بعد ظهوره.

﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿إِذْ عَلَّمْتِكَ﴾ معطوف على ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ﴾.

﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به ثانٍ. عام يشمل جميع المذكورات بعده.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ معطوف على ﴿الْكِتَابِ﴾. وهي الحقائق التي تكون نافعة للإنسان

اعتقاداً وعملاً ولها دخل في سعادة الدارين ومعرفة حقيقة الأشياء.

﴿وَالتَّوْرَةَ﴾ معطوفة على ﴿الْكِتَابِ﴾. لأنَّ شريعته موسى النبي ﷺ مع

اصلاحات قليلة.

﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ معطوفة على ﴿الْكِتَابِ﴾. وهو كتابه الخاص المنزَّل إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِذْ تَخَلَّقُ﴾ معطوف على ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ﴾. «الخلق بمعنى الإيجاد عن تقدير، سواء

كان بلا سبق مادّة أصلاً كخلق الأرواح، أم مع سبقها كخلق عيسى الطير. والمراد به

في المقام هو الثاني. والتعبير بالمضارع عن فعل مضي لتصوير الواقعة وتمثيلها في الذهن

كأنَّها واقعة في الخارج»^١.

﴿مِنَ الطَّيْنِ﴾ جارٍ ومجرور متعلِّق بـ ﴿تَخَلَّقُ﴾.

﴿كَ﴾ اسم بمعنى مثل في محل نصب صفة لمفعول ﴿تَخْلُقُ﴾ أو لمفعول مطلق أي خَلَقًا ﴿كَهَيْئَةٍ﴾ .

﴿هَيْئَةٍ﴾ مضاف إليه. الهيئة: الشكل والصورة. ﴿الطَّيْرِ﴾ مضاف إليه ثان. ﴿بِإِذْنِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَخْلُقُ﴾. أي بأمري وورخصتي وقدرتي وهدايتي وقوتي وحولي ومن دون استقلال عيسى ﷺ في ذلك.

﴿وَفَ﴾ عاطفة. ﴿تَنْفُخُ﴾ معطوف على ﴿تَخْلُقُ﴾ .
 ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَنْفُخُ﴾ . ﴿وَفَ﴾ عاطفة.
 ﴿تَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر «هي» .
 ﴿طَيْرًا﴾ خبر ﴿تَكُونُ﴾ . ﴿بِإِذْنِي﴾ متعلق بـ ﴿تَكُونُ﴾ .
 ﴿وَفَ﴾ عاطفة. ﴿تُتْرَى﴾ معطوف على ﴿تَخْلُقُ﴾ . أي تشفي.
 ﴿الْأَكْمَهَ﴾ مفعول به. وهو مَنْ ولد أعمى. ﴿وَفَ﴾ عاطفة.
 ﴿الْأَبْرَصَ﴾ معطوف على ﴿الْأَكْمَهَ﴾ . البرص: مرض جلدي معروف. تخصيصها بالذكر لأئمتها داء ان لارجاء لشفائها حتى الآن بعد مضي قرون متهادية وتقدم علم الطب.

﴿بِإِذْنِي﴾ تأكيد على أنّ المعجزات جميعها من الله تعالى وإذنه لا يستقل عيسى ﷺ فيها وأنه يدعو الله وشافاهما الله تعالى وهو الشافي.

﴿وَفَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ تُخْرِجُ﴾ معطوف على ﴿إِذْ تَخْلُقُ﴾ .
 ﴿الْمَوْتَى﴾ مفعول به. جمع ميت. و «ال» للعهد.
 ﴿بِإِذْنِي﴾ أي أنّ عيسى يدعو الله وأحياهم الله تعالى لأنه هو المحيي.
 ﴿وَفَ﴾ عاطفة.

﴿إِذْ كَفَفْتُ﴾ معطوف على ﴿إِذْ أَيْدُتُكَ﴾ . أي حفظتك حين أرادوا قتلك.
 ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿عَنْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَفَفْتُ﴾ .

﴿إِذْ جِئْتَهُمْ﴾ ظرف وفعل ماض وفاعله ومفعول به. أي حين جاء عيسى عليه السلام إليهم.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جِئْتَهُمْ﴾. أي الدلائل الواضحات والمعاجز الباهرات.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ فعل وفاعل.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل وفاعله، صلة الموصول.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الَّذِينَ﴾ .

﴿إِنْ﴾ حرف نفي بمعنى ما.

﴿هَذَا﴾ مبتدأ. إشارة إلى مجموع مشاهداتهم من البيئات.

﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر. ﴿سِحْرٌ﴾ خبر. ﴿مُؤَيَّنٌ﴾ نعت.

روايتان

خبر عبدالله بن سليم العامري: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن عيسى بن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام، وكان سأل ربه أن يحييه له، فدعاه، فأجابه، وخرج إليه من القبر، فقال له: ما تريد مني؟ فقال له: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى، ما سكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا، وتعود علي حرارة الموت؟ فتركه فعاد إلى قبره..^١

حسنة أبان بن تغلب وغيره: عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل: هل كان عيسى بن مريم أحيًا أحدًا بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد؟ فقال: نعم، إنه كان له صديق مواخ له في الله تبارك وتعالى، وكان عيسى عليه السلام

يمرّ به وينزل عليه، وإنّ عيسى غاب عنه حيناً، ثمّ مر به ليسلم عليه، فخرجت إليه أمّه فسألها عنه، فقال: مات يا رسول الله، فقال: أفتحيين أن تريه؟ قال: نعم، فقال لها: فإذا كان غداً أتيك حتى أحييه لك بإذن الله تبارك وتعالى، فلمّا كان من الغد أتاها، فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره، فوقف عليه عيسى عليه السلام، ثمّ دعا الله عزوجل، فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رأته أمّه ورآها بكيا، فرحمها عيسى عليه السلام، فقال له عيسى: أتحبّ أن تبقى مع أمك في الدنيا؟ فقال: يا نبيّ الله، بأكل ورزق ومدّة، أم بغير أكل ولا رزق ولا مدّة؟ فقال له عيسى عليه السلام: بأكل ورزق ومدّة، وتعمّر عشرين سنة، وتزوّج ويولد لك، قال: نعم إذا.

قال: فدفعه عيسى إلى أمّه، فعاش عشرين سنة، وتزوّج وولد له.^١

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا

مُسْلِمُونَ﴾

الآية مسوقة لأخذ الميثاق من الحواريين في قصة نزول المائدة عليهم وتبيّنت سبب استسلامهم وإذعانهم لدعوة عيسى النبي عليه السلام ثمّ كفرهم بذلك.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان منصوب بفعل محذوف «اذكر». معطوف على ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾

في الآية السابقة.

﴿أَوْحَيْتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى. والمراد بالوحي هنا إمّا الوحي إليهم بواسطة نبيهم عيسى عليه السلام أو الوحي إليهم من دون

١. الكافي ١٥/٧٤٨، ح ٥٣٢ (٨/٣٣٧).

الواسطة بإلهامهم.

﴿إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَوْحَيْتُ﴾. ﴿الْخَوَارِجِ﴾: جمع الحواري وهو مَنْ أخلص في المودّة، يطلق إلى أنصار عيسى النبي ﷺ ومحبيه الخاص.

﴿أَنْ﴾ حرف تفسير بمعنى «أي»، للوحي الذي ألقاه الله إليهم.

﴿ءَامِنُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿بِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامِنُوا﴾ والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِرَسُولِي﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامِنُوا﴾، معطوف على ﴿بِ﴾.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. وما بعده جواب ما أُوحي إليهم، وهذا فصل بين

ما أُوحي إليهم وجوابهم.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله. مقول القول: أي ﴿ءَامَنَّا﴾ بالله ورسوله.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَشْهَدُ﴾ فعل أمر بمعنى دعا وتضرع وفاعله ضمير «أنت» يرجع إلى الله، فهم

يشهدون الله على إيمانهم.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿أَنَّنَا﴾ حرف مشبهه بالفعل، تأكيد واسمه.

﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبره. حرف مشبهه بالفعل واسمه وخبره بتأويل مصدر في محل جر

بالباء، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿أَشْهَدُ﴾، تقديره: اشهد يا ربّ بكوننا مسلمين أو

باسلامنا. سمى إيمانهم إسلاماً لـ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^١.

روايتان

عن محمد بن يوسف الصنعاني، عن أبيه، قال: سألتُ أبا جعفر ﷺ عن قوله

١. سورة آل عمران / ١٩.

تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾، قال عليه السلام: أَلْهُمُوا. ١

معتبرة الحسن بن علي بن فضال قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: لم سمي الخواريون الخواريين؟

قال: «أما عند الناس فإنهم سموا خواريين: لأنهم كانوا قصارين، يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا فسمي الخواريون الخواريين؛ لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم، ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير».


قال: فقلت له: فلم سمي النصارى نصارى؟

قال: «لأنهم من قرية اسمها: ناصرة من بلاد الشام، نزلتها مريم وعيسى عليه السلام بعد رجوعهما من مصر». ٢

ورواها الصدوق في علل الشرائع ٣ أيضاً.

«الخَوَارِي»: الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه وكذلك «الخبز الحواري» الأبيض الخالص.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا

مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ 

تبينت منزلة الخواريين بعد إيمانهم عند المسيح ومنزلته عليه السلام عند الله سبحانه وتعالى.

١. تفسير العياشي ٢/ ٨٥، ح ٢٢٦.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٧٣، ح ١٠ طبعة آل البيت.

٣. علل الشرائع / ٨٠، ح ١.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان، منصوب بفعل محذوف «اذكر».

﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ﴾ فعل ماض وفاعله، ويظهر من مقالته أنهم لا يروون عيسى الربّ أو ابنه بل يروونه عبداً وابن أمة ورسولاً غيره من الرسل.

﴿يَتَا﴾ حرف نداء. ﴿عَيْسَى﴾ منادى. ﴿أَبْنِ﴾ بدله.

﴿مَرِيَمَ﴾ مضاف إليه. ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام. ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ فعل مضارع.

﴿رُبُّكَ﴾ فاعله ومضاف إليه. «قرأ الكسائي والأعشى إلا النفاذ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالتاء ﴿رُبُّكَ﴾ بنصب الباء. الباقيون بالياء وضم الباء. وأدغم الكسائي اللام في التاء»^١. كما وردت في الرواية الآتية.

إنّ الحواريين اقترحوا على نبيهم أن يريهم آية خاصة بحيث تختصّ بهم وتستأثرهم عن غيرهم. وليس هذا الاقتراح سوء أدب ولا كفر ولا غيرهما منهم.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُنزِلُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُنزِلُ﴾. ﴿أَنْ﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ نصب ﴿يَسْتَطِيعُ﴾.

﴿مَايِدَةً﴾ مفعول به، ﴿مَايِدَةً﴾: الخوان الموضوع عليه طعام.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُنزِلُ﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر «هو» يرجع إلى نبيهم عيسى عليه السلام.

﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، مقول القول. ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. وجواب الشرط محذوف تقديره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ف ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ واركوا هذا الدعاء.

رواية

عن يحيى الحلبي، في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، قال: قراءتها (هل تستطيع ربك) يعني: هل تستطيع أن تدعو ربك.^١

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١١٣)

اعتذار منهم للتخلص من التوبيخ وعدوا من الأغراض أربعة:

١- الأكل منها ٢- اطمئنان القلب ٣- العلم بصدق نبيهم ٤- الشهادة بها عند الله يوم القيامة.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿الْحَوَارِئِ﴾. أجابوا به في مقابل قول عيسى عليه السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿نُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». مقول القول. بيان لاعتذاراتهم.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿نَأْكُلُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَأْكُلُ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَا يَدَّءُ﴾. أي ﴿نُرِيدُ﴾ أكل من المائدة المنزلة من السماء. وليس غرضهم الأكل لدفع الجوع بل التشرف بأكل شيء نازل من السماء حتى يستعدوا للفيوضات الربانية والمدارج العالية المعنوية. وهذا هو الغرض الأول منهم لإرادة نزول المائدة.

١. تفسير العياشي ٢/ ٨٥، ح ٢٢٧.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تَطْبِينٌ﴾ فعل مضارع منصوب، معطوف على ﴿تَأْكُلُ﴾. ﴿قُلُوبَنَا﴾ فاعل ومضاف إليه واطمئنان القلب وسكونه من أهم موجبات طي المدارج المعنوية وبلوغ المراحل اليقينية. وهذا هو الغرض الثاني. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نَعَلَمَ﴾ فعل ماضٍ منصوب وفاعله ضمير مستتر «نحن». معطوف على ﴿تَأْكُلُ﴾. والمراد بالعلم هنا اليقين والإيمان القطعي. ﴿أَنَّ﴾ مخففة من المثقلة. حرف مشبه بالفعل واسمه ضمير شأن. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿صَدَقْتَنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. والضمير الفاعلي يرجع إلى نبيهم عيسى عليه السلام والمفعولي إلى الحواريين. وهذا اليقين والإيمان القطعي هو الغرض الثالث. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر «نحن». معطوف على ﴿تَأْكُلُ﴾.

﴿عَلَيْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوف، تقديره: عاكفين ﴿عَلَيْهَا﴾. ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿نَكُونُ﴾. أي نشهد بها لغيرنا من المؤمنين أو المنكرين أو الشهادة عند الله يوم القيامة. وهذه الشهادة هي الغرض الرابع. والله العالم بكتابه.

تنبيه

الفرق بين حوارى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحوارى النبي عيسى عليه السلام «كان لمحمد صلى الله عليه وسلم حواريون، كما كان لعيسى عليه السلام، ولأى نبي من الأنبياء، ولكن صحابة محمد ما سألوه أن يطعمهم من جوع بآياته ومعجزاته كما فعل أصحاب عيسى الذين

قالوا له: نريد أن نأكل منها، ولا أن يؤمنهم من خوف كما فعل أصحاب موسى، بل قالوا له في بعض معاركه بلسان المقداد بن الأسود: «امض يا رسول الله لما أَرَادَكَ اللهُ، فنحن معك، ولا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾^١، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه».

وكانوا يتساقطون شهداء بين يديه، وهم يقولون: فرنا ورب الكعبة، وروى عنهم التاريخ في ذلك ما يشبه الأساطير. قاتل عمارة بن يزيد يوم أحد، حتى أثختته الجراح، ولما أيقن بالموت رمى برأسه على قدمي رسول الله، ولم يرفعه، حتى فارق الحياة سعيداً بهذه الخاتمة.

وسقط سعد بن الربيع شهيداً في أحد، فقال لأحد أصحابه: قل لرسول الله يقول لك سعد بن الربيع: جزاك عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وابلغ قومك عني السلام، وقل لهم: ان ابن الربيع يقول لكم: انه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم، ومنكم عين تطرف.

وكان عمرو بن الجموح أعرج، وأراد الخروج مع النبي إلى حرب أحد، فحاول أولاده أن يمنعه من الخروج، فاشتكى لرسول الله، وقال: اني أرجو أن أعرج الليلة إلى الجنة، فأذن رسول الله له، وقتل هو وأولاده الأربعة، وشقيق زوجته، فجاءت أرملته بعد المعركة، وحملت زوجها وأخاها وأولادها الأربعة على جمل، وذهبت بهم إلى المدينة، فقابلتها النساء يسألنها عن الأخبار. قالت: أما رسول الله فبخير، وكل مصيبة بعده تهون. فسألتها: وما هذه الجثث؟ قالت: هؤلاء أولادي وزوجي وأخي أكرمهم الله بالشهادة، وأحملهم لأدفنهم.

هذه أمثلة نقدمها للدلالة على مدى الفرق بين حوار محمد، وحواري غيره

من الأنبياء. ولا نبالغ إذا ما قلنا: ان ما من نبي على الاطلاق ظفر بما ظفر محمد رسول الله ﷺ من أصحاب صدقوا ما عاهدوه عليه. أما السر فيكمن في شخصيته، وعظمة رسالته^١.

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

دعاء من النبي عيسى عليه السلام يظهر منه غاية عبوديته وأدبه وعقلانيته.

﴿ قَالَ ﴾ فعل ماض، ومقول قول له دعاءه. ﴿ عِيسَى ﴾ فاعله.

﴿ ابْنُ ﴾ نعت أو بدل من ﴿ عِيسَى ﴾. ﴿ مَرْيَمَ ﴾ مضاف إليه.

﴿ اللَّهُمَّ ﴾ لفظ الجلالة، منادى بأداة نداء محذوفة مبني على الضم في محل نصب، والميم المشددة في آخره عوض عن أداة النداء المحذوفة وهذا يختص بلفظ الجلالة فقط. دعا عيسى عليه السلام الله مرتين: أحدهما بإسم الجلالة وهو اسم لذات الجامع لجميع الكمالات من الإلوهية والعلم والقدرة والحياة.

﴿ رَبَّنَا ﴾ منادى ثان بأداة نداء محذوفة ومضاف إليه.

وهذا دعاء الثاني بوصف الرب المنبئ عن قيومية الله تعالى وأدارته على العوالم، وأدخل نفسه فيهم ودعا بلسان الجمع.

وتوحد هذه الآية من الجمع بين هاتين الكلمتين وتصديرها بـ «اللهم ربنا».

وتصريح باستجابة الدعاء مع استعمالهما إن شاء الله تعالى.

﴿ أَنْزِلْ ﴾ فعل أمر وفاعله في مقام الدعاء.

﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. ﴿مَأْيِدَةً﴾ مفعول به.
 ﴿مِنْ أَلْسَمَاءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿مَأْيِدَةً﴾. والمراد بالمائدة
 السماوية هي التي تنزل من الجنة.

واختلفوا في الطعام النازلة على المائدة والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام
 أنه خبز وسمك. ١

﴿تَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿مَأْيِدَةً﴾.
 ﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿تَكُونُ﴾، أي له ولائته.
 ﴿عِيدًا﴾ خبر ﴿تَكُونُ﴾.

الجملة الفعلية ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ في محل نصب صفة ﴿مَأْيِدَةً﴾، على نحو المجاز
 بمعنى أن اليوم الموافق ليوم نزول المائدة من كل سنة يكون عيداً لهم فإسناد العيد إلى
 المائدة مجازي.

«والعيد مأخوذ من العود، وهو [أجوف] واويّ، وجمعه أعياد، وإن كان
 القياس أن تكون أعواد؛ لأنّ الجموع تردّ الأشياء إلى أصولها، إلّا أنّ كراهة الاشتباه
 بجمع عود جعلته على خلافه. وإنّما اقتصر صلوات الله عليه على ذكر العيد دون غيره
 مع إنّ فيه من اللطافة - كما عرفت - فإنّ العبد يبعث السرور في النفوس وينشّطها،
 ويجمع الكلمة ويبين عظمة الدين كلّما عاد، ويجدد حياة الملة، فكان فيه ما ذكره
 الحواريون في توجيه سؤالهم وزيادة» ٢.

﴿لَأَوْلَيْنَا﴾ جار ومجرور بدل من ﴿لَنَا﴾. بدل كلّ من كلّ. أي أول هذه الأمة.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاخِرِنَا﴾ معطوف على ﴿لَأَوْلَيْنَا﴾. وآخر هذه الأمة. والجملة تدل على أنّ هذا

١. التبيان ٤/٦١.

٢. مواهب الرحمن ١٢/٤١٦.

العيد يكون من اختصاصات النصارى.

«وهذا العيد الذي ذكر في هذه الآية غير معروف عند النصارى ولكنهم ذكروا أن عيسى عليه السلام أكل مع الحواريين على مائدة ليلة عيد الفصح، وهي الليلة التي يعتقدون أنه صلب من صباحها. فلعل معنى كونها عيداً أنها صيرت يوم الفصح عيداً في المسيحية كما كان عيداً في اليهودية، فيكون ذلك قد صار عيداً باختلاف الاعتبار وإن كان اليوم واحداً لأن المسيحيين وفقوا لأعياد اليهود مناسبات أخرى لا ثقة بالمسيحية إعفاء على آثار اليهودية»^١.

ويظهر من هذا الدعاء أن جعل العيد يكون بيد أنبياء الله تعالى وأممهم ولا يكون توقيفياً من الرب ﷻ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَايَةً﴾ معطوفة على ﴿عِيداً﴾.

﴿مِنْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿ءَايَةً﴾. ﴿وَءَايَةً مِنْكَ﴾ على توحيدك ورسالة نبيك وتصديق دينك.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَرْزُقْنَا﴾ معطوف على ﴿أَنْزَلَ﴾. فعل أمر وفاعله «أنت» مستتر ومفعول به، في مقام الدعاء والتضرع. تأكيد لما سأله الحواريون من قولهم: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾^٢. ولكن بدل كلمة «الأكل» بـ «الرزق» حتى صح إردافه بقوله:
﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾ خبره. ﴿الرَّزْقِينَ﴾ مضاف إليه.

وبالجمللة: «فانظر إلى أدبه عليه السلام البارع الجميل مع ربه، وقس كلامه إلى كلامهم - وكلا الكلامين يؤمان نزول المائدة - ترى عجباً فقد أخذ عليه السلام لفظ سؤالهم فأضاف وحذف، وقدم وأخر، وبدل وحفظ حتى عاد الكلام الذي ما كان ينبغي أن يوجه به

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٦٨.

٢. سورة المائدة/ ١١٣.

إلى حضرة العزة وساحة العظمة أجمل كلام يشتمل على أدب العبودية، فتدبر في قيود كلامه ﷺ ترى عجباً»^١.

الروايات

عن عيسى العلوي، عن أبيه، عن أبي جعفر ﷺ، قال: المائدة التي نزلت على بني إسرائيل مُدَلَّاة بسلاسل من ذَهَبٍ، عليها تسعة أُخُونَةٍ^٢، وتسعة أرغفة^٣. رواها القطب الراوندي في قصص الأنبياء بسنده المتصل وفيه: «تسعة أحوات وتسعة أرغفٍ فحسب»^٤.

عن الفضيل بن يسار، عن أبي الحسن ﷺ، قال: إن الخنازير من قوم عيسى ﷺ سألوا نُزُولَ المائدة، فلم يُؤْمِنُوا بها، فمسخهم الله خَنَازِيرَ^٥. عن عبد الصمد بن بُندار، قال: سَمِعْتُ أبا الحسن ﷺ يقول: كانت الخنازير قومٌ من القَصَّارين، كَذَّبُوا بالمائدة، فمُسخُوا خَنَازِيرَ^٦.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ ط فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

وعد صريح باستجابة الدعاء وإنزال المائدة.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

١. الميزان ٦/ ٢٣٦.

٢. الأُخُونَةُ: جمع خِوَانٍ، وهو ما يُوضَع عليه الطعام لِيُؤْكَلَ، وفي «نسخة»: أحوتة.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٨٥، ح ٢٢٨.

٤. قصص الأنبياء ١/ ٤٤١، ح ٢٥٣.

٥. تفسير العياشي ٢/ ٨٦، ح ٢٣١.

٦. تفسير العياشي ٢/ ٨٦، ح ٢٣١.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشببه بالفعل واسمه. تأكيد لتحقيق الوعد واستجابة الدعاء.
 ﴿مُنزَلَهَا﴾ اسم فاعل، اسم «ان» ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿مَآيِدَةً﴾.
 «قرأ ﴿مُنزَلَهَا﴾ بالتشديد أهل المدينة وابن عامر وعاصم والباقون بالتخفيف»^١.
 «والتخفيف أوفق لأنّ الإنزال هو الدال على النزول الدفعي، وكذلك نزلت المائدة،
 وأمّا التنزيل فاستعماله الشائع إنما هو في النزول التدريجي»^٢.
 ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق باسم فاعل ﴿مُنزَلَهَا﴾. والضمير يرجع إلى
 الحواريين.

﴿فَ﴾ «تفريع عن إجابة رغبتهم وتحذير لهم من الوقوع في الكفر بعد الإيـان
 إعلاماً بأهمية الإيـان عند الله تعالى»^٣.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، متبداً. وجملت فعل الشرط وجوابه خبره.
 ﴿يَكْفُرُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط. وفاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿بَعْدُ﴾ ظرف زمان مبني على الضم في محلّ نصب متعلّق بـ ﴿يَكْفُرُ﴾.
 ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة مِنْ ﴿مَنْ﴾ أي حال كونه ﴿مِنْكُمْ﴾.
 و «من» بيانيّ.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنِّي﴾ حرف مشببه بالفعل واسمه.
 ﴿أُعَذِّبُهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «انا» ومفعول به، خبر «ان».
 وجملة ﴿إِنِّي أُعَذِّبُهُ﴾ جواب الشرط في محلّ جزم.
 ﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿أُعَذِّبُهُ﴾ مرّ إلا أنّ ضميره يرجع إلى المفعول المطلق وليس مفعولاً به.

١. التبيان ٤/٦٢.

٢. الميزان ٦/٢٣٦.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/٢٦٩.

﴿أَحَدًا﴾ مفعول به.

﴿مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَحَدًا﴾.

أي: لا أعذب ﴿أَحَدًا مِّنَ الْعَلَمِينَ﴾ ذلك العذاب، يعني مثل ذلك العذاب.
«ومن هناك يظهر أيضاً ان قوله ﴿فَلِئِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَلَمِينَ﴾ وإن كان وعيداً شديداً بعذاب بئس لكن الكلام غير ناظر إلى كون العذاب فوق جميع العذابات والعقوبات في الشدة والألم، وإنما هو مسوق لبيان انفراد العذاب في بابه، واختصاصهم من بين الأمم به»^١.

«اختلف المفسرون في أن المائدة هل نزلت من السماء أو لم تنزل. فعن مجاهد والحسن أنهم لما سمعوا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُمُ﴾ الآية خافوا فاستعفوا من طلب نزولها فلم تنزل. وقال الجمهور: نزلت. وهو الظاهر لأن قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وعد لا يخلف، وليس مشروطاً بشرط ولكنه معقب بتحذير من الكفر، وذلك حاصل أثره عند الحواريين وليسوا ممن يخشى العود إلى الكفر سواء نزلت المائدة أم لم تنزل»^٢.

في تفسير القمي: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قال عيسى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^٣ فقالوا كما حكى الله: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْبِخَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ * قال عيسى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ^٤ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ * قال الله^٥: ﴿إِحْتِجَاجاً عَلَيْهِمْ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ^٦ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُمُ فَلِئِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ

١. الميزان ٦/ ٢٣٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ٢٦٩.

٣. سورة المائدة / ١١٢.

٤. سورة المائدة / ١١٥-١١٣.

أَعْلَمِينَ»^١.

فكانت تنزل المائدة عليهم، فيجتمعون عليها ويأكلون حتى يشبعوا، ثم ترفع، فقال كبارؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها! فرفع الله المائدة، ومسخوا قردهً وخنازير!^٢.

رواية

عن الفيض المختار، قال سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما أنزلت المائدة على عيسى عليه السلام قال للحواريين: لا تأكلوا منها حتى آذن لكم. فأكل منها رجلٌ منهم، فقال بعض الحواريين: يا رُوح الله، أكل منها فلان. فقال له عيسى عليه السلام: أكلت منها؟ قال له: لا. فقال الحواريون: بلى والله يا رُوح الله، لقد أكل منها. فقال له عيسى عليه السلام: صَدَّقَ أَخَاكَ، وَكَذَّبَ بَصْرَكَ.^٣

«وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقٍ إِن كُنتَ قُلْتُهُ ۗ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ

تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ» ﴿١١٦﴾

«حوار عجيب بين الله ﷻ وبين رسوله عيسى بن مريم عليه السلام، في أمرٍ هو بالغ الأهمية بالنسبة إليه وأتباعه، وهو يشتمل على دقائق ورموز هي في غاية الدقة والعظمة. ويختلف هذا الأسلوب المحاوريّ عن سائر المحاورات، فإنه يعتمد على

١. سورة المائدة / ١١٥.

٢. تفسير القمي / ١ / ٢٧٧.

٣. تفسير العياشي / ٢ / ٨٥، ح ٢٢٩.

الحقيقة والواقع ولا يخرج عنها أبداً.

ومضمون هذه المحاوره يدور حول ما قالته النصرارى في نبيهم، وقد تقدم ذلك في الآيات السابقة، إلا أنها كانت بمثابة التمهيد لأخذ الاعتراف من نفس الرسول الكريم؛ لتتم الحجّة في حقهم بانضمام الاعتراف ممن يقولون في حقه ما ليس يعترف به، مع البرهان على بطلانه، كما ورد في الآيات السابقة، وقد صاغ هذا الرسول الكريم المعروف بالأدب البارع مع ربه الكريم، اعترافه بأسلوب هو في منتهى الروعة والبراعة، وضمّنته دلائل وبراهين على صحّة اعترافه، وهو في نفس الحال لا ينسى أمّته الجاهلة، واستطمع هدايتهم والعفو لهم من ربّ هو أرحم الراحمين^١.

﴿وَ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ

وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ...﴾^٢.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان متعلّق بفعل محذوف نحو «اذكر». والمراد به يوم القيامة

لقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾^٣ وما نقله الله عن مقالة عيسى عليه السلام: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ^ط فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^٤.

﴿قَالَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿عَيْسَى﴾ منادى. ﴿ابْنَ﴾ بدل ﴿عَيْسَى﴾. ﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه.

﴿ء﴾ حرف استفهام، «تقريع في صورة الاستفهام والمراد بذلك تقريع وتهديد

من ادعى ذلك»^٥.

﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ. تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي يدلّ على أنّ الاستفهام متوجّه

١. مواهب الرحمن ١٢/٤٣٢.

٢. سورة المائدة / ١١٠.

٣. سورة المائدة / ١١٩.

٤. سورة المائدة / ١١٧.

٥. التبيان ٤/٦٦.

إلى تخصيصه بالخبر دون غيره.

﴿قُلْتَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جارٍ ومجرور متعلقٌ بـ ﴿قُلْتَ﴾ وجملة ﴿قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ خبر. وما بعدها

مقول القول.

﴿اتَّخِذُونِي﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به أول.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أُنِي﴾ معطوف على ضمير المتكلم في ﴿اتَّخِذُونِي﴾ ومضاف إليه.

﴿إِلَهُيْنَ﴾ مفعول به ثانٍ. تغليباً للذكر على الأنثى.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلقٌ بصفة محذوفة من ﴿إِلَهُيْنَ﴾.

أي «سوى الله».

«قد استعمل لفظ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كثيراً في القرآن في معنى الإشراك دون

الاستقلال بمعنى أن المراد من اتخاذ إله أو إلهين أو آلهة من دون الله هو أن يتخذ غير

الله شريكاً لله سبحانه في ألوهيته لا أن يتخذ غير الله إلهاً وتنفي ألوهية الله سبحانه فإنَّ

ذلك من لغو القول الذي لا يرجع إلى محصل»^١.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى عيسى عليه السلام، وما بعده

مقول القول.

﴿سُبْحَانَكَ﴾ مفعول مطلق ومضاف إليه. متعلقٌ بفعل محذوف «أُسَبِّحُ». تنزيه

الله سبحانه عن مضمون تلك المقالة الفاسدة.

﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع تام لأنَّ معناه هنا: «ينبغي»، «يصح»، «يوجد»، ويمكن

جعله ناقصاً.

«إِنْ كَانَ لَفِظُ ﴿يَكُونُ﴾ نَاقِصَةً فَاسْمُهَا قَوْلُهُ: ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ وَخَبَرُهَا قَوْلُهُ: ﴿لِي﴾ وَاللَّامُ لِلْمَلِكِ، وَالْمَعْنَى: مَا أَمْلِكُ مَا لَمْ أَمْلِكْهُ وَلَيْسَ مِنْ حَقِّي الْقَوْلُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَإِنْ كَانَتْ تَامَةً فَلَفِظُ ﴿لِي﴾ مُتَعَلِّقٌ بِهَا وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ النِّخْفُ فَاعْلَمَهَا، وَالْمَعْنَى: مَا يَقَعُ لِي الْقَوْلُ بِغَيْرِ حَقٍّ»^١.

﴿لِي﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿يَكُونُ﴾. وَاللَّامُ لِلِاسْتِحْقَاقِ. أَيُّ مَا يَوْجَدُ حَقٌّ أَنْ أَقُولَ.

﴿أَنْ﴾ حَرْفٌ مُصَدَّرِي نَاصِبٍ.

﴿أَقُولُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ «أَنَا».

﴿مَا﴾ مُوَصُولَةٌ، مَفْعُولٌ بِهِ.

﴿لَيْسَ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَاسْمُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ «هُوَ».

﴿لِي﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ، خَبَرٌ ﴿لَيْسَ﴾.

﴿بِحَقِّي﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ، خَبَرٌ ﴿لَيْسَ﴾. الْبَاءُ زَائِدَةٌ جَاءَتْ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ ﴿لَيْسَ﴾. وَعَلَى أَيِّ حَالٍ يَفِيدُ الْكَلَامُ نَفْيَ الْفِعْلِ بِنَفْيِ سَبَبِهِ، يَعْنِي الْأُلُوهِيَّةَ لَيْسَتْ حَقٌّ لَهُ وَأَنَّهُ لَا يَقُولُ مَا لَيْسَ حَقٌّ لَهُ وَهَذَا تَأْكِيدٌ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْأَدَبِ.

ثُمَّ ارْتَقَى فِي التَّبْرِي فَقَالَ:

﴿إِنْ﴾ حَرْفٌ شَرْطِي جَازِمٌ.

﴿كُنْتُ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَاسْمُهُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ مُتَكَلِّمٌ. فِي مَحَلِّ جَزْمٍ لِأَنَّهُ فِعْلٌ

الشَّرْطِي.

﴿فَلْتَهُ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولٌ بِهِ. فِي مَحَلِّ نَصْبِ خَبَرٍ ﴿كُنْتُ﴾. وَالضَّمِيرُ

الْمَفْعُولِي عَائِدٌ إِلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ.

﴿فَ﴾ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ. ﴿قَدْ﴾ حَرْفٌ تَحْقِيقِي.

﴿عَلِمْتَهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. جواب الشرط.

نفي بنفي لازمه، فإنَّ لازم وقوع هذا القول أن يعلم به الله لأنَّه لا يخفى عليه شيء فالجملة ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ مستأنفة لأنها دليل وحجة لمضمون الجملة التي قبلها ببيان آخر.

﴿تَعَلَّمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت». شروع في بيان الشرط في الشرطية الماضية ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾. لأنَّ الله تعالى محيط بنا.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿فِي نَفْسِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلِّق بفعل محذوف أخفي أو أكتتم.

أي ﴿تَعَلَّمُ مَا﴾ أعتقده وأعلمه لأنَّ النفس مقرُّ المعلومات والاعتقادات.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿أَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». لِعَدَمِ أحاطة المخلوقات بالله تعالى.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿فِي نَفْسِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿لَا أَعْلَمُ﴾.

﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبهة بالفعل واسمه. تأكيد.

﴿أَنْتَ﴾ تأكيد لضمير ﴿كَ﴾. ﴿عَلَّمُ﴾ خبره.

﴿الْغُيُوبِ﴾ مضاف إليه. والجملة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبِ﴾ في مقام بيان علة قوله ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾. ومعناه: أنَّ العلم التام بجميع الغيوب منحصر به تعالى والله العالم بكلِّ شيء.

الروايات

عن ثعلبة بن ميمون، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى لعيسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ آخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال: لم يقله

وسيقوله، إن الله إذا عَلِمَ أَنَّ شَيْئاً كَائِنٌ، أَخْبَرَ عَنْهُ خَبْرَ مَا قَدْ كَانَ. ١
 عن سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَوْلَ اللَّهِ لِعِيسَى عليه السلام: ﴿أَنْتَ
 قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قَالَ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامُ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا
 أَرَادَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ، قَضَاهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، كَأَنَّ قَدْ كَانَ. ٢
 عن جَابِرِ الْجَعْفِيِّ، عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
 أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ﴾.

قال: إن الاسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً، فاحتجب الربُّ تبارك وتعالى منها
 بحرف، فمن ثم لا يعلم أحدٌ ما في نفسه عليه السلام، أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً،
 فتوارثتها الأنبياء حتى صارت إلى عيسى عليه السلام، فذلك قول عيسى عليه السلام ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي
 نَفْسِي﴾ يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر، يقول: أنت علمتنيها، فأنت
 تعلمها ﴿وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يقول: لأنك احتجبت من خلقك بذلك الحرف، فلا
 يعلم أحدٌ ما في نفسك. ٣

عن عبد الله بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان مع عيسى عليه السلام حرفان
 يعمل بهما، وكان مع موسى أربعة، وكان مع إبراهيم ستة، وكان مع نوح ثمانية، وكان
 مع آدم خمسة وعشرون، وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن اسم الله ثلاثة وسبعون
 حرفاً، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنان وسبعون حرفاً، وحُجِبَ عَنْهُ وَاحِدٌ. ٤

١. تفسير العياشي ١/٨٦، ح ٢٣٣.

٢. تفسير العياشي ١/٨٦، ح ٢٣٤.

٣. تفسير العياشي ١/٨٧، ح ٢٣٥.

٤. تفسير العياشي ١/٨٧، ح ٢٣٦.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١٧)

نفي آخر من النبي عيسى ﷺ ببيان وظيفته - وهي تبليغ ما أمره الله - التي لم يتعدها. واستئناف بمنزلة الجواب الأوّل وإخبار عن مقالته.

﴿ مَا ﴾ نافية. ﴿ قُلْتُ ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿ لَهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ قُلْتُ ﴾. والضمير يرجع إلى «الناس» التابعين

للنبي عيسى ﷺ.

﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر. ﴿ مَا ﴾ و ﴿ إِلَّا ﴾ يدلّ على الحصر.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مفعول به، مقول القول.

﴿ أَمَرْتَنِي ﴾ فعل ماض وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. مبالغة في الأدب لأنّه

بدّل جملة «قلت لي» بـ ﴿ أَمَرْتَنِي ﴾.

﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَمَرْتَنِي ﴾.

﴿ أَنْ ﴾ تفسيرية بمعنى «أي» أو «وهو» وكسر آخرها لإلتقاء الساكنين.

﴿ أَعْبُدُوا ﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿ اللَّهُ ﴾ مفعول به.

﴿ رَبِّي ﴾ بدل أو نعت من ﴿ اللَّهُ ﴾ ومضاف إليه. وهذه الأضافة «لا يبقى أدنى

شائبة من الوهم أنّه عبد ورسول يدعو إلى الله ربّه وربّ جميع الناس وحده لا شريك

له» ١.

﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ رَبَّكُمْ ﴾ معطوف على ﴿ رَبِّي ﴾. والضمير يرجع إلى «الناس» التابعين

لعيسى عليه السلام أو هم وغيرهم من الناس.

والشاهد على ذلك ما ورد في الفصل الرابع من إنجيل لوقا: «قال عيسى: ...

مكتوب أن أسجد لله ربك وإياه وحده فأعبد»^١. وهو صريح في التوحيد.^٢

﴿وَ عَاطِفَةٌ، وَمَا بَعْدَهَا تَذْكَيرٌ لَوْظِيفَتِهِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ الشَّهَادَةُ عَلَى أَعْمَالِ أُمَّتِهِ كَمَا

قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^٣.

﴿كُنْتُ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كُنْتُ﴾.

﴿شَهِيدًا﴾ خبر ﴿كُنْتُ﴾. أي ﴿كُنْتُ﴾ مشاهداً لهم ورقيباً يمنعهم من أن يقولوا

مثل هذه المقالة الشنعاء وهي: ﴿أَتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٤.

﴿مَّا﴾ مصدرية ظرفية. ﴿دُمْتُ﴾ فعل ماض تام.

﴿فِيهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿دُمْتُ﴾. ﴿فِيهِمْ﴾ أي بينهم. يعني كنت في الدنيا

بينهم.

﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم، منصوب على الظرفية الزمانية متعلقة بالجواب.

بمعنى «حين».

﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ فعل ماض وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. أي حين قضيت

بوفاتي.

﴿كُنْتُ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿أَنْتَ﴾ تأكيد لضمير السابق في ﴿كُنْتُ﴾ ويدل على القصر.

١. كتاب مقدس، انجيل لوقا، الفصل الرابع، الآية ٩. ونقل عنه الشيخ في تبيانه ٧٠ / ٤.

٢. وقد اوردنا النصوص التوحيدية الواردة في الكتاب المقدس في دروسي «نقد المسيحية» المطبوعة.

٣. سورة النساء / ١٥٩.

٤. سورة المائدة / ١١٦.

﴿الرَّقِيبَ﴾ خبر ﴿كُنْتُ﴾ الرقابة: الحفظ والمراد به في المقام هو الحفظ على الأعمال وضبطه.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿الرَّقِيبَ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية أو اعتراضية. ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بخبر.

﴿شَهِدٌ﴾ خبر. أي شاهد.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

تبينت الآية حرص النبي عيسى عليه السلام على مغفرة أمته وعدم تركهم في عرصات يوم القيامة، فهو يدعو الله لغفرانهم وعفوهم مع علمه بأخطائهم الاعتقادية والعملية ولذا سأل الله تعالى ودعاهم وفوض أمرهم إلى الله وقال:
﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُعَذِّبْهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. فعل الشرط. وهم يستحقون العذاب لإشراكهم بالله سبحانه.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها جواب الشرط.

﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه.


﴿عِبَادُكَ﴾ خبره ومضاف إليه. وصفهم بالعبودية التكوينية استرحاماً عليهم. وشأن المولى بالنسبة إلى العبد المغفرة والكرامة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَغْفِرْ﴾ فعل مضارع مجزوم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «أنت».

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَغْفِرْ﴾. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه.
 ﴿أَنْتَ﴾ تأكيد لاسم ﴿إِنَّكَ﴾ ودال على القصر.
 ﴿الْعَزِيزُ﴾ خبره. كناية عن كونه تعالى يغفر عن مقدرة ولأنه يرى سطوع آيات العظمة الإلهية فلا يلتجئ إلا إلى مقام العزة والحكمة الربانية.
 ﴿الْحَكِيمُ﴾ خبر ثان أو نعت.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾


«تقرير لصدق عيسى بن مريم عليه السلام على طريق التكنية فإنه لم يصرح بشخصه وإنما المقام هو الذي يفيد ذلك»^١ و «بيان لحقيقة من الحقائق الواقعية التي يبني عليها الجزاء العدل وفيها من الحث على ملازمة الصدق كما لا يخفى»^٢.
 ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله، جواب من الله في قبال مقالة النبي عيسى عليه السلام.
 ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، إشارة إلى يوم القيامة وهو حاضر حين تجري هذه المقولة.
 ﴿يَوْمُ﴾ خبره، والجملة الفعلية بعده يضاف إليه.
 ﴿يَنْفَعُ﴾ فعل مضارع، يعني الانتفاع بالحقائق وتأثيرها في يوم القيامة.
 ﴿الصَّادِقِينَ﴾ مفعول به مقدم، وهم الذين كان الصدق شعارهم ولم ينصرفوا عنه.

﴿صِدْقُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. «ومن حذف المتعلق يستفاد عموم الصدق في الأقوال والأفعال والاعتقاد، ولا ريب أن الصدق الذي يترتب عليه الجزاء العظيم،

١. الميزان ٦/ ٢٥١.

٢. مواهب الرحمن ١٢/ ٤٤٦.

الذي أعدّه الله تعالى للصادقين، إنّما الصدق في الدُّنيا كما هو معلوم. ولكنّ لهذه الصفة الكريمة آثاراً خاصّةً تظهر في يوم القيامة، وتتجسّم في ذلك اليوم العظيم، ممّا يجعل الصادقين متميزين ينتفعون بصدقهم، ممّا يقتضي تعلق هذا النداء الربوبيّ الرقيق بهم، وتمييزهم بخطاب فيه من الرضا بهم وقبول أعمالهم والدخول في رضوانه»^١.

«ومن تطبيق الآية الكريمة على عيسى بن مريم عليه السلام يستفاد صدقه وتنزيهه عن كلّ ما قيل فيه، وقبول أقواله في مقام براءته عمّا استنفهم عنه»^٢.

وصدق القول يستلزم صدق الفعل «بمعنى الصراحة وتنزه العمل عن سمة النفاق. وينتهي به إلى الصلاح، وقد روي أن رجلاً من أهل البدو استوصى النبي صلى الله عليه وآله فوصاه أن لا يكذب ثمّ ذكر الرجل أن رعاية ما وصى به كفه عن عامة المعاصي إذ ما من معصية عرضت إلّا ذكر أنه لو اقترحها ثمّ سئل عنها وجب عليه أن يعترف بها على نفسه ويخبر بها الناس فلم يقترحها مخافة ذلك»^٣.

﴿هُمَّ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. والضمير يرجع إلى ﴿الصّٰدِقِيْنَ﴾.

﴿جَنَّتْ﴾ مبتدأ مؤخر. وهي تجسّم ﴿صِدْقُهُمْ﴾ في الآخرة.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ صفة لـ ﴿جَنَّتْ﴾.

﴿خَلِيدِينَ﴾ حال. أي أنّ ﴿هُمَّ﴾ نعيماً دائماً لا انقطاع له أبداً.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿خَلِيدِينَ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿جَنَّتْ﴾.

﴿أَبْدًا﴾ ظرف زمان ناب عن المصدر أي ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ خلوداً ﴿أَبْدًا﴾.

﴿رَضِيَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿رَضِيَ﴾، لأنّهم قدّموا إليه بالصدق.

١. مواهب الرحمن ١٢/٤٤٦.

٢. مواهب الرحمن ١٢/٤٤٧.

٣. الميزان ٦/٢٥١.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿رَضُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿رَضِيَ﴾.
 ﴿عَنَّهُ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿رَضُوا﴾. لأنه تعالى آتاهم الثواب.
 ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة إلى البعيد لتعظيم مشار إليه، إشارة إلى الجنات والمرضاة، مبتدأ.
 ﴿الْفَوْزُ﴾ خبره. ﴿الْعَظِيمُ﴾ نعت.

رواية

صحيحة ضريس عن أبي جعفر عليه السلام عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب، فيمرون بأهوال يوم القيامة، فلا ينتهون إلى العرصة حتى يجهدوا جهداً شديداً. قال: فيقفون بفناء العرصة ويشرف الجبار عليهم وهو على عرشه، فأول من يدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمد بن عبدالله النبي القرشي العربي.
 قال: فيتقدم حتى يقف على^١ يمين العرش، قال: ثم يدعى باسم وصيه^٢ علي بن أبي طالب عليه السلام، فيقدم حتى يقف على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يدعى بأمة محمد فيقفون على يسار علي عليه السلام ثم يدعى بنبي^٣ وأمه^٣ معه من أول النبيين إلى آخرهم وأمتهم معهم، فيقفون على يسار العرش.
 قال: ثم أول من يدعى للمساءلة القلم، قال: فيتقدم، فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين، فيقول الله: هل سطررت في اللوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي؟ فيقول القلم: نعم يا رب، قد علمت أنني قد سطررت في اللوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك. فيقول الله: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول: يا رب، وهل أطلع على مكنون

١. «عن» نسخة.

٢. بصاحبكم «نسخة».

٣. «ووصيه» نسخة.

سرك خلق غيرك؟! قال: فيقول الله له: أفلجت^١ حججتك.

قال: ثم يدعى باللوح فيتقدم في صورة الأدميين حتى يقف مع القلم، فيقول

له: هل سطر فيك القلم ما أهمته وأمرته به من وحي؟ فيقول اللوح:

نعم يا رب، وبلغته إسرائيل. فيدعى بإسرا فيل فيتقدم مع القلم واللوح في

صورة الأدميين، فيقول الله له: هل بلغك اللوح ما سطر فيه القلم من وحيي؟

فيقول: نعم يا رب، وبلغته جبرئيل.

فيُدعى بجبرئيل، فيتقدم حتى يقف مع إسرائيل، فيقول الله له: هل بلغك

إسرا فيل ما بُلغ؟ فيقول: نعم يا رب، وبلغته جميع أنبيائك، وأنفذت إليهم جميع ما

انتهى إلي من أمرك، وأدّيت رسالاتك إلى نبي نبي، ورسول رسول، وبلغتهم كل

وحيك، وحكمتك، وكتبك، وإن آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك

وكتابك وكلامك محمد بن عبد الله العربي القرشي الحرمي حبيبك ﷺ.

قال أبو جعفر عليه السلام: فأول من يدعى من ولد آدم للمساءلة «محمد بن

عبد الله ﷺ» فيدنيه^٢ الله حتى لا يكون خلق أقرب إلى الله يومئذ منه، فيقول الله:

يا محمد، هل بلغك جبرئيل ما أوحيت إليك وأرسلته به إليك من كتابي

وحكمتي وعلمي؟ وهل أوحى ذلك إليك؟

فيقول رسول الله ﷺ: نعم يا رب، قد بلغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه

وأرسلته به من كتابك، وحكمتك، وعلمك، وأوحاه إلي.

فيقول الله لمحمد: هل بلغت أمّتك ما بلغك جبرئيل من كتابي وحكمتي

وعلمي؟ فيقول رسول الله ﷺ: نعم يا رب، قد بلغت أمّتي جميع ما أوحيت إلي من

١. أي: فازت.

٢. هو دنو وقرب معنوي نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (سورة النجم ٨ و٩).

كتابك، وحكمتك، وعلمك، وجاهدت في سبيلك.

فيقول الله لمحمد: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول محمد ﷺ: يا رب، أنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة، وملائكتك والأبرار من أمّتي، وكفى بك شهيداً.

فيُدعى بالملائكة فيشهدون لمحمد ﷺ بتبليغ الرسالة.

ثم يُدعى بأمة محمد فيسألون: هل بلغكم محمد رسالتي، وكتابي وحكمتي، وعلمي، وعلمكم ذلك؟ فيشهدون لمحمد ﷺ بتبليغ الرسالة، والحكمة والعلم.

فيقول الله لمحمد ﷺ: فهل استخلفت في أمّتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي، ويفسر لهم كتابي، ويبين لهم ما يختلفون فيه من بعدك، وحجة لي وخليفة في الأرض؟

فيقول محمد ﷺ: نعم يا رب، قد خلفت فيهم عليّ بن أبي طالب ﷺ أخي ووزير ووصيّي وخير أمّتي، ونصبته لهم علماً في حياتي ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أمّتي، إماماً تقتدي به الأمة من بعدي إلى يوم القيامة.

فيُدعى بعليّ بن أبي طالب ﷺ فيقول الله ﷻ له: يا عليّ!

هل أوصى إليك محمد ﷺ واستخلفك في أمّته، ونصبك علماً لأُمَّته في حياته، وهل قمت فيهم من بعده مقامه؟


فيقول له عليّ ﷺ: نعم يا رب، قد أوصى إليّ محمد ﷺ، وخلفني في أمّته، ونصّبني لهم علماً في حياته، فلما قبضت محمداً ﷺ إليك، جحدتني أمّته، ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني، وقدّموا قدامي من آخرت، وأخروا من قدّمت ولم يسمعوا منّي، ولم يطيعوا أمرّي! فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني.

فيقول الله ﷻ لعليّ ﷺ: فهل خلفت من بعدك في أمة محمد حجة وخليفة في

الأرض يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي؟

فيقول عليّ ﷺ: نعم يا رب، قد خلفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيّك.

فُيُدْعَى بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَيُسْتَلُّ عَمَّا سُئِلَ عَنْهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.
قال: ثم يُدْعَى بِإِمَامِ إِمَامٍ وَأَهْلِ عَالَمِهِ، فَيَحْتَجُّونَ بِحُجَّتِهِمْ، فَيَقْبَلُ اللَّهُ عَذْرَهُمْ
وَيَجِيزُ حُجَّتَهُمْ. قال: ثم يقول الله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.
قال: ثم انقطع حديث أبي جعفر عليه وعلى آبائه السلام.^١

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ 

«اختتمت السورة بهذه الآية الدالة على الملك المطلق، والمناسبة ظاهرة، فإن
غرض السورة هو حث العباد وترغيبهم على الوفاء بالعهود والمواثيق المأخوذة عليهم
من جانب ربهم، وهو الملك على الإطلاق فلا يبقى لهم إلا أنهم عباد مملوكون على
الإطلاق ليس لهم فيما يأمرهم به وينهاهم عنه إلا السمع والطاعة، ولا فيما يأخذ منهم
من العهود والمواثيق إلا الوفاء بها من غير نقض»^٢.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، وتقديم المجرور باللام يفيد القصر.
﴿مُلْكٌ﴾ مبتدأ مؤخر. «الملك - بالكسر - سلطة خاصة على رتبة الأشياء وأثره
نفوذ الإرادة فيما يقدر عليه المالك من التصرف فيها، والملك - بالضم - سلطة خاصة
على النظام الموجود بين الأشياء وأثره نفوذ الإرادة فيما يقدر عليه، وبعبارة ساذجة:
الملك - بالكسر - متعلق بالفرد، والملك - بالضم - متعلق بالجماعة»^٣.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. تفسير القمي ١/ ٢٧٨، ح ٢٠.

٢. الميزان ٦/ ٢٥٣.

٣. الميزان ٦/ ٢٥٢.

﴿ مَا ﴾ موصولة، معطوفة على ﴿ مُلْكُ ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف: استقرّ أو وُجد.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ.

﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ قَدِيرٌ ﴾ خبر. «وحيث كان المُلْك في نفوذ الإرادة بالفعل مقيداً أو متقوماً

بالقدرة فإذا تمت القدرة وأطلقت كان المُلْك مُلكاً مطلقاً غير مقيد بشيء دون شيء

وحال دون حال، وليبيان هذه النكتة عقب تعالى قوله: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

فِيهِنَّ ﴾ بقوله: ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^١.

و ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^٢ الذي له ﴿ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾^٣ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ .

١. الميزان ٦/ ٢٥٣.

٢. سورة الحمد / ٢.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

فضل سورة الأنعام

صحيححة الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: نزلت «الأنعام» جملة واحدة، يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل^١ بالتسييح [والتقديس] والتهليل والتكبير، فمن قرأها سبّحوا له إلى يوم القيامة.^٢

مرفوعة الحسن بن علي بن أبي حمزة رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سورة الأنعام نزلت جملة، شيعها سبعون ألف ملك حتى أنزلت على محمد عليه السلام، فعظّموها وبجلّوها؛ فإن اسم الله عز وجل فيها في سبعين موضعاً، ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها.^٣

رواها العياشي في تفسيره^٤ والصدوق في ثواب الأعمال^٥ والشيخ في التبيان^٦.
عن أبي بصير، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً، وشيعها سبعون ألف ملك حين أنزلت على رسول الله عليه وآله وسلم، فعظّموها

١. الزَّجْلُ - محرَّكَةً -: الجَلْبَةُ والتَّطْرِبُ ورفعُ الصَّوْتِ (القاموس المحيط ٣/ ٣٨٨).

٢. تفسير القمي ١/ ٢٨٢، ح ١.

٣. الكافي ٤/ ٦٤٧، ح ١٢ (٢/ ٦٢٢).

٤. تفسير العياشي ٢/ ٩٠، ح ٣.

٥. ثواب الأعمال / ١٣٢.

٦. التبيان ٤/ ٧٦.

ويَجَلِّوْهَا، فَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا فِي سَبْعِينَ مَوْضِعًا، وَلَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ بِهَا فِي قِرَاءَتِهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا تَرَكَوْهَا.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَنْ كَانَ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ يُرِيدُ قَضَاءَهَا، فَلْيُصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَالْأَنْعَامِ، فَلْيَقُلْ فِي صَلَاتِهِ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ «يَا كَرِيمُ، يَا كَرِيمُ، يَا كَرِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ، يَا مَنْ لَا تُغَيِّرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مُحَمَّدًا، وَارْحَمْ ضَعْفِي وَفَقْرِي، وَفَاقَتِي وَمَسْكَتَتِي، فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِحَاجَتِي، يَا مَنْ رَحِمَ الشَّيْخَ يَعْقُوبَ حِينَ رَدَّ عَلَيْهِ يُوسُفَ فُرَّةَ عَيْنِهِ، يَا مَنْ رَحِمَ أَيُّوبَ بَعْدَ حُلُولِ بَلَاتِهِ، يَا مَنْ رَحِمَ مُحَمَّدًا عليه السلام، وَمِنَ الْيَتِيمِ آوَاهُ، وَنَصَرَهُ عَلَى جَبَابِرَةِ قُرَيْشٍ وَطَوَّاعِيَّتِهَا وَأَمَكَّنَهُ مِنْهُمْ، يَا مُغِيثُ، يَا مُغِيثُ، يَا مُغِيثُ» يَقُولُهُ مَرَارًا.

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ دَعَوْتُ بِهَا بَعْدَ مَا تُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ فِي دُبُرِ هَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ سَأَلْتَ اللَّهَ جَمِيعَ حَوَائِجِكَ مَا بَخَلَ عَلَيْكَ، وَأَلْعَطَاكَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ١

خَبَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَنْعَامِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَانَ مِنَ الْأَمْنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يَرِ النَّارَ بَعَيْنَهُ أَبَدًا. ٢

رَوَاهَا الْعِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ. ٣

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ غَيْرُ سِتِّ آيَاتٍ مِنْهَا فَإِنَّهَا مَدَنِيَّاتٌ. «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ» ٤ وَأَيَّتَانِ بَعْدَهَا وَقَوْلُهُ «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» ٥ إِلَى آخِرِهَا وَالآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا [إِلَى تَمَامِ ثَلَاثِ آيَاتٍ] «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ

١. تفسير العياشي ٢/ ٨٩، ح ١.

٢. ثواب الأعمال / ١٣٢.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٩٠، ح ٢.

٤. سورة الأنعام / ١٥١.

٥. سورة الأنعام / ٩١.

قَالَ أُوحِيَ...^۱ إِلَى آخِرِهَا.^۲

عن النبي ﷺ: مَنْ قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَكْسِبُونَ﴾^۳ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ، يَكْتُبُونَ لَهُ مِثْلَ عِبَادَتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قال: وفي كتاب «الأفراد والغرائب»: أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ نَزَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعُونَ مَلَكًا، وَكُتِبَ لَهُ مِثْلَ عِبَادَتِهِمْ.

ثم قال: وفي كتاب «الوسيط»: أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ حِينَ يَصْبِحُ، وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْفَظُونَهُ، وَكُتِبَ لَهُ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.^۴

حضرت رسول اکرم ﷺ فرمودند: هر کس با ایمان «سوره مبارکه انعام» را با اخلاص کامل و با توجه به معانی آیات بخواند، و تا «سوره مبارکه انعام» تمام نشده سخن نگوید، خداوند متعال همه گناهان گذشته او را بیامرزد.^۵

از حضرت امام جعفر صادق عليه السلام منقول است: اگر کسی را حاجتی باشد، چهل و یک مرتبه با نیت خالص و توجه به خدا و معنی آن «سوره مبارکه انعام» را بخواند، حاجتش روا گردد. و اگر بر کسی بلایی متوجه باشد، دفع شود.^۶

همچنین از حضرت صادق عليه السلام منقول است: چون کسی «سوره مبارکه انعام» را به مشک و زعفران با نیت خالص و توجه به خدا و معنی آن بنویسد و بشوید و شش روز متوالی بخورد، از همه اورام و اوجاع و امراض شفا یابد.^۷

در خبر است هر کس با ایمان «سوره مبارکه انعام» را با نیت خالص و توجه

۱. سورة الأنعام / ۹۳.

۲. التبيان / ۴ / ۷۵.

۳. سورة الأنعام / ۳.

۴. مصباح الكفعمي / ۴۳۹.

۵. خواص الآيات / ۵۲.

۶. خواص الآيات / ۵۲.

۷. خواص الآيات / ۵۳.

به خدا و معني آن بخواند و بعد از اتمام اين دعا را به اخلاص بخواند، پيش از آن كه سخن بگويد، خداوند متعال او را بيامرزد و حاجتش را برآورد، دعا اين است:

«يا سَرِيعُ الْحِسَابِ، يا شَدِيدَ الْعِقَابِ، يا غَفُورُ يا رَحِيمُ، يا خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، يا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، يا فَالِقَ الْأَصْبَاحِ، يا مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ، يا مُفْتَحَ الْأَبْوَابِ، يا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ، يا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ، يا مُجِيبَ الْأَمْوَاتِ، يا نُورَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، يا غَافِرَ الْخَطِيئَاتِ، يا سَاتِرَ الْعُورَاتِ، يا مُدَافِعَ الْبَلِيَّاتِ، اِقْضِ حَاجَتِي فِي هَذِهِ السَّاعَاتِ، يا إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، يا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^١.

غرض السورة

«غرض السورة هو توحيدته تعالى بمعناه الأعم أعني أن للإنسان رباً هو رب العالمين جميعاً منه يبدأ كل شيء وإليه ينتهي ويعود كل شيء، أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين يهدي بهم عباده المربوبيين إلى دينه الحق، ولذلك نزلت معظم آياتها في صورة الحجاج على المشركين في التوحيد والمعاد والنبوة، واشتملت على إجمال الوظائف الشرعية والمحرمات الدينية.

وسياقها - على ما يعطيه التدبر - سياق واحد متصل لا دليل فيه على فصل يؤدي إلى نزولها نجوماً.

وهذا يدل على نزولها جملة واحدة، وأنها مكية فإن ذلك ظاهر سياقها الذي وجه الكلام في جلها أو كلها إلى المشركين»^٢.

و «السور المفتحة بحمد الله تبارك وتعالى - وهي: فاتحة الكتاب، والأنعام،

١. خواص الآيات / ٥٣.

٢. الميزان ٥ / ٧.

والكهف، وسبأ، والملائكة^١، كما يعطيه التدبر - تشرك جميعاً ببيان صور من صور الموجودات الجميلة المحموده، فيرجع حمده إلى الله تبارك وتعالى، وهو المحمود بكل حمد.

وسورة الأنعام تختص من بينها أتمها تبيّن بدء عالم الوجود على كثرتها من مبدأ واحد ورجوعها إلى واحد هو الله عز اسمه، فالغرض منها بيان التوحيد، ولذلك أعطت حقيقة الإيجاد وحقيقة الحياة الدنيا والموت والقيامة وحقيقة الهداية والإضلال بأقسامها ولذلك افتتحت بالتوحيد واختتمت به أيضاً، كقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢، وقوله: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ رَبِّيَّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٣، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾^٤،^٥.

وجه التسمية

«سمّيت سورة الأنعام لما تكرّر فيها من ذكر لفظ الأنعام ستّ مرات من قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ إلى قوله ﴿إِذْ وَصَّيْنَاكَ اللَّهُ بِهِدَايَا﴾^٦»^٧.

-
١. أي سورة فاطر.
 ٢. سورة الأنعام / ١٦١.
 ٣. سورة الأنعام / ١٦٤.
 ٤. سورة الأنعام / ١٦٥.
 ٥. تفسير البيان ٤ / ١٩.
 ٦. سورة الأنعام / ١٤٤-١٣٦.
 ٧. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٥.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مرّ تفسيرها في أول الحمد.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ط ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١﴾

افتتحت السورة بالحمد لما تضمّنته من ذكر نعم الله المادية والمعنوية.

﴿الْحَمْدُ﴾ «ال» في ﴿الْحَمْدُ﴾ للجنس أو الاستغراق.

﴿لِلَّهِ﴾ «ال» في ﴿لِلَّهِ﴾ للاختصاص وتفيد استحقاق الله تعالى لجنس ﴿الْحَمْدُ﴾

دون غيره لأنّها تدل على الحصر.

وقد مرّ توضيح ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في أول سورة الحمد فلا نعيد.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، صفة ﴿لِلَّهِ﴾.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى «الله» تعالى.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول به، أتى بصيغة الجمع لأنّها عوالم كثيرة. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. واستعمال ﴿الْأَرْضِ﴾ مفرد في القرآن

الكريم لأنّها عالم واحد.

إشارة إلى نظام الكون العام الذي خلقه الله وبيان لوجه استحقاق الحمد من

وجه آخر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَعَلَ﴾ معطوف على ﴿خَلَقَ﴾. والمراد به هنا الجعل التكويني وهو الخلق والإيجاد والإحداث.

﴿الظُّلُمَاتِ﴾ مفعول به. قدم الظلمة لأنها سابقة للنور وجمعها لأنها متعددة ومتكثرة مادية ومعنوية وإن كانت عدمية و «لا مَيِّزَ في الأعدام من حيث العدم». ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النُّورِ﴾ معطوف على ﴿الظُّلُمَاتِ﴾. أفرد ﴿النُّورِ﴾ لأنه أمر وجودي واحد وإن كان مقولاً بالتشكيك.

﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الزماني والرتبي. عاطفة، عطفت ما بعدها على أول الآية.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، معطوف على ﴿الْحَمْدُ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَعْدِلُونَ﴾.

﴿يَعْدِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي: يُسَوِّونَ، العَدْلُ: التسوية. تقول:

عدلت فلاناً بفلان، إذا سَوَّيته وتجعل له مثلاً ونظيراً. والتعديل الذي كان في العرب الجاهلي في الربوبية فقط دون الخالقية والالوهية ولذا قال ﴿بِرَبِّهِمْ﴾.

والجملة الأخيرة مسوقة «للتعجب المشوب بلوم أي إن الله سبحانه بخلقه السماوات والأرض وجعله الظلمات والنور متوحد بالألوهية متفرد بالربوبية لا يماثله شيء ولا يشاركه، ومن العجب أن الذين كفروا مع اعترافهم بأن الخلق والتدبير لله بحقيقة معنى الملك دون الأصنام التي اتخذوها آلهة يعدلون بالله غيره من أصنامهم ويسوون به أوثانهم فيجعلون له أنداداً تعادله بزعمهم فهم ملومون على ذلك»^١.

روايتان

جعفر بن أحمد، عن العَمْرُكي بن علي، عن العبيدي، عن يونس بن عبد الرحمن، عن علي بن جعفر، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: لَكُلِّ صلاة وقتان، وقت يوم الجمعة زوال الشمس، ثم تلا هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ قال: يَعْدِلُونَ بين الظلمات والنور، وبين الجور والعدل. ١

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنزل الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ فكان في هذه الآية ردٌّ على ثلاثة أصنافٍ: لما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فكان ردًّا على الدهريَّة، الذين قالوا: إنَّ الأشياء لا بدء لها، وهي دائمة. ثم قال: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ فكان ردًّا على الثنويَّة، الذين قالوا: إنَّ النور والظلمة هما المدبران. ثم قال: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ فكان ردًّا على مشركي العرب، الذين قالوا: إنَّ

أوثاننا آلهة. ٢

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۗ وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ أَنْتُمْ

تَمْتُرُونَ ﴿

استئناف آخر لبيان خلق الإنسان والتعجب من حال المشركين الذين ينكرون البعث والنشور بتهمة عجز الله تعالى عنه.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، تعريف المسند والمسند إليه يفيد القصر في ركني الأسناد، أي هو

١. تفسير العياشي ٢/ ٩٠، ح ٤.

٢. تفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٥٤٢، ح ٣٢٤.

خالقكم لا غيره ومن طين لا من غيره.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، خبر.

﴿خَلَقَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أي أنشأكم واختراعكم والضمير الخطاب موجه إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة. التفات من الغيبة إلى الخطاب لقصد التوبيخ.

﴿مِّنْ﴾ حرف جرياني.

﴿طين﴾ مجروره. متعلق بحال محذوف من الضمير المفعولي في ﴿خَلَقَكُمْ﴾. ومعناه خلق آدم أبي البشر عليه السلام ﴿مِّنْ طِينٍ﴾ «فلما كان أصلنا ﴿مِّنْ طِينٍ﴾ جاز أن يقول: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ﴾»^١.

وذكر مادة الطين لإظهار فساد استدلال الكافرين المنكرين للبعث والنشور لأنهم يستنكرون إعادة خلق الإنسان بعد أن صار تراباً، والقرآن يذكرهم خلقتهم الأولى.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿قَضَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، معطوف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾. والمراد بـ ﴿قَضَى﴾ هنا القضاء التكويني أي حكم الله تعالى في خلقه. ﴿أَجَلًا﴾ مفعول به، وتنكيره يدل على كونه مجهولاً للإنسان غالباً إلا للأوحد من الناس.

وقضاء الأجل تحديده وتعيينه، فالإنسان في الدنيا محدود بخلقته الدنيوية والأجل المقضي عليه وهو مدة حياة الإنسان ولبثه في الدنيا لأن الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^٢.

١. التبيان ٤/ ٧٧.

٢. سورة العنكبوت / ٥٧.

﴿وَ﴾ استثنائية، وما بعدها جملة معترضة. ﴿أَجَلٌ﴾ مبتدأ.
﴿مُسَيِّئٌ﴾ نعت لـ ﴿أَجَلٌ﴾. ﴿مُسَيِّئٌ﴾: معين، والمراد بـ ﴿أَجَلٌ مُسَيِّئٌ﴾ آخر المدة
المُعَيَّنَةُ.

﴿عِنْدَهُ﴾ ظرف زمان منصوب على الظرفية في محل رفع خبر والضمير مضاف
إليه.

وفائدة الجملة المعترضة ﴿أَجَلٌ مُسَيِّئٌ عِنْدَهُ﴾ بيان الفرق بين الأجلين كما يأتي
في الروايات ورداً على المشركين في قولهم ﴿مَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ١.
﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف، للتراخي الرتبي لانتقال من خبر إلى أعجب منه. والجملة
بعده معطوف على ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.
﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، خطاب لـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة، جيء بالمسند إليه
ضميراً بارزاً للتوبيخ.

﴿تَمَتُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. الامتراء: الشك والترديد في الأمر.
المرية: الشك.

وحذف متعلق ﴿تَمَتُّونَ﴾ وهو إمكان البعث وإعادة الخلق.

الروايات

صحيحة عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الأجل المفضي: هو
المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمى: هو الذي فيه البداء، يقدم ما يشاء ويؤخر ما
يشاء.

والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير. ٢.

حسنه ياسر عن الرضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر، وأن يقر له

١. سورة الجاثية / ٢٤.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٨٢، ح ٢.

بالبداء أن يفعل الله ما يشاء، وأن يكون في تراثه الكُنْدُرا ٢.

معتبرة حمران عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: هما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف ٣.
حسنة حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، «فقال: إيتها أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف.

فقال له حمران: ما المحتوم؟

قال: الذي لله في المشيئة.

قال حمران: إني لأرجو أن يكون أجل السفيناني من الموقوف.

فقال أبو جعفر عليه السلام: لا والله إنه لمن المحتوم ٤.

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾.

قال: الأجل الذي غير مُسَمًّى موقوف، يُقدّم منه ما شاء، ويؤخر منه ما شاء، وأما الأجل المسمّى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل،
فذلك قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ ٥.

عن حمران، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾.

قال: المسمّى ما سُمّي لملك الموت في تلك الليلة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿إِذَا

١. ضرب من العلك نافع لقطع البلغم (القاموس المحيط ٢/١٢٩).

٢. تفسير القمي ١/٢٨٣، ح ٣.

٣. الكافي ١/٣٥٨، ح ٥ (١/١٤٧).

٤. الغيبة ٣١٢، ح ٥ للنعماني.

٥. سورة الأعراف / ٣٤ وسورة النحل / ٦١.

٦. تفسير العياشي ٢/٩٠، ح ٥.

جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً^١ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ^٢ وهو الذي سُمِّيَ لَمَلِكِ الْمَوْتِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالْآخِرُ لَهُ فِيهِ الْمَشِيَّةُ، إِنْ شَاءَ قَدَّمَهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ.^٣

عَنْ حُمْرَانَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا^٤ وَأَجَلًا^٥ مُّسَمًّى^٦﴾، قَالَ: فَقَالَ: هُمَا أَجْلَانِ: أَجَلٌ مَّوْقُوفٌ يَصْنَعُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَأَجَلٌ مَّحْتَمٌ.^٧ وَفِي رِوَايَةِ حُمْرَانَ عَنْهُ: أَمَّا الْأَجَلُ الَّذِي غَيْرَ مُسَمًّى عَنْدهُ، فَهُوَ أَجَلٌ مَّوْقُوفٌ، يُقَدِّمُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، وَيؤَخِّرُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، وَأَمَّا الْأَجَلُ الْمُسَمًّى، فَهُوَ الَّذِي يُسَمًّى فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.^٨

عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِهِ: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا^٩ وَأَجَلًا^{١٠} مُّسَمًّى عِنْدَهُ^{١١}﴾، قَالَ: الْأَجَلُ الْأَوَّلُ هُوَ مَا نَبَذَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَجَلُ الْمُسَمًّى عَنْدهُ هُوَ الَّذِي سَتَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْخَلَائِقِ.^{١٢}

خَبَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام وَأَمَرَ بِفَرْشٍ فَطَرَحَتْ إِلَى جَانِبِهِ فَأَجْلَسَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: عَلِيٌّ بِمُحَمَّدٍ، عَلِيٌّ بِالْمَهْدِيِّ؛ يَقُولُ ذَلِكَ مَرَارًا، فَقِيلَ لَهُ: السَّاعَةُ يَأْتِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يَجْبِسُهُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَبَخَّرُ.

فَمَا لَبِثَ أَنْ وَافَى وَقَدْ سَبَقَتْهُ رَائِحَتُهُ، فَأَقْبَلَ الْمَنْصُورُ عَلَيَّ جَعْفَرَ عليه السلام، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، حَدِيثٌ حَدَّثْتَنِي فِي صَلَاةِ الرَّحْمِ إِذْ كَرِهَ يَسْمَعُهُ الْمَهْدِيُّ، قَالَ: نَعَمْ، حَدَّثْتَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنْ الرَّجُلَ لِيَصِلَ رَحْمَهُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَيَصِيرُهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَيَقْطَعُهَا وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ

١. سورة الأعراف / ٣٤ وسورة النحل / ٦١.

٢. تفسير العياشي / ١ / ٩١، ح ٦.

٣. تفسير العياشي / ١ / ٩١، ح ٧.

٤. تفسير العياشي / ١ / ٩١، ح ٨.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٩١، ح ٩.

ثلاثون سنة فيصيرها ثلاث سنين، ثم تلا عَلِيٌّ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ١ الآية. قال: هذا حسن - يا أبا عبد الله - وليس إياه أردت.

قال أبو عبد الله: نعم، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عَلِيٌّ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صلة الرحم تعمر الديار، وتزيد في الأعمار، وإن كان أهلها غير أخيار. قال: هذا حسن - يا أبا عبد الله - وليس هذا أردت.

فقال أبو عبد الله عَلِيٌّ: نعم، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عَلِيٌّ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صلة الرحم تهوّن الحساب، وتقي ميتة السوء. قال المنصور: نعم، إياه أردت. ٢

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ٢

إنتاج من الآيتين السابقتين بأن الله الخالق والقاضي للأجل فهو الواحد الأحد المتفرد بالربوبية والقيومية على خلقه، ردّاً على مشركي العرب القائلين بربوبية الأصنام.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، معطوف على قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ في الآية السابقة. ﴿اللَّهُ﴾ خبره.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلّق بالكون المستفاد من جملة القصر. أو في محلّ رفع خبر بعد خبر. أي أنّه ﴿اللَّهُ﴾ وأنه ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾. يعني أنّه المتفرد بالألوهية

١. سورة الرعد / ٣٩.

٢. أمالي الطوسي، المجلس السابع عشر، ح ١٨ / ٤٨٠، رقم ١٠٤٩، ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ١١ / ١٧٩، ح ١٥.

والقيومية والربوبية ﴿ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ .

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ معطوف على ﴿ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ .

﴿ يَعْلَمُ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، مبتدأ.

﴿ سِرُّكُمْ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ جَهْرُكُمْ ﴾ معطوف على ﴿ سِرُّكُمْ ﴾ . السر والجهر صفتان متضادتان متعلقهما

الأعمال مطلقاً.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ يَعْلَمُ ﴾ معطوف على ﴿ يَعْلَمُ ﴾ السابق.

﴿ مَا ﴾ موصولة. مفعول به.

﴿ تَكْسِبُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. والضمير العائد مفعول به محذوف أي ﴿ مَا ﴾

تَكْسِبُونَ»ه من خير وشر.

رواية

معتبرة أبي جعفر - أظنه محمد بن النعمان - قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ قال: كذلك هو في كل مكان، قلت: بذاته؟ قال: ويحك إن الأماكن أقدار، فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علماً وقدرة وإحاطة وسلطاناً وملكاً، وليس علمه بها في الأرض بأقل مما في السماء، لا يبعد منه شيء، والأشياء له سواء علماً وقدرةً وسلطاناً وملكاً وإحاطة. ١

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤﴾

ردّ على المشركين الكافرين على رسالة محمد ﷺ بعد أن أُقيمت عليهم الحجة ببطلان شركهم في الربوبية وإنكارهم البعث والنشور، وصلت النبوة إلى مهمة الرسالة والنبوة في هذه الآية وعدة من الآيات بعدها.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿تَأْتِيهِمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم. أتى بفعل مضارع للدلالة على التجدد واستمرار العناد والتكذيب بحيث صار سجية لهم، والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^١ أي المشركين، والمراد بإتيانها بلوغها إليهم وتحديثهم بها، وفي صنعة الالتفات من الخطاب في الآية السابقة إلى الغياب في هذه الآية دلالة على سوء حالهم وتشهيرهم عليه وإعراضاً عنهم واختصاص خطاب الله للمؤمنين.

﴿مِنْ﴾ حرف جر، زائد لتأكيد النفي واستغراقه.

﴿آيَةٍ﴾ مجروره، في محلّ رفع لأنه فاعل ﴿تَأْتِيهِمْ﴾.

﴿مِنْ﴾ تبعيضية. ﴿آيَاتِ﴾ مجروره.

﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والمراد بها «المعجزات التي يُظهرها على رسوله وآيات القرآن التي كان ينزلها على نبيه ﷺ»^٢. أو لا تنحصر بها بل تشمل جميع الآيات الأنفسية والآفاقية والدلائل الكونية على الألوهية والربوبية، الأول أظهر لأنّ البحث حول إثبات الرسالة والنبوة.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر، والجملة مابعداها في موضع الحال «والاستثناء دلّ على أنّهم لم

١. سورة الأنعام / ١.

٢. التبيان / ٤ / ٧٩.

يكن لهم حال إلا الإعراض»^١.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿عَمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَانُوا﴾. «وتقديم المجرور للرعاية على

الفاصلة»^٢.

﴿مُعْرِضِينَ﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾. أتى «بصيغة إسم الفاعل للدلالة على أن هذا

الإعراض متحقق من دلالة فعل الكون ومتجدد من دلالة صيغة إسم الفاعل لأن المشتقات في قوة الفعل المضارع»^٣.

«وأصل الإعراض صرف الوجه عن النظر في الشيء وهو هنا مجاز في إباء

المعرفة، فيشمل المعنى الحقيقي بالنسبة إلى الآيات المبصرات كانشقاق القمر، ويشمل

ترك الاستماع للقرآن، ويشمل المكابرة عن الاعتراف بإعجازه وكونه حقاً بالنسبة

للذين يستمعون القرآن ويكابرونه، كما يجيء في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾^٤»^٥.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٥﴾

«في هذه الآية إخبار منه تعالى أن الكفار قد كذبوا بالحق الذي أتاهم به

محمد ﷺ لما جاءهم بالقرآن، وسائر أمور الدين، وأنه سوف يأتيهم خبر العذاب

الذي ينزله بهم عقوبة على كفرهم، وهذا العذاب هو الذي كانوا به يستهزؤون: بأخبار

رسول الله إياهم به وينزوله بهم.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٧/٦.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٧/٦.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٧/٦.

٤. سورة الأنعام / ٢٥ وسورة محمد ﷺ / ١٦.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٧/٦.

فَيَبِّنُ أَنْ ذَلِكَ سِيحْلٌ بِهِمْ وَسَيَقْفُونَ عَلَى صِحَّتِهِ. وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَهْزِؤْنَ»^١.

﴿فَ﴾ فصيحة، «أفصحت عن كلام مقدر نشأ عن قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنَّا مُعْرِضِينَ﴾، أي إذا تقرر هذا الإعراض ثبت أنهم كذبوا بالحق لما جاءهم من عند الله، فإن الإعراض علامة على التكذيب، كما قدمته آنفاً، فما بعد فاء الفصيحة هو الجزاء. ومعناه أن من المعلوم سوء عواقب الذين كذبوا بالحق الآتي من عند الله فلما تقرر في الآية السابقة أنهم أعرضوا آيات الله فقد ثبت أنهم كذبوا بالحق الوارد من الله»^٢.
﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿كَذَّبُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، ﴿قَدْ كَذَّبُوا﴾ هو الجزاء لشرط مقدر.
﴿بِالْحَقِّ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾. والمراد ﴿بِالْحَقِّ﴾ هو القرآن الكريم أو «مجموع الآيات والبراهين والحجج الكثيرة الدالة على أنه تعالى هو ﴿الْحَقِّ﴾ الذي لا بد من اتباعه»^٣.

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم بمعنى «حين»، وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه.

﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الْحَقِّ﴾ ومفعول به.

﴿فَ﴾ السببية تدل على أن ما قبلها سبب لما بعدها.
﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال وتسويق لتأكيد حصول ذلك في المستقبل.
﴿يَأْتِيهِمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم.

١. التبيان / ٤ / ٨٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٨ / ٦.

٣. مواهب الرحمن ٤٩ / ١٣.

﴿أُنْبِئُوا﴾ فاعل. الأنبياء: جمع نبأ وهو الخبر الذي به أهمية.
﴿مَا﴾ موصولة. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَانُوا﴾ أو بـ ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾. والضمير يرجع إلى القرآن الكريم.

﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾. «وعيد للمستهزئين الكافرين الذين سوف يجدون آثار استهزاءهم وعاقبة كفرهم ووعد للمؤمنين بنصر الله تعالى لهم»^١.

ويجدونها حين نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند غلبة الإسلام وارتفاع أمره والله العالم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ
لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾^١

الآية الشريفة بيان لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبِئُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ في الآية السابقة على طريقة الاستفهام الإنكاري.

﴿أَ﴾ حرف استفهام. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
﴿يَرَوْا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، الرؤية أعم من البصرية والنظرية والعقلية والعلمية.

﴿كَمْ﴾ اسم استفهام عن عدد مبهم فلا بدّ بعده من تفسير، خبرية، مفعول به

مقدّم ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

﴿أَهْلَكْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و ﴿مِنْ﴾ بيانيّ.

﴿مِنْ﴾ زائدة جارة لمميّز ﴿كَمْ﴾ الخبرية لوقوع الفصل بينها وإنّ ذلك يوجب

جرّه.

﴿قَرْنٍ﴾ مجروره. الجار والمجرور متعلّق بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾. أو بدل ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

القرن: أصله الزمن الطويل وكثر إطلاقه على الأمة التي دامت طويلاً أو القوم

المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون.

﴿مَكَّنَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. صفة لـ ﴿قَرْنٍ﴾. أصله مشتق من

المكان، مكّنه أي وضع له مكاناً. ﴿مَكَّنَهُمْ﴾: ثبتناهم وملّكناهم.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿مَكَّنَهُمْ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول مطلق نوعي ﴿مَكَّنَهُمْ﴾، معناها: التمكين فهي نائبة

عن مصدر محذوف أي: تمكيناً لم نمكّنه لكم.

﴿لَمْ نُمَكِّنْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿لَكُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿لَمْ نُمَكِّنْ﴾. والضمير يرجع إلى الذين كفروا

وفيه التفات من الغياب إلى الخطاب.

أي: «إنا مكّناهم في الأرض، وأعطيناهم من أسباب التمكّن فيها والإستقلال

في التصرف، فلم يوجد من يعارضهم في سلطانهم، ما لم يكن لكم ذلك فكأنّ

سلطانكم أضعف، والآية الكريمة مع غاية إيجازها، تفيد المعنيين على نحو

الإحتباك»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَرْسَلْنَا﴾ معطوف على ﴿أَهْلَكْنَا﴾. أي أنزلنا.

﴿السَّمَاءَ﴾ مفعول به، والمراد به هنا الغمامة والغيث.
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾. والضمير يرجع إلى الذين كفروا
 وفيه التفات من الخطاب إلى الغياب.
 ﴿مَدْرَارًا﴾ حال أو مفعول مطلق لفعل محذوف يفسره المعنى. أي غزيراً دائماً
 كثيراً حاداً. على وزن مفعال صيغة مبالغة لا يؤنث.
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ﴾ معطوفة على ﴿أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾، أي اوجدنا.
 ﴿تَجْرِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿الأنهار﴾. في محل
 نصب حال من ﴿الأنهار﴾.
 ﴿مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تَجْرِي﴾.
 ﴿فَ﴾ للتعقيب.
 ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ معطوفة على ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾. الإهلاك: الإفناء.
 ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، الأولان متعلق بـ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. والباء
 للسببية يعني بسبب ذنوبهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. تقديره: اذنبوا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.
 ﴿و﴾ عاطفة.
 ﴿أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ متعلق
 بحال مقدم من ﴿قَرْنَا﴾. الإنشاء: الإيجاد.
 ﴿قَرْنَا﴾ مفعول به، أي قوماً. ﴿ءَاخِرِينَ﴾ نعت.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا

إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

«أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لو نزل على نبيه ﴿كِتَابًا﴾ يعني صحيفة مكتوبة

﴿ فِي قِرطَاسٍ ﴾ حتى يلمسوه بأيديهم ويدركوه بحواسهم، لأنهم سألوا النبي ﷺ أن يأتيهم بكتاب يقرؤونه من الله إلى فلان بن فلان أن آمن بمحمد، وأنه أو أجابهم إلى ذلك لما آمنوا، ونسبوه إلى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم ووعزمهم على أن لا يؤمنون على كل حال. وعرفه أن التماسهم هذه الآيات ضرب من العنت ومتى فعلوا ذلك أصطلمهم واستأصلهم، وليس تقتضى المصلحة ذلك، لما علم في بقائهم من مصلحة للمؤمنين، وعلمه بمن يخرج من أصلاهم من المؤمنين أن فيهم من يؤمن فيما بعد، فلا يجوز أخترام من هذه صفته - عند أبي علي والبلخي^١.

﴿ وَ ﴾ عاطفة، والجملة بعدها معطوف على قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ... ﴾^٢ ويمكن أن تكون حالية من الضمير الفاعلي في ﴿ كَذَّبُوا ﴾ في قوله: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾^٣.

﴿ لَوْ ﴾ حرف شرط غير جازم. ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿ عَلَيْكَ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ نَزَّلْنَا ﴾، والضمير يرجع إلى خاتم أنبياء الله ورسله محمد المصطفى ﷺ.

﴿ كِتَابًا ﴾ مفعول به. أي الشيء المكتوب سواء كان سِفرًا أم رسالة.

﴿ فِي قِرطَاسٍ ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿ كِتَابًا ﴾. أي ﴿ كِتَابًا ﴾ مكتوباً على ورق. «والقِرطاس - بكسر القاف، وتُفتح وتضم على لغة - هو الورق الذي يكتب فيه، وفي القاموس: - مثلثة القاف كجعفر، ودرهم - الكاغذ، وقيل: إنه منصوص بالمكتوب منه، وقد نصّ بعض أهل اللغة على أنه غير عربي»^٤.

﴿ وَ ﴾ عاطفة.

١. التبيان ٤/ ٨٢.

٢. سورة الأنعام / ٤.

٣. سورة الأنعام / ٥.

٤. مواهب الرحمن ١٣/ ٥٨.

﴿لَمْسُوهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى الكافرين
المشركين والمفعولي يرجع إلى ﴿كُتِبَا﴾. معطوف على ﴿نَزَّلْنَا﴾.
واللمس: وضع اليد على الشيء لمعرفة ومعرفة خصوصياته.
﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿لَمْسُوهُ﴾. «تأكيد لمعنى
اللمس لرفع احتمال أن يكون مجازاً في التأمل»^١.
﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، اظهر في مقام الإضمار لقصد تسجيل أن دافعهم
إلى هذا التعنت هو الكفر.
﴿إِنْ﴾ حرف نفي بمعنى «ما» نافية. ﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مبتدأ.
﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿سِحْرٌ﴾ خبر.
﴿مُبينٌ﴾ نعت، اليين: الواضح. مشتق من «أبان» مرادف «بان» وجملة ﴿إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُبينٌ﴾ مقول القول ومعناه «أنهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم لستر
مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم. وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلق
بالمعاذير الكاذبة»^٢.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْآمُرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾

«إقتراح آخر من اقتراحاتهم السخيفة، التي تدل على استكبارهم وإصرارهم
على العناد والكفر، وذكره بالخصوص إما رداً منهم على ما كان النبي الكريم ﷺ
يخبرهم بأن الذي ينزل عليه ملك أمين كريم يخبر عن الله تعالى، كما أخبر ﷺ به: ﴿إِنَّهُ

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤.

لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝^١
 أو لأجل تعجيز النبي ﷺ ، لمعرفة أنهم أن الملك لا يبقى على ما هو إذا نزل.
 واقتراحهم هذا يبيّن تحبّطهم في الكفر، ووقوعهم في التناقض والتضادّ في
 الحكم على أنفسهم ولها، وهو المعهود من الكفّار في كلّ عصر و زمان، كما حكي
 عنهم ﷺ في مواضع عديدة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن
 قَوْمِهِ لِيَن آتَبَعْتُمْ شُعَبِيًّا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخٰسِرُونَ﴾^٢.
 فتارةً تراهم يحكمون الأنبياء والرّسل بأنهم بشرٌ يأكلون ويشربون، وأخرى
 يحكمون بتفضيل الرّسل واستحقاقهم ذلك واستصعابهم الإتياع لهم^٣.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. معطوف على قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾^٤ وما
 بعده مقول القول.

﴿لَوْلَا﴾ حرف عرض معناه «هلاً». ﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماضٍ مجهول.
 ﴿عَلَيْهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿أُنزِلَ﴾. والضمير يرجع إلى رسول الله
 محمد ﷺ .

﴿مَلَكٌ﴾ نائب فاعل، حتّى يشاهده المشركون ويخبرهم بصدق النبي ﷺ .
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.
 ﴿أُنزَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿مَلَكًا﴾ مفعول به.
 ﴿لَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قُضِيَ﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول.
 ﴿الْأَمْرُ﴾ نائب فاعله. أي: أتمّ إهلاكهم.

١. سورة التكوير / ٢١-١٩.

٢. سورة الأعراف / ٩٠.

٣. مواهب الرحمن / ١٣ / ٥٩.

٤. سورة الأنعام / ٧.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُنظَرُونَ﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول ونائب فاعله. أي لا يمهلون. يعني
﴿لَوْ أَنزَلَ﴾ عليهم ﴿مَلَكٌ﴾ على ما اقترحوه لما آمنوا به، واقتضت الحكمة استئصالهم
وإلا ينظرهم ولا يمهلمهم. وذلك بخلاف ما علم الله تعالى من المصلحة على ما
بيناه^(١).

«فمعنى الآية أن ما اقترحوه لو وقع لكان سيء المغبة عليهم من حيث لا
يشعرون»^(٣).

تنبيهان

الأول: «في سيرة ابن إسحاق أن هذا القول واقع، وأن من جملة من قال هذا
زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعبد بن عبد يغوث؛ وأبي ابن
خلف، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومن
معهم، أرسلوا إلى النبي ﷺ: سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول
ويراجعنا عنك»^(٤).

الثاني: ورد التمسك بهذه الآية وما قبلها وما بعدها في احتجاج النبي ﷺ
على جماعة المشركين المروية عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام في كتاب
«الاحتجاج»^(٥) لأبي منصور الطبرسي رحمه الله فراجع إن شئت.

١. في أول الآية السابقة.

٢. التبيان ٤/ ٨٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٦.

٤. سورة الأنعام / ٨.

٥. الإحتجاج ١/ (٣٨-٢٩).

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبُسُونَ﴾ ﴿٩﴾

هذا جواب عن اقتراحهم (أي اقتراح الكافرين) بنزول الملك على رسول الله بحيث يرونه، فأجابهم الله تعالى بأن الملك لو نزل على الرسول ﷺ وكان معه على الدوام أو كان الملك رسولاً بدلاً من رسول الله الذي كان بشراً، لا بد بأن يجعل في صورة البشر، لعدم إمكان رؤية الملك وسماع كلامه ومواجهته بنحو العام لطائفة الإنس، فإذا لبس الملك الثوب البشري وظهر في صورة الإنسان يرجع اقتراحهم مجدداً ويعتقدون أنه بشر مثلهم فصارت القضية كالأول.

﴿وَ﴾ عاطفة، «عطف على جملة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾^١ لبيان تفننهم في المكابرة والعناد تصلباً في شركهم وإصراراً عليه، فلا يتركون وسيلة من وسائل التنفير من قبول دعوة الإسلام إلا توصلوا بها. ومناسبة عطف هذا الكلام على قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أنهم كانوا في قولهم ذلك قاصدين التعجيز والاستهزاء معاً، لأنهم ما قالوه إلا عن يقين منهم أن ذلك لا يكون، فابتدىء الرد عليهم بإبطال ظاهر كلامهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾^٢. ثم ثنى بتهديدهم على ما أرادوه من الاستهزاء، والمقصود مع ذلك تهديدهم بأنهم سيحقيق بهم العذاب وأن ذلك سنة الله في كل أمة استهزأت برسول له»^٣.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿جَعَلْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. والضمير المفعولي يرجع إلى «الرسول» الماضية في المعنى. والمراد بالجعل هنا الجعل التكويني أعني الخلق.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٧/٦.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٧/٦.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٧/٦.

﴿مَلَكًا﴾ مفعول به ثان.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها جواب الشرط.

﴿جَعَلْنَهُ﴾ مر.

﴿رَجُلًا﴾ مفعول به ثان. والمعنى إلى هنا «لو أنزل الله إليهم ملكاً رسولاً لكان من واجب الحكمة أن يجعله رجلاً مثلهم... فإنزال الملك رسولاً لا يترتب عليه من النفع والأثر أكثر مما يترتب على إرسال الرسول البشري ويكون حينئذ لغواً»^١. وإيحاءً بأن الرسول لا يكون إلا ﴿رَجُلًا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَبَسْنَا﴾ معطوف على ﴿لَجَعَلْنَا﴾. اللبس بالفتح: الستر وبالضم التغطية على الحق وكأن المعنى الثاني يستعير من المعنى الأوّل المذكور هنا الثاني. ونسبة التغطية والإضلال إلى الله ليس إضلالاً ابتدائياً بل إغطاء وإضلال اختياري من قبل الكافرين. وبعبارة أخرى: «مادة (لبس) تدلّ على الستر والتغطية، سواء كان حسياً، كما في لبس الثوب، أو معنوياً كما في لبس الحقّ بالباطل، بمعنى ستره به، ومنه لبست عليه أمره، أي جعلته مشكلاً بحيث يلتبس عليه فلا يعرفه، كما أنّ منه من الأمر لبسة، أي إلتباس. نعم يفترقان في أنّ هيئة الفعل في الأوّل بكسر الباء في الماضي، وفتحها في المضارع من اللبس (فتح اللام)، وفي الثاني تكون بفتح باء الأوّل، وكسر باء الثاني»^٢.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَبَسْنَا﴾ والضمير يرجع إلى الكافرين.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿يَلْبَسُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، ومتعلّقه محذوف يدلّ على التعميم.

١. الميزان ٧/ ٢٢.

٢. مواهب الرحمن ١٣/ ٦٧.

تنبيه

قد ظهر من الآية الشريفة أمور:

الأول: «أن الملازمة بين جعل الرسول ملكاً وجعله رجلاً إنما هي من جهة إيجاب الحكمة حفظ الاختيار الإنساني في الدعوة الدينية الإلهية إذ لو أنزل الملك على صورته السماوية وبدل الغيب شهادة كان من الإلحاء الذي لا تستقيم معه الدعوة الاختيارية.

والثاني: أن الذي تدل عليه الآية هو صيرورة الملك رجلاً مع السكوت عن كون ذلك هل هو بقلب ماهية الملكية إلى الماهية الإنسانية - الذي ربما يحيله عدة من الباحثين - أو بتمثيله مثلاً إنسانياً كتمثل الروح لمريم بشراً سوياً، وتمثل الملائكة الكرام لإبراهيم ولوط عليهما السلام في صورة الضيفان من الآدميين.

وجل الآيات الواردة في مورد الملائكة وإن كان يؤيد الثاني من الوجهين لكن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾^١ لا يخلو عن دلالة ما على الوجه الأول، وللبحث ذيل ينبغي أن يطلب من محل آخر.

والثالث: أن قوله تعالى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ من قبيل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^٢ فهو إضلال إلهي لهم بعد ما استحجوا الضلال لأنفسهم من غير أن يكون إضلالاً ابتدائياً غير لائق بساحة قدسه سبحانه.

والرابع: أن متعلق ﴿يَلْبِسُونَ﴾ المحذوف أعم يشمل لبسهم على أنفسهم ولبس بعضهم على بعض.

والخامس: أن محصل الآية احتجاج عليهم بأنه لو أنزل عليهم ملك بالرسالة لم ينفعهم ذلك في رفع حيرتهم فإن الله جاعل الملك عندئذ رجلاً يماثل الرسول البشري

١. سورة الزخرف / ٦٠.

٢. سورة الصف / ٥.

وهم لا بسون على أنفسهم معه متشككون فإثم لا يريدون بهذه المسألة إلا أن يتخلصوا من الرسول البشري الذي هو في صورة رجل ليبدلوا بذلك شكهم يقيناً وإذا صاروا لملك على هذا النعت - ولا محالة - فهم لا ينتفعون بذلك شيئاً.

والسادس: أن في التعبير: ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ ولم يقل: لجعلناه بشراً ليشمل الرجل والمرأة جميعاً إشعاراً - كما قيل - بأن الرسول لا يكون إلا رجلاً كما أن التعبير لا يخلو من إشعار بأن هذا الجعل إنما هو بتمثل الملك في صورة الإنسان دون انقلاب هويته إلى هوية الإنسان كما قيل^١.

رواية

عن عبدالله بن أبي يعفور، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لَبَسُوا عَلَيْهِمْ لَبَسَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبَسُونَ﴾^٢.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِك فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِء

يَسْتَهْزِءُونَ﴾

تدل الآية الشريفة «على جملة مطوية إيجازاً، تقديرها: واستهزأوا بك ولقد استهزأ أمم برسلك، لأن قوله من قبلك، يؤذن بأنه قد استهزىء به هو أيضاً وإلا لم تكن فائدة في وصف الرسل بأنهم من قبله لأن ذلك معلوم»^٣.
و «وعيدٌ للمستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه، وإنذار للمشركين

١. الميزان ٧/ ٢٣.

٢. تفسير العياشي ٩١/ ٢، ح ١٠.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٨.

المستهزئين الذين حكى الله تعالى مظاهر استهزائهم برسله وأنبيائه في محكم كتابه، منها استهزاؤهم بالعذاب الذي كانوا يندرونهم بنزوله»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَ﴾ للقسم، تأكيد.

﴿قَدِ﴾ للتحقيق، تأكيد آخر، وكسر داله لالتقاء الساكنين. والتأكيدان يدلان على أن الاستهزاء سيرة مستمرة الكفار والمشركين مع أنبياء الله ورسله.
﴿أَسْتَهْزِئُ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، لأن المقصود هنا هو ترتب أثر الاستهزاء لا تعيين المستهزئين»^٢. الاستهزاء: السخرية.

﴿بُرْسُلٍ﴾ جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. والتنوين للتفخيم والتكثير.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة محذوفة من ﴿رُسُلٍ﴾ أو في

محل نصب حال من فاعل فعل محذوف تقديره: «أرسلوا». والضمير يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ.

﴿فَدِ﴾ للسببية. ﴿حَاقَ﴾ فعل ماض. بمعنى «أحاط».

﴿بِالَّذِينَ﴾ حرف جر واسم موصول في محل جرّ، متعلق بـ ﴿حَاقَ﴾. وجيء

بالموصول للإيحاء إلى تعليل الحكم.

﴿سَخِرُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مِنْهُمْ﴾ حرف جر بياني والضمير في محل جرّ متعلق بـ ﴿سَخِرُوا﴾ والضمير

يرجع إلى ﴿رُسُلٍ﴾ لزيادة تقرير كون العقاب لأجلهم ترفيعاً لشأنهم»^٣.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل رفع فاعل ﴿حَاقَ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

١. مواهب الرحمن ١٣/٧٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٢٨.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٢٩.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْتَهْرِءُونَ﴾. والباء لتعدية فعل الاستهزاء ومانع من جعل ﴿مَا﴾ غير موصولة.

﴿يَسْتَهْرِءُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾. «أي نزل بهم العذاب»^١.

«وقد كان استهزاؤهم بالرسول بالاستهزاء بالعذاب الذي كانوا يندرونهم بنزوله وحلوله فحاق بهم عين ما استهزؤا به»^٢.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١﴾

«أمر الله تعالى في هذه الآية نبيه ﷺ ان يأمر هؤلاء الكفار ان يسيروا في الأرض لينظروا إلى آثار تلك الأمم فإتيا مشهورة ومتواتر خبرها معلوم مساكنها واران بذلك زجر هؤلاء الكفار عن تكذيب محمد ﷺ والتحذير لهم من ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالمكذبين للرسول من قبلهم»^٣.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم ﷺ «بإذار قومه وتذكيرهم بأحوال الأمم الخالية التي مضت سنة الله تعالى فيهم، بعد استهزائهم بالرسول، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يدلهم على الطريق الذي يوصلهم إلى العلم بذلك، فلا يرتاب المبطلون، فإنّ جزاء الإستهزاء ممّا يوجب الإستقرار وزوال الشك»^٤. وبداية ردود وأجوبة على مقالات الكافرين المشركين مفتحة بكلمة ﴿قُلْ﴾.

١. تفسير القمي ١ / ٢٨٤.

٢. الميزان ٧ / ٢٥.

٣. التبيان ٤ / ٨٥.

٤. مواهب الرحمن ١٣ / ٧٥.

﴿سَيُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. مقول القول. «والسير في الأرض، هو الانتقال في ديار القوم الهالكين، الذي مكّنه الله تعالى في الأرض، ثم النظر في آثار ما حلّ بهم من الهلاك، والتفكر في سوء عاقبة المكذّبين، وإن لم يكونوا هم المستهزون، فإنّ السبب في الهلاك هو استهزاء المستهزئين المقترحين الذين حكى الله تعالى أحوالهم في الآيات السابقة، والمكذّبين وإن لم يشركوا في الاستهزاء والسخرية، إلا أنّهم رضوا بفعلهم وكذّبوا الرّسل، ومن ذلك يعرف أنّه إذا كان حال المكذّبين كذلك، فكيف حال من جمع بينهما، وفيه الإشارة إلى فضاة ما نالهم.

ويحتمل أن يكون لبيان أنّ الاستهزاء والسخرية يرجع إلى التكذيب، فهو السبب فيها، فإذا تحقّق الإصرار على التكذيب والاستكبار عن قبول الحقّ، بلغ مرتبة الإستهزاء والسخرية»^١.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿سَيُرُوا﴾. ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الرتبي.
﴿أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ والنظر كما يمكن أن يكون مادياً يمكن أن يكون معنوياً بالنظر في القرآن وأخبار الأنبياء في الكتب المعتمدة ومطالعة قصصهم وحكاياتهم وتواريخهم وقد مرّت تنمة الآية في سورة آل عمران الآية ١٣٧ من الجزء الرابع فلا نعيد.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾

هذه الآية وما تليها تحتج على المشركين في أمر المعاد وتتضمنان البرهان عليه

ويمكن تسميته برهان «الرحمة». بتقريب الآتي:

﴿قُلْ﴾ تصدير هذا الكلام بالأمر يدلُّ على أنَّ المقصود هو الاهتمام بها بعد الأمر. والخطاب للنبي الخاتم ﷺ .

﴿لِ﴾ حرف جر.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، جار ومجرور خبر مقدم. والاستفهام مستعمل مجازاً في التقرير والإلجاء إلى الإقرار.

﴿مَّا﴾ موصولة، مبتدأ مؤخر.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف «وجد» أو «استقر».

﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» مخاطباً للنبي الخاتم ﷺ حيث لا سبيل إلى المسئول إلى الجحد والمغالطة بادر بالجواب عنه بنفسه بقوله تعالى:

﴿لِي﴾ للملك.

﴿لَهُ﴾ اثبات الملكية المطلقة ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿لِي﴾ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وهذه الملكية المطلقة إحدى مقدمتي البرهان على المعاد وهي:

«أَنَّ الله سبحانه هو المالك على الإطلاق فله التصرف فيها بما شاء من إحياء ورزق وإماتة وبعث بعد الموت من غير أن يمنعه من ذلك مانع»^١.

﴿كَتَبَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى «الله». الكتابة:

الإثبات والقضاء الحتم. ﴿كَتَبَ﴾ أي أوجب.

﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَتَبَ﴾.

﴿الرَّحْمَةَ﴾ مفعول به. الرحمة: «هي إفاضة النعمة على مستحقها وإيصال الشيء

إلى سعادته التي تليق به، من صفاته تعالى الفعلية صح أن ينسب إلى كتابته تعالى،

والمعنى: أوجب على نفسه الرحمة وإفاضة النعم وإنزال الخير لمن يستحقه^١.
 «ولازم كتابة الرحمة على نفسه - كما تقدم - أن يتم نعمته عليه بجمعهم ليوم
 القيامة ليجزيهم بأقوالهم وأعمالهم فيفوز به المؤمنون ويخسر غيرهم»^٢ وهذه هي
 المقدمة الثانية للبرهان بل هي أساسه ويمكن تسمية هذا البرهان بـ ﴿الرَّحْمَةِ﴾ كما مرّ.
 ولا تصح نسبة صفات الذات كالحياة والعلم والقدرة والغنى إلى الكتابة
 بخلاف صفات الفعل فإنّها تصح نسبتها إلى الكتابة كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ
 لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^٣.

﴿لَا مَ الْقِسْمِ﴾

﴿يَجْمَعَنَّكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ونون التأكيد الثقيلة ومفعول
 به. وهذه هي نتيجة البرهان.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

﴿لَا﴾ نافية للجنس. ﴿رَيْبَ﴾ اسم ﴿لَا﴾.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿لَا﴾ المحذوف: كائن أو موجود. وجملة ﴿لَا
 رَيْبَ فِيهِ﴾ في محلّ نصب حال من ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وأبلغ تأكيد بعد التأكيدين الماضين
 وهما القسم ونون التأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿خَسِرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿فَ﴾ واقعة في معنى الجزاء لأنّ الموصول تضمّن معنى الشرط.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر.

١. الميزان ٧/ ٢٦.

٢. الميزان ٧/ ٢٧.

٣. سورة المجادلة / ٢١.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٢﴾

وهذه الآية كأحدى مقدمات البرهان الوارد في الآية السابقة، لأنَّ بالنظر الابتدائي الساذج ربما غفل عن كون ملكه تعالى للإشياء مستلزماً لعلمه بها وسمعه بها يسمع منها ولذلك نبه عليه بتكرار ملكه على ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وتفريع السمع والعلم عليه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، وتقريبه يدل على الحصر، معطوف على ﴿لِلَّهِ﴾

في الآية السابقة.

﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ مؤخر.

﴿سَكَنَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير سمتر «هو» يرجع إلى ﴿مَا﴾.

«السكون في الليل والنهار هو الوقوع في ظرف هذا العالم الطبيعي الذي يدبر أمره بالليل والنهار، ويجري نظامه بغشيان النور الساكب من شمس مضيئة، وعمل التحولات النورية فيه بالقرب والبعد والكثرة والقلّة والحضور والغيبية والمسامة وغيرها.

فالليل والنهار هما المهده العام يربي فيه العناصر الكلية ومواليدها تربية تسوق كلّ جزء من أجزائها وكلّ شخص من أشخاصها إلى غايته التي قدرت له، وتكملها روحاً وجسماً»^١.

﴿فِي اللَّيْلِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿سَكَنَ﴾. ﴿فِي﴾ للظرفية الزمانية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿النَّهَارِ﴾ معطوف على ﴿اللَّيْلِ﴾.

﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿الَّسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبران وهما من ألفاظ المبالغة. أي أنه تعالى سميع بأقوال المخلوقات وعلیم بأعمالهم.

﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْتِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾

تضمنت الآية الشريفة برهاناً على التوحيد ونفي الشرك، لأن المشركين يعبدون آلهتهم رجاءً وطمعاً في نزول الخيرات والبركات والأرزاق عليهم، والآية تستفيد من هذا الرجاء والطمع ولكن يرجعهما إلى مكانة الأصلي والواقعي وهو الرجاء من الله تعالى والطمع إليه تعالى.

﴿قُلْ﴾ أعيد الأمر لجهة الاهتمام بالمقول، والخطاب للنبي الخاتم ﷺ .

﴿أُ﴾ استفهام إنكاريٌّ. ﴿غَيَّرَ﴾ مفعول به أول مقدم.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه، ﴿غَيَّرَ اللَّهُ﴾ عام يشمل كل ما عدا الله.

﴿أَخْتِذُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿وَلِيًّا﴾ مفعول به ثان، والمراد به هنا المدبّر والحاكم والمعبود والإله، وهو الولي

للنعمة التي يتنعم بها الإنسان وغيره.

﴿فَاطِرِ﴾ صفة لـ ﴿اللَّهُ﴾. ﴿فَاطِرِ﴾: خالق ومبدع وأصله من الفطر وهو الشقّ.

وحيث أن ﴿اللَّهُ﴾ تعالى هو الخالق للعالم فيجب أن يتخذه ﴿وَلِيًّا﴾ وأن يخضع له.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.

﴿يُطْعِمُ﴾ فعل مضارع وفاعله مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾. أي يُعطي النَّاس ما يأكلونه ممَّا أخرج لهم الأرض. و «اختصاص الإطعام من بين نعمه تعالى على كثرتها بالذكر إنما العناية فيه كون الإطعام بحسب النظر الساذج أوضح حوائج الحيوان العائش ومنه الإنسان»^١. وحذف المفعول يدلُّ على العموم.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا يُطْعَمُ﴾ فعل مضارع مجهول منفي ونائب فاعله ضمير مستتر «هو» تعريض ببعض من اتخذوهم آلهة محتاجين إلى الطعام كعيسى وأمّه عليهما السلام.
﴿قُلْ﴾ استئناف مكرر لأسلوب الاستئناف الذي قبله.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
﴿أُمرْتُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله، خبر ﴿إِنِّي﴾.
﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿أَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمه ضمير مستتر «أنا»، مقول القول.

﴿أَوَّلَ﴾ خبر ﴿أَكُونُ﴾. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مضاف إليه.
﴿أَسْلَمَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». «معناه أن أكون أوَّل من خضع، وآمن وعرف الحقَّ من قومي، وأن أترك ما هم عليه من الشرك»^٢. و «أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم أوَّل من يتَّصف بالإسلام الذي بعثه الله به، فهو الإسلام الخاص الذي جاء به القرآن»^٣ والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
﴿وَ﴾ عاطفة.

١. الميزان ٧/٣٢.

٢. التبيان ٤/٨٩.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٣٩.

﴿لَا تَكُونَنَّ﴾ فعل نهي ناقص ونون التأكيد الثقيلة واسمه ضمير مستتر «أنت».

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿تَكُونَنَّ﴾ في محل نصب. «نهي» عن تحطّي التوحيد إلى الشرك، والإلتحاق بالمشركين من حيث العمل، فيكون صدر الآية الكريمة لبيان أصل العقيدة، وذيلها لبيان العمل، فيكون النهي عن التلبس بأعمال المشركين وأفعالهم»^١.

تنبيهان

«أحدهما: أن قوله: ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ إن كان المراد أوّل من أسلم من بينكم فهو ظاهر فقد أسلم ﷺ قبل امته، وإن كان المراد به أوّل من أسلم من غير تقييد كما هو ظاهر الإطلاق كانت أوليته في ذلك بحسب الرتبة دون الزمان. وثانيهما: أن نتيجة الحجّة لما كانت هي العبودية وهي نوع خضوع وتسليم كان استعمال لفظة الإسلام في المقام أولى من لفظة الإيمان لما فيه من الدلالة على غرض العبادة، وهو الخضوع»^٢.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

برهان آخر على اثبات التوحيد ونفي الشرك، لأنّ المشركين يعبدون أصنامهم دفعاً للشرور والمكارة والبلايا وخوفهم منها، واستفادت الآية الشريفة من هذا الخوف ولكن ترجعه إلى مكانه الواقعي وهو الخوف من الله تعالى وعذابه. ﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً. للنبي الأعظم ﷺ،

١. مواهب الرحمن ١٣/١٠٨.

٢. الميزان ٧/٣٣.

استئناف مكرراً لما قبله. وما بعده مقول القول.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد. والضمير يرجع إلى النبي الأعظم ﷺ .

﴿أَخَافُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا»، خبر ﴿إِنِّي﴾. والخوف هو الركن لهذا البرهان على التوحيد ونفي الشرك وهو أن الخوف لا بد وأن يكون من الله ﷻ، وقدم الخوف على شرطه لأنه المقصود الأهم بالذكر.

﴿إِنْ﴾ شرطية أو وصيلة وعلى الثاني لا يتوقف الخوف على العصيان.

﴿عَصَيْتُ﴾ فعل ماضٍ و فاعله. فعل الشرط على القول بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية. و ﴿عَصَيْتُ﴾ بدلاً من «أشركت» «إشارة إلى ما في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من نهيه ﷻ عن الشرك فأدت الآية أن من الواجب عليّ عقلاً أن أعبد الله وحده لأومن بما أخاف من عذاب يوم عظيم، وهذا الذي دل عليه العقل دلني عليه للوحي من ربي.

وهذا تناظر هذه الآية الآية السابقة من جهة إقامة الحجة العقلية أولاً ثم تأييده بالوحي من الله سبحانه فافهم ذلك، وهذا من لطائف إيجاز القرآن الكريم فقد اكتفي في إفادة هذا المعنى على سعته بمجرد وضع قوله: ﴿عَصَيْتُ﴾ موضع «أشركت»^١.

﴿رَبِّي﴾ مفعول به مضاف إليه. «وفي العدول عن اسم الجلالة إلى قوله: ﴿رَبِّي﴾ إيحاء إلى أن عصيانه أمر قبيح لأنه ربه فكيف يعصيه»^٢.

﴿عَذَابٌ﴾ مفعول به فعل ﴿أَخَافُ﴾. ﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه.

﴿عَظِيمٍ﴾ نعت. أي «شديد على العباد وعظيم في قلوبهم»^٣. أضيف العذاب إلى

١. الميزان ٧/ ٣٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٤٠.

٣. التبيان ٤/ ٩٠.

﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ تهويلاً للمخاطب والمراد به يوم القيامة.

«واختصاص عذاب الساعة بالذكر دون عذاب الدنيا الذي يخافه المشركون، لبيان أن الذي ينبغي أن يخاف منه، هو ذلك العذاب الذي لا حد له، دون الأدنى الذي هو محدود، وربما يصيب المؤمن أيضاً بخلاف ذلك العذاب الذي يخص العاصين ومنه المشركون، فالآية تقرّر الخوف، ولكنها تبين ما ينبغي أن يخاف منه»^١.

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۗ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾

هذه الآية تتميم للبرهانين السابقين وتدلل «على أن العذاب عام يشرف على الجميع، ويحيط بالكل، فلا يختص بأحد من العباد، فعلى كل إنسان أن يخاف منه مثل ما يخافه النبي ﷺ، ولا مخلص منه إلا برحمته، والحجة مع كونها عقلية وهي تقتضي التعميم، كذلك يكون العذاب عاماً لا يختص بأحد، فيجب على الجميع أن يخافه، ولعله لأجل ذلك سقت هذه الآية مساق التعميم، لنفي الاختصاص بمن أجرى على نفسه الحجة»^٢. بل الحجة عامة قائمة على جميع الناس.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه خبر.

﴿يُصْرِفْ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم لأنه فعل الشرط ونائب فاعله

محذوف يفسره السياق وهو العذاب.

﴿عَنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُصْرِفْ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿يُصْرِفْ﴾ و «إذ» مضاف إليه. أي ﴿يَوْمٍ﴾

١. مواهب الرحمن ١٣/١٠٩.

٢. مواهب الرحمن ١٣/١١٠.

عَظِيمٍ^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿رَحْمَةٌ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به وفاعله محذوف وهو «الله». جواب الشرط.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ. إشارة إلى الصرف عن العذاب والرحمة المترتبة عليه فهما

متلازمان.

﴿الْفَوْزُ﴾ خبر. ﴿الْمُيِّنُ﴾ نعت.

والمراد بـ ﴿الْفَوْزُ الْمُيِّنُ﴾ «هو الدخول في الجنة، كما ذكر في موضع آخر: ﴿فَمَنْ

زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^٢».

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٣

«قد كانت الحجتان المذكورتان في الآيات السابقة أخذتا أنموذجاً مما يرجوه الإنسان وهو الإطعام وأنموذجاً مما يخافه وهو عذاب يوم القيامة، وتممتا بهما البيان، ولم تتعرضا لسائر أنواع الضر وأقسام الخير التي يمسه الله سبحانه بهما الإنسان، والكل من الله عز اسمه.

فالآية توضح بالتصريح أن هناك من الضر ما هو غير عذاب يوم القيامة يمسه الله سبحانه به الإنسان يجب أن يتوجه إليه تعالى في كشفه، وأن من الخير ما يمسه الله به الإنسان ولا راد لفضله ولا مانع يمنع من إفاضته لقدرته على كل شيء، ورجاء الخير

١. سورة الأنعام / ١٥.

٢. سورة آل عمران / ١٨٥.

يوجب على الإنسان أن يتخذه سبحانه إلهاً معبوداً^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على الجمل المفتحة بفعل ﴿قُلْ﴾^٢ ﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿يَمَسُّكَ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط ومفعول به مقدم والضمير الخطاب للرسول الأعظم ﷺ . و «المراد بالمس هنا مطلق الإصابة دون المعنى الخاص وهو تلاقي الجسمين»^٣. والتعبير بالمس دال على الحقارة في قبال قدرة الله تعالى.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿بِضُرِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَمَسُّكَ﴾. «والضَّرُّ - بضم الضاد - هو الحال

الذي يؤلم الإنسان، وهو من الشرِّ، وهو المنافر للإنسان»^٤.

﴿وَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَا﴾ نافية للجنس.

﴿كَاشَفَ﴾ اسم ﴿لَا﴾. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿لَا﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿هُوَ﴾ ضمير منفصل في موضع رفع لأنه بدل من موضع ﴿لَا كَاشَفَ﴾ وهو

الابتداء. يعني: «إن قدر الله لك الضرَّ فهلاً يستطيع أحد كشفه عنك إلا هو إن شاء ذلك، لأنَّ مقدراته مربوطة ومحوطة بنواميس ونظم لا تصل إلى تحويلها إلا قدرة خالقها»^٥.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنْ يَمَسُّكَ بِضُرِّ﴾ معطوفة على ﴿إِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرِّ﴾. والخير: ما يلائم

١. الميزان ٧/ ٣٤.

٢. سورة الأنعام / ١٥.

٣. مواهب الرحمن ١٣/ ١١١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٤٢.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٤٢.

طبع الإنسان وما ينفعه.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها جواب الشرط. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر. والجملة الأخيرة ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «جعل جواباً للشرط

لأنه علّة الجواب المحذوف والجواب المذكور قبله، إذ التقدير: وإن يمسسك بخير فلا

مانع له لأنه على كل شيء قدير في الضرّ والنفع. وقد جعل هذا العموم تمهيداً لقوله

بعده ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^١ ٢.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

جواب لما «يتوهم أن كونه تعالى يمس الإنسان بضر أو بخير إنما يقتضي أن يتخذ معبوداً، والخصم لا ينكر ذلك. وأما قصر الألوهية والمعبودية فيه تعالى فلا لأن ما اتخذوه من الآلهة هي أسباب متوسطة وشفعاء أقوياء لها تأثيرات في الكون من شر أو خير يوجب على الإنسان أن يتقرب إليها خوفاً من شرها أو رجاء لخيرها.

دفعه بأن الله سبحانه هو القاهر فوق عباده لا يفوقه منهم أحد ولا يعادله فهم أنفسهم تحت قهره، وكذا أفعالهم وآثارهم لا يعملون عملاً من خير أو شر إلا بإذنه ومشيته غير مستقلين بأمر البتة ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا غير ذلك، فما يطلع من أفق ذواتهم من أثر خيراً أو شراً ينتهي إلى أمره ومشيته وإذنه يستند إليه على ما يليق بساحة قدسه وعزته من الاستناد»^٣.

١. سورة الأنعام / ١٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٤٣.

٣. الميزان ٧ / ٣٤.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿إِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ فِي الْآيَةِ

السَّابِقَةِ.

﴿هُوَ﴾ مَبْتَدَأٌ.

﴿الْقَاهِرُ﴾ خَبْرٌ، اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَاهِرٌ بِالتَّفُوقِ وَالْإِحَاطَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَ «الْقَاهِرُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْغَلْبَةِ، وَهُوَ أَنْ يَظْهَرَ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ فَيُضْطَرُّهُ إِلَى مَطَاوِعَةٍ أَثَرٌ مِنَ الْغَالِبِ يَخَالَفُ مَا لِلْمَغْلُوبِ مِنَ الْأَثَرِ طَبَعًا أَوْ بِنَحْوِهِ مِنَ الْإِفْتِرَاضِ كَالْمَاءِ يَظْهَرُ عَلَى النَّارِ فَيَقْهَرُهَا عَلَى الْخُمُودِ، وَالنَّارُ تَقْهَرُ الْمَاءَ فَتَبْخِرُهُ أَوْ تَجْفِفُ رَطُوبَتَهُ. وَإِذْ كَانَتْ الْأَسْبَابُ الْكُونِيَّةُ إِنَّمَا أَظْهَرَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِتَكُونَ وَسَائِطٌ فِي حَدُوثِ الْحَوَادِثِ فَتَضَعُ أَثَارَهَا فِي مَسَبِّبَاتِهَا، وَهِيَ كَائِنَةٌ مَا كَانَتْ مُضْطَرَةٌ إِلَى مَطَاوِعَةٍ مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِيهَا وَبِهَا، يَصْدُقُ عَلَيْهَا عَامَةً أَنَّهَا مَقْهُورَةٌ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ فَاللَّهُ قَاهِرٌ عَلَيْهَا»^١.

﴿فَوْقَ﴾ ظَرْفٌ مَتَعَلِّقٌ بِـ ﴿الْقَاهِرُ﴾. «اسْتِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ لِحَالَةِ الْقَاهِرِ بِأَنَّهُ كَالَّذِي يَأْخُذُ الْمَغْلُوبَ مِنْ أَعْلَاهُ فَلَا يَجِدُ مَعَالِجَةً وَلَا حَرَكَاتًا. وَهُوَ تَمَثِيلٌ بَدِيعٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^٢»^٣.

﴿عِبَادِهِ﴾ مِضَافٌ إِلَيْهِ وَمِضَافٌ إِلَيْهِ ثَانٍ. الْعِبَادُ: جَمْعُ الْعَبْدِ وَهُمْ الْمَخْلُوقُونَ مِنْ

العقلاء.

﴿وَ عَاطِفَةٌ. ﴿هُوَ﴾ مَبْتَدَأٌ.

﴿الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ﴾ خَبْرًا ﴿هُوَ﴾. ﴿الْحَكِيمُ﴾: الْمَحْكَمُ الْمُتَقِنُ لِلْمَصْنُوعَاتِ. ﴿الْحَبِيرُ﴾:

«مَبَالِغَةٌ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ (خَبَرَ) الْمُتَعَدِّي، بِمَعْنَى (عَلِمَ)، يُقَالُ: خَبَرَ الْأَمْرَ، إِذَا عَلِمَهُ وَجَرَّبَهُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْخَبَرِ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا عَلِمَ أَمَكَّنَ الْإِخْبَارَ بِهِ»^٤.

١. الميزان ٧/ ٣٥.

٢. سورة الأعراف / ١٢٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٤٤.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٤٤.

والحاصل: «لما نسب في الآيتين إليه المس بالضر والخير، وقد ينسبان إلى غيره، ميّز مقامه من مقام غيره بقوله في ذيل الآية: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ فهو الحكيم لا يفعل ما يفعل جزافاً وجهلاً، الخبير لا يخطيء ولا يغلط كغيره»^١.

﴿قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾

«احتجاج على الوجدانية من طريق الوحي فإن وحدة الإله وانتفاء الشريك عنه وإن كانت ممّا يناله العقل بوجوه من النيل فلا مانع من إثباته من طريق الوحي الصريح الذي لا مريّة فيه، فالمطلوب هو اليقين بأنّه تعالى إله واحد لا شريك له، وإذا فرض حصوله من طريق الوحي الذي لا يداخله ريب في كونه وحياً إلهياً كالقرآن المتكّي على التحدي فلا مانع من الاستناد إليه»^٢.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الخاتم ﷺ . وما بعده مقول القول.

﴿أَى﴾ اسم استفهام. مبتدأ.

﴿شَىءٍ﴾ مضاف إليه. والمراد به بقريته ما بعده الشهادة.

﴿أَكْبَرُ﴾ خبر. والمراد به أقوى وأصح وأعدل وأصدق.

﴿شَهَادَةً﴾ تمييز لنسبة الأكبرية إلى الشيء. «فالمعنى: آية شهادة هي أصدق

١. الميزان ٧/٣٦.

٢. الميزان ٧/٣٧.

الشهادات، فالمستفهم عنه بـ ﴿أَيُّ﴾ فرد من أفراد الشهادات يطلب علم أنه أصدق أفراد جنسه»^١.

والشهادة هي تحمّل واقعة وخبر عن حسٍّ ثم أدائه بالإخبار والإنباء إلى الغير «وإذا كان التحمّل والأداء - وخاصة التحمّل - مما يختلف بحسب إدراك المتحمّلين وبحسب وضوح الخبر الذي تحمّله المتحمّل، وبحسب قوة المؤدي بياناً وضعفه اختلافاً فاحشاً»^٢.

﴿قُل﴾ جواب للسؤال.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، ومعلوم أنّ ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿أَكْبَرُ شَهَدَةً﴾ من كلِّ ﴿شَيْءٍ﴾ لأنه تعالى خالق كلِّ شيءٍ وربُّ كلِّ شيءٍ ومحيطٌ بكلِّ شيءٍ.

﴿شَهِدْتُ﴾ خبر. والمراد به أنه ﴿رَبُّكَ﴾ ﴿شَهِدْتُ﴾ على الرسالة المحمّدية والنبوة الأحمديّة كما يظهر من الظرف الآتي.

﴿بَيْنِي﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ معطوف على ﴿بَيْنِي﴾، أي أنه تعالى يتوسّط بين الطرفين وهما مدعي النبوة ومنكريها ويشهد الله بنبوته بإعجاز القرآن الكريم والتحدي به.

﴿و﴾ عطف تفسير.

﴿أَوْحَى﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول، وحُذِفَ فاعله تعظيماً وتكريماً وإجلالاً.

﴿إِلَيَّ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿أَوْحَى﴾. ﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، نائب فاعل.

﴿الْقُرْآنُ﴾ بدل من ﴿هَذَا﴾ وبيان منه. ﴿لِ﴾ تعليلية.

﴿أُنذِرْكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿لِ﴾ التعليل وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به، «وجعل الإنذار غاية لنزول القرآن الكريم أخذ

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٤٥.

٢. الميزان ٧/ ٣٧.

بمسلك الخوف في الدعوة النبوية، وهو الأوقع في أفهام عامة الناس^١.
﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنذِرْكُمْ﴾، والضمير يرجع إلى القرآن.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، معطوف على ضمير ﴿كُمْ﴾.
﴿بَلَّغَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الْقُرْآنُ﴾. أي ﴿مَنْ﴾
بلغه القرآن على مدى القرون والأعصار.

﴿أَنَّ﴾ استفهام إنكاري. ﴿يَتَّكِمَ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
﴿لَ﴾ مزحلقة، تأكيد. ﴿تَشْهَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي تدعون.
﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿مَعَ﴾ ظرف للمصاحبة.
﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَالِهَةً﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾.
﴿أُخْرَى﴾ نعت. ﴿قُلْ﴾ جواب للاستفهام.
﴿لَا أَشْهَدُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «أنا».
﴿قُلْ﴾ بيان لـ ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ وتأكيد له.
﴿إِنَّمَا﴾ كافة، مكفوفة، تدل على الحصر.
﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾ تعالى. ﴿إِلَهُ﴾ خبر. ﴿وَاحِدٌ﴾ تأكيد.
﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها قطع للمجادلة معهم على طريق التبري.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل ونون الوقاية واسمه. ﴿بَرِيءٌ﴾ خبر ﴿إِنِّي﴾.
﴿مَّا﴾ مركبة من كلمتي «من» حرف جر و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق
بـ ﴿بَرِيءٌ﴾. ويمكن أن يكون «ما» مصدرية أي من إشراككم والأول أظهر.
﴿تُشْرِكُونَ﴾ فعل مضارع فاعله.
وحاصل الآية: إقامة البرهان على التوحيد والنبوة.

شأن نزولها

قال القمي: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ أُمِّي شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وذلك أن مشركي أهل مكة قالوا: يا محمد! ما وجد الله رسولا يرسله غيرك؟ ما نرى أحداً يُصدّقك بالذي تقول! وذلك في أول ما دعاهم وهو يومئذ بمكة، قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك ذكر عندهم، فأتنا من يشهد أنك رسول الله! قال رسول الله ﷺ: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية. ١

الروايات

معتبرة عمران الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ قال: بكلّ لسان. ٢
ورواها الصدوق في علل الشرائع. ٣
حسنة مالك الجهني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾؟ قال: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد ينذر بالقرآن، كما ينذر به رسول الله ﷺ. ٤
ورواها أيضاً الكليني^٥ بسند آخر ونحوها في تفسير العياشي^٦ عن أبي خالد الكابلي وكما رواها محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات^٧ والشيخ الحسن بن سليمان الحلبي في مختصر البصائر^٨

١. تفسير القمي ١/ ٢٨٥، ح ٤.

٢. بصائر الدرجات ١/ ٤٠٢، ح ٢.

٣. علل الشرائع / ١٢٥، ح ٣.

٤. الكافي ٢/ ٣٩٣، ح ٦١ (١/ ٤٢٤).

٥. الكافي ٢/ ٣٧٢، ح ٢١ (١/ ٤١٦).

٦. تفسير العياشي ٢/ ٩٣، ح ١٣.

٧. بصائر الدرجات ٢/ ٩٠٨، ح ١٨.

٨. مختصر البصائر / ١٩٦، ح ١٧.

لسعد بن عبدالله الأشعري القمي.

عن زرارة وحران، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ يعني الأئمة من بعده، وهم يُنذرون به الناس. ١
عن عبدالله بن بكير، عن محمد، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿لَأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾، قال: علي عليه السلام ممن بلغ. ٢

معتبرة محمد بن عيسى بن عبيد قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله تعالى شيء هو أم لا؟ قال فقلت له: قد أثبت الله تعالى نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ سَهْدَةً قُلِ اللَّهُ سَهيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، إذ في نفي الشئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال لي الرضا عليه السلام: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه. ٣

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

ردّ على أهل الكتاب المنكرين لنبوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإخبار عمّا شهد به الله سبحانه في الكتب السماوية المنزلة على أهل الكتاب.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

١. تفسير العياشي ٩٢/٢، ح ١٢.

٢. تفسير العياشي ٩٢/٢، ح ١٤.

٣. التوحيد/ ١٠٧، ح ٨.

﴿آتَيْنَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أول، وحرّك الميم لإلتقاء الساكنين، والضمير المفعولي يرجع إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى لكن لا جميعهم بل علماءهم.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ثان، والمراد به جنس ﴿الْكِتَابِ﴾ ليشمل التوراة والإنجيل.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به، خبر، والضمير المفعولي عائد إلى الرسول الأعظم ﷺ الذي مرّ ذكره في الآية السابقة من دون تصريح. وقيل^١: عائد إلى ﴿الْقُرْآنُ﴾ المذكورة في الآية السابقة.

﴿كَ﴾ حرف جر، للتشبيه بين المعرفتين، ووجه الشبه هو القطع والعلم والجزم. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿كَمَا﴾ جار ومجرور متعلّق بمفعول مطلق محذوف وتقديره: يعرفون معرفة كمعرفتهم ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، بل «الذين عرفوا التوراة والإنجيل فعرفوا صحة نبوة محمد ﷺ بما كانوا عرفوه من صفاته المذكورة، ودلائله الموجودة في هذين الكتابين كما عرفوا أبناءهم في أنها صحيحة لا مرية فيها ولم يرد أنهم عرفوا بنبوته اضطراراً، كما عرفوا أبناءهم ضرورة على أن أحداً لا يعرف أن من ولد على فراشه ابنه على الحقيقة، لأنه يجوز ان يكون من غيره، وان حكم بأنه ولده لكونه مولوداً على فراشه، فصار معرفتهم بالنبي ﷺ أكد من معرفتهم بأبنائهم لهذا المعنى»^٢.

﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ. بيان آخر لهم أو استئناف لزيادة إيضاح كفرهم وتصلّبهم عليه.

١. والقائل هو ابن عاشور في تفسيره ٤٩/٦.

٢. التبيان ٩٥/٤.

﴿حَسِرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿الَّذِينَ حَسِرُوا﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ
الْكِتَابَ﴾.

﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، «وخسران النفس هو خسران مصدر كلِّ
كمال، وفقد منيع كلِّ خير، فيكون سبباً لكلِّ فساد، والعلة للعناد واللجاج والاستكبار
على الحق، فيكون الخسران من أعظم آفات النفس التي توجب البُعد عن رحمة الله
تعالى، والابتعاد عن كسب ما يوجب الكمال، والاتِّجاه إلى رذائل الأخلاق، فيكون من
أكبر الظلم الذي يظلمه على النفس، فقد حرّم الذين خسروا أنفسهم خير الدُّنيا ونعيم
الآخرة»^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط لأنَّ ﴿الَّذِينَ﴾ يتضمن معنى الشرط.

﴿هُمَّ﴾ مبتدأ. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خير، ﴿هُمَّ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ﴾.
وخسران النفس علة لعدم الإيمان والكفر. «ومن جعل نفسه بحيث لا ينتفع بها فقد
خسر نفسه»^٢.

رواية

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لما ولد النبي صلى الله عليه وآله جاء رجل من
أهل الكتاب إلى مَلٍّ من قريش فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة والعاص بن
هشام وأبو جزة بن أبي عمرو بن أمية وعتبة بن ربيعة، فقال: أ ولد فيكم مولود
الليلة؟ فقالوا: لا، قال: فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد به شامة كلون الخنزير
الأدكن، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه، قد أخطأكم والله يا معشر
قريش.

١. مواهب الرحمن ١٣/١٤٥.

٢. التبيان ٤/٩٦.

فتفرّقوا وسألوا فأخبروا أنّه ولد لعبدالله بن عبدالمطلب غلام، فطلبوا الرّجل فلقوه، فقالوا: إنّه قد ولد فينا والله غلام، قال: قبل أن أقول لكم، أو بعد ما قلت لكم؟ قالوا: قبل أن تقول لنا، قال: فانطلقوا بنا إليه حتّى ننظر إليه.

فانطلقوا حتّى أتوا أمّه، فقالوا: أخرجني ابنك حتّى ننظر إليه، فقالت: إنّ ابني والله لقد سقط، وما سقط كما يسقط الصبيان، لقد اتقى الأرض بيديه، ورفع رأسه إلى السماء، فنظر إليها، ثمّ خرج منه نور حتّى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً في الجوّ يقول: لقد ولدته سيّد الأّمّة، فإذا وضعتيه، فقولي: أعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد، وسمّيه محمّداً.

قال الرّجل: فأخرجيه، فأخرجته فنظر إليه، ثمّ قلبه، ونظر إلى الشّامة بين كفيه، فخرّ مغشياً عليه، فأخذوا الغلام، فأدخلوه إلى أمّه، وقالوا: بارك الله لك فيه، فلمّا خرجوا أفاق، فقالوا له: ما لك ويلك؟ قال: ذهب نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله من يبهرهم.

ففرحت قريش بذلك، فلمّا رأهم قد فرحوا، قال: قد فرحتم، أما والله ليسطونّ بكم سطوةً يتحدّث بها أهل المشرق والغرب، وكان أبوسفیان يقول: يسطو بمصره؟!!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ﴾

ذكر مظالم المشركين في بعض الأصول العقائدية وهي التوحيد والنبوة والمعاد،

وفي هذه الآية بالنسبة إلى التوحيد و «أخبر الله تعالى ان من أفترى على الله الكذب فوصفه بخلاف ما أخبر به عن نفسه وعن أفعاله، أنه لا أحد أظلم لنفسه منه إذ كان بهذا الفعل قد أهلك نفسه وأوقعها في العذاب الدائم في النار»^١.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطْفٌ عَلَى ﴿الَّذِينَ حَسَبُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فِي آخِرِ الْآيَةِ

السابقة.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿أَظْلَمُ﴾ خبر، الظلم: ضد العدل وهو «من أشنع الذنوب بل التحليل الدقيق يقضي أن سائر الذنوب إنما هي شنيعة مذمومة بمقدار ما فيها من معنى الظلم»^٢. و «يختلف حاله بالكبر والصغر من جهة من وقع عليه الظلم أو أريد إيقاعه عليه فكلما جل موقعه وعظم شأنه كان الظلم أكبر وأعظم، ولا أعز قدراً وأكرم ساحة من الله سبحانه ولا من آياته الدالة عليه، فلا أظلم ممن ظلم هذه الساحة المنزهة أو ما يتسبب إليها بوجه، ولا يظلم إلا نفسه»^٣.

﴿مِمَّنْ﴾ مكونة من «مِنْ» حرف جر و «مَنْ» اسم موصول في محل جر لآته مبني

على السكون والحركة الالتقاء الساكنين، متعلق بـ ﴿أَظْلَمُ﴾.

﴿أَفْتَرَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى «مَنْ». الافتراء:

الكذب المتعمد.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَفْتَرَى﴾. و ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ يتم «بإثبات

الشريك له، ولا شريك له، أو دعوى النبوة أو نسبة حكم إليه كذباً وابتداعاً، وأما تكذيب آياته الدالة عليه فكتكذيب النبي الصادق في دعواه المقارنة للآيات الإلهية أو

١. التبيان ٤/ ٩٦.

٢. الميزان ٧/ ٤٤.

٣. الميزان ٧/ ٤٤.

إنكار الدين الحق، ومنه إنكار الصانع أصلاً^١.

﴿كَذِبًا﴾ مفعول مطلق. تأكيد للإفتراء والكذب أعم من الافتراء ولكن يمكن

حصول التأكيد بالأعم.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿كَذَّبَ﴾ فعل ماضٍ وفاعلُه ضمير مستتر «هو»، معطوف على ﴿أَفْتَرَى﴾.

والتكذيب كفرٌ.

﴿بِقَائِيَّتِهِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَذَّبَ﴾ وهي الآيات

الواضحات والبراهين الصادقات على ربوبية ذات الحق وتوحيده جل وعلا، وعلى

رسالة خاتم الأنبياء محمد، ووصاية وخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

له ﷺ وعلى وقوع المعاد الجسماني، وبالجملة على العقائد الحقّة.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد وتعليل وتذييل، «أي إذا تحققت أنهم

لا أظلم منهم فهم غير مفلحين»^٢ لـ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ﴾^٣ و ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ﴾^٤.

«وموقع «إن» يفيد معنى التعليل... وموقع ضمير الشأن معها أفاد الإهتمام

بهذا الخبر»^٥.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُفْلِحُ﴾ فعل مضارع. الفلاح والفوز والنجاح والظفر والسعادة ألفاظ قريبة

المعنى. والفلاح ضربان: دنيوي وأخروي.

١. الميزان ٧/ ٤٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٥٠.

٣. سورة يونس / ١٧.

٤. سورة المؤمنون / ١١٧.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٥٠.

﴿الظَّالِمُونَ﴾ فاعله. والجمله ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾. يعني «أن الظالم لا يفلح أي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه، ولا بالنجاة من النار، لان الظلم - هاهنا - هو الكفر بنبوته محمد ﷺ وذلك لا يغفر بلا خلاف»^١.
ويمكن أن يقال: أن المراد بالظلم هنا هو الشرك بالله العظيم كما يستفاد من الآية الآتية أوهما معاً ومع غيرهما والله العالم.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ

تَزْعُمُونَ﴾

بيان للآية السابقة التي دلت على أن الظالمين لا يفلحون و «ترهيب عظيم وتهويل لما يفعل بالظالمين يوم الحشر الأكبر»^٢.
﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على جملة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في الآية السابقة.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان وعامله محذوف تقديره «اذكر» والمقصود به التهويل والترهيب والإبهام أوقع في التهديد. والمراد به يوم القيامة.
﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به، والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾^٣ تعالى والمفعولي يرجع إلى ﴿الظَّالِمُونَ﴾^٤.
والحشر: هو الإحياء بعد الموت في يوم القيامة.

١. التبيان / ٤ / ٩٦.

٢. مواهب الرحمن / ١٣ / ١٥٢.

٣. سورة الأنعام / ٢١.

٤. سورة الأنعام / ٢١.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿هُم﴾. تأكيد على حشر جميع الظالمين من منكري ربوبية الله ورسالة نبي الله ﷺ وإمامة ولي الله.
﴿ثُمَّ﴾ عاطفة، للترتيب. ﴿نَقُولُ﴾ معطوف على ﴿نَحْشُرُ﴾.
﴿لِلَّذِينَ﴾ جار واسم موصول في محل جرّ، متعلق بـ ﴿نَقُولُ﴾.
﴿أَشْرَكُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿أَشْرَكُوا﴾ بالله وعبدوا معه إلهًا غيره. وما بعده مقول القول.

﴿أَيْنَ﴾ اسم استفهام، خبر مقدم، استفهامٌ توبيخي.
﴿شُرَكَاءُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى الظالمين المشركين. و «السؤال بـ ﴿أَيْنَ﴾ هنا عن الشركاء المزعومين وهم حاضرون كما دلّت عليه آيات أخرى. قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ١.

والاستفهام توبيخي عمّا كما المشركون يزعمونه من أنّها تشفع لهم عند الله، أو أنّها تنصرهم عند الحاجة، فلمّا رأوها لا غناء لها قيل لهم: أين شركاءكم، أي أين عملهم فكأنّهم غُيِبَ عنهم.

وأضيف الشركاء إلى ضمير المخاطبين إضافة اختصاص لأئهم الذين زعموا لهم الشركة مع الله في الإلهية فلم يكونوا شركاء إلا في اعتقاد المشركين، فلذلك قيل ﴿شُرَكَاءُكُمْ﴾ ٢.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت ووصف لـ ﴿شُرَكَاءُكُمْ﴾.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿تَزْعُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. وحذف مفعوليه وهما: «تزعمنهم شركاء»

١. سورة الصافات / ٢٢ و ٢٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٥٢.

٢٠٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السابع

الله». «وحذف المفعول الثاني لـ ﴿تَزَعُمُونَ﴾ ليعمَّ كل ما كانوا يزعمونه لهم من الإلهية والنصر والشفاعة؛ أمّا المفعول الأوّل فحذف على طريقة حذف عائد الصلة المنصوب. والزعم: ظنّ يميل إلى الكذب أو الخطأ أو لغرابته يتّهم صاحبه، فيقال: زعم، بمعنى أن عهدة الخبر عليه لا على الناقل»^١.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

«ذلك الموقف العظيم [في يوم الحشر] الذي رأو الحقائق، وارتفعت الدواعي، وبطلت الدعاوي، هي نفس المعذرة التي تعدّروا بها... فهم يتعدّرون بكل ما يتوهّمون، للتخلّص من العذاب الذي لزمهم من سوء اعتقادهم بالشركاء، وعظيم الأمل بها، وإعجابهم بكفرهم وافتخارهم به»^٢.

﴿ثُمَّ﴾ عطف على جملة ﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ في الآية السابقة.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾.

﴿فَتَنَّتُهُمْ﴾ اسم ﴿تَكُنْ﴾ ومضاف إليه. أصل الفتنة: الاختبار وله معان أخرى كالعذاب والبلية والمصيبة والكفر والإثم والمعذرة والحبّ والإعجاب ولكن الجميع أقرب إلى الدواعي من كونها معاني له.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿أَنْ﴾ مصدرية.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿أَنْ قَالُوا﴾ بتأويل مصدر خبر ﴿تَكُنْ﴾ أي ﴿لَمْ

تَكُنْ﴾ مصيبتهم واضطراب رأيهم بجهة الخوف من المحشر وكذبهم ﴿إِلَّا﴾ قولهم.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥٣/٦.

٢. مواهب الرحمن ١٣/١٥٤.

﴿وَ﴾ واو القسم وهي حرف جر بدل من الباء. ابتداء مقول القول.
 ﴿اللَّهِ﴾ مقسم به. مجرور. جار ومجرور متعلق بفعل القسم المحذوف.
 ﴿رَبِّنَا﴾ نعت لـ ﴿اللَّهِ﴾ أو بدل منه. ﴿مَا﴾ نافية.
 ﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿مُشْرِكِينَ﴾ خبر ﴿كُنَّا﴾.
 «والآية تشير إلى حقيقة واقعية وهي أن حقيقة افتتانهم بشركهم في الدنيا، تظهر في يوم القيامة حين يرون الحقائق، فيتبدل الحب إلى التبري، والانتفاء من الشرك. ومن ذلك يظهر الوجه في الحلف عن دعواهم، لما عاينوا هول ذلك اليوم، وتجلي الجبار لهم، ولطفه بالمؤمنين، فتاهوا وتحيروا فكذبوا وحلفوا في كلامهم»^١.

الروايات

خبر أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: بولاية علي عليه السلام.^٢
 خبر أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: يعنون بولاية علي عليه السلام.^٣
 عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن الله يعفو يوم القيامة عفواً لا يحطّر على بال أحدٍ، حتى يقول أهل الشرك: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.^٤
 الطبرسي قال: لم تكن معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام.^٥

١. مواهب الرحمن ١٣/١٥٥.
 ٢. تفسير القمي ١/٢٩٢، ح ٩.
 ٣. الكافي ١٥/٦٥١، ح ٤٣٢ (١/٢٨٧).
 ٤. تفسير العياشي ٢/٩٣، ح ١٥.
 ٥. مجمع البيان ٣/٢٨٤.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ^١ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

«بيان لمحل الاستشهاد فيما قص من حالهم يوم القيامة، والمراد أنهم سيكذبون على أنفسهم ويفقدون ما افتروا به، ولو أفلحوا في ظلمهم وسعدوا فيما طلبوا لم ينجر أمرهم إلى فقد ذلك وإنكاره على أنفسهم»^١.

﴿أَنْظُرْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ .

﴿كَيْفَ﴾ بيان لمجرد الحال غير دال على الاستفهام.

﴿كَذَبُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿كَذَبُوا﴾.

﴿لَأَتَّهِمُ لِمَا أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^٢ أَنْكُرُوا مَا ادَّعَاهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ شُرَكَاءَ، وَهُمْ كَانُوا يَصْرُونَ عَلَيْهِ وَيَعْرَضُونَ فِيهِ عَنْ كُلِّ حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَأَيَّةٍ بَيِّنَةٍ ظَلَمًا وَعَتْوًا، وَهَذَا كَذِبٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ضَلَّ﴾ فعل ماض، بمعنى غاب وتاه.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ضَلَّ﴾. ﴿مَا﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾. «لأنَّ اليوم يوم ينجلي فيه عياناً

أن الأمر والمملك والقوة لله جميعاً ليس لغيره من شيء إلا ذلة العبودية، والفقر والحاجة من غير أي استقلال قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

١. الميزان ٧/ ٤٩.

٢. سورة الأنعام / ٢٣.

٣. الميزان ٧/ ٤٩.

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ^١، وقال: ﴿لَمَنِ أَمْلِكُ الْيَوْمَ^٢ اللَّهُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^٢﴾
وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْفًا^٣ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ^٣﴾.

فيشاهدون عندئذ مشاهدة عيان أن الألوهية لله وحده لا شريك له، ويظهر لهم
أوثانهم وشركاؤهم وهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً لأنفسهم ولا لغيرهم، ووجدوا
الأوصاف التي أثبتوها لهم من الربوبية والشفاعة وغيرهما انها هي لله وحده، وقد كان
اشتبه عليهم الأمر فتوهموها لغيره ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^٤.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ^٥ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا^٥
وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا^٥ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا^٥ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ^٥ تُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا^٥ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ^٥﴾

«خاطب الله نبيه بهذه الآية بعد ما أمره أن يقول للمعاندين ما تقوم به الحجة
عليهم، وبعد أن تحدث عن أحوالهم يوم القيامة، والمعنى ان فريقاً من هؤلاء
الجاحدين يستمعون إلى النبي، وهو يتلو القرآن، ولكنهم لا ينتفعون به ولا بغيره من
الدلائل والبيانات، لأنهم صمموا منذ البداية على العناد والمكابرة، حتى أعمى هذا
التصميم عقولهم عن رؤية الحق، وأصم آذانهم عن سماعه»^٥.
﴿وَ﴾ عاطفة. عطفت على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٦.

١. سورة البقرة / ١٥٦.

٢. سورة المؤمن / ١٦.

٣. سورة الإنفطار / ١٩.

٤. الميزان / ٧ / ٤٩.

٥. التفسير الكاشف / ٣ / ١٧٦.

٦. سورة الأنعام / ٢٠.

﴿ مِنْهُمْ ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، «من» تبعيضية، والضمير عائد إلى المشركين الذين الحديث معهم وعنهم.

﴿ مَنْ ﴾ اسم موصول، مبتدأ مؤخر.

﴿ يَسْتَمِعُ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». الاستماع هو الإصغاء ويتعدى باللام وإلى. وتوحيد الضمير الفاعلي حملاً على لفظ ﴿ مَنْ ﴾.

﴿ إِلَيْكَ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يَسْتَمِعُ ﴾ والضمير الخطاب للرسول الأعظم ﷺ.

﴿ وَ ﴾ استثنائية.

﴿ جَعَلْنَا ﴾ فعل ماض وفاعله. أي ضربنا ووضعنا وألقينا. وإسناد الجعل إلى الله تعالى من باب المجازاة على عنادهم وليس ابتدائي «ولا ريب أن الجعل في المقام لن يصل إلى حدّ الإلجاء، بل هو حاصل من اعتقاداتهم الفاسدة وأعمالهم الشنيعة مما أدخلوا أنفسهم في غياهب الظلمات، وصيروا قلوبهم في حُجب كثيرة متعدّدة، كالعصبية الشنيعة، والإستكبار على الحقّ والتقليد الأعمى وغير ذلك»^١.

﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ جَعَلْنَا ﴾، والضمير يرجع إلى المشركين المعاندين وهم جماعة.

﴿ أَكِنَّةٌ ﴾ مفعول به. جمع كِنَان بمعنى الغطاء لأنّه يكنّ الشيء أي يستره. ويمنع من أن يفهموا.

﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ حرف مصدري ناصب وفعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى المشركين المعاندين والضمير المفعولي إلى القرآن الكريم المفهوم من قوله: ﴿ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾. «أن» المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر مفعول لأجله لفعل ﴿ جَعَلْنَا ﴾ أي كراهة ﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾.

والمراد بالفقه هنا معناه اللغوي وهو الفهم العميق.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿فِي آذَانِهِمْ وَقَرَأَ﴾ معطوف على ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾. الوقر: ثقل السمع والصمم

الشديد.

﴿وَ﴾ استثنائية. أو حالية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَرَوْنَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. فعل الشرط.

﴿كُلَّ﴾ مفعول به، مستعمل في الكثرة مجازاً لتعذر الحقيقة.

﴿آيَةٍ﴾ مضاف إليه. والمراد بها كل حجة ودليل.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع منفي مجزوم وفاعله. لأنه جواب الشرط.

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿حَتَّى﴾ ابتدائية لأن ما بعدها حكم كلام مستأنف.

﴿إِذَا﴾ شرطية ظرفية ومتعلق بـ ﴿يَقُولُ﴾.

﴿جَاءَوكَ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. شرط.

﴿تُجَادِلُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. حال من الضمير الفاعلي في

﴿جَاءَوكَ﴾ أي ﴿جَاءَوكَ﴾ مجادلين ومقدرين المجادلة معك.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع جواب ﴿إِذَا﴾. ﴿الَّذِينَ﴾ فاعله.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. «عدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿يَقُولُ

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لزيادة التسجيل عليهم بالكفر، وأتهم ما جاءوا طالبين الحق كما يدعون

ولكنهم قد دخلوا بالكفر وخرجوا به»^١. ومن المعلوم مقول قولهم هو كفر محض

«ولعل الإظهار للإشعار بالسبب في هذا الرمي وهو الكفر»^٢.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥٨/٦.

٢. الميزان ٥١/٧.

﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى «ما». ﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مبتدأ.

﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر.

﴿أَسْطِيرُ﴾ خبر، جمع أسطورة أي الشيء المسطور في الكتب ولا دليل على

صحته.

﴿الْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه. أي الماضين.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

بيان لفعل المشركين المعاندين فهم ينهون الناس عن اتباع الرسول وسماح القرآن ويعدون عنه وما جاء به.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في الآية

السابقة. أو حالية والجملة بعدها حال من الكافرين المذكورين في الكريمة السابقة.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. يرجع إلى المشركين المعاندين في عصر الرسالة أو في جميع

الأعصار.

﴿يَنْهَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر.

﴿عَنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَنْهَوْنَ﴾، والضمير يرجع إلى الرسول

الخاتم ﷺ أو القرآن المشار إليه باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ

الْأَوَّلِينَ﴾ في الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ معطوف على ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾. نأى عنه: بُعد وأعرض، النأي:

البعد ويتعدى بـ «عن» كما في الآية ﴿يَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾: يتباعدون الناس عنه وعن استماع

آيات القرآن.

وبين قوله: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ و﴿يَنْتَوِرُونَ﴾ صنعة الجناس القريب من علم البديع.
 «يَبِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنِ اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ، وَقَبُولِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِنُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَيَبْعُدُونَ عَنْهُ، لِأَنَّ مَعْنَى ﴿يَنْتَوِرُونَ﴾ يَبْعُدُونَ إِلَى حَيْثُ لَا يَسْمَعُونَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْإِيْمَانُ بِهِ وَالعِلْمُ بِصِحَّتِهِ»^١.

كانت سيرة المعاندين من الصدر الأوَّل إلى يومنا هذا « مع الرسول ﷺ
 المجادلة والمخاصمة، ومع القرآن إنَّه الأساطير والخرافات، ومع الآيات البينات
 الإعراض وعدم الإيْمَان، ومع النَّاسِ إِبْعَادَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَسَمَاعِهِ، وَقَدْ بِالْغَوَا فِي إِخْفَاءِهِ
 وَإِطْفَاءِ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى، فَكَانَ فِي فِعْلِهِمْ هَذَا بَيْنَ إِخْفَاءِ الْحَقِّ حَتَّى لَا يَقِفَ
 عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَبَيْنَ إِظْهَارِ غَايَةِ نَفُورِهِمْ، وَلَعَلَّهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ أُخِّرَ
 سَبْحَانَهُ النَّأْيَ عَنِ النَّهْيِ. وَالآيَةُ تَكْشِفُ عَنْ سُوءِ سَرِيرَتِهِمْ، وَنَوَايَاهُمْ السَّيِّئَةَ،
 وَأَفْعَالَهُمُ الشَّنِيعَةَ ضِدَّ الْحَقِّ، بِجَمِيعِ مَظَاهِرِهِ»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى «ما».

﴿يُهْلِكُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «أصل الهلاك الموت. ويطلق على المضرة
 الشديدة لأنَّ الشائع بين النَّاسِ أَنَّ المَوْتَ أَشَدُّ الضَّرِّ. فالمراد بالهلاك هنا ما يلحقه في
 الدنيا من القتل والمذلة عند نصر الإسلام وفي الآخرة من العذاب»^٣.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. حصر سبحانه بهذه الأفعال أنهم أهلكوا
 أنفسهم فقط والقصر عليه، «قصر القلب فإنهم كانوا يحسبون أنَّ النهي عنه والنأي عنه
 إهلاك له وإبطال الدعوة الإلهية، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فهم هم الهالكون من حيث

١. التبيان ٤/ ١٠٧.

٢. مواهب الرحمن ١٣/ ١٨٠.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٠.

لا يشعرون»^١.

بعبارة أخرى: «قصر إضافي يفيد قلب اعتقادهم لأنهم يظنون بالنهاي والنأي عن القرآن أنهم يضرّون النبي ﷺ لئلا يتبعوه ولا يتبعه الناس، وهم إنما يهلكون أنفسهم بدوامهم على الضلال وبتضليل الناس، فيحملون أوزارهم وأوزار الناس، وفي هذه الجملة تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وأن ما أرادوا به نكايته إنما يضرّون به أنفسهم»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يفيد «زيادة في تحقيق الخطأ في اعتقادهم، وإظهاراً لضعف عقولهم مع أنهم كانوا يعدّون أنفسهم قادة للناس، ولذلك فالوجه أن تكون الواو في قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ للعطف لا للحال ليفيد ذلك كون ما بعدها مقصوداً به الإخبار المستقل لأنّ الناس يعدّونهم أعظم عقلائهم»^٣.

ومن العجيب ما ورد في تفسير القمي: قال: بنوهاشم كانوا ينصرون رسول الله ﷺ ويمنعون قريشاً عنه ويصدّونهم ﴿وَيَنْفَرُونَ عَنْهُ﴾ أي يباعدون عنه، ويساعدونه ولا يؤمنون [به]!^٤.

١. الميزان ٧/ ٥٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٥٩.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٠.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٨٧.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِعَايَتِ رَبِّنَا
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

بيان لعاقبة إصرارهم على الكفر وجحودهم للعقائد الحقّة وإنكار آيات الله تعالى وبيان حالهم في يوم القيامة.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ شرطية.

﴿تَرَىٰ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاباً للنبي الخاتم ﷺ لوقوعه بعد تسليته في الآية السابقة ويشترك معه كل من يسمع أو يقرأ. ومفعول ﴿تَرَىٰ﴾ محذوف اختصاراً دلّ عليه ضمير ﴿وَقَفُوا﴾، أي ﴿لَوْ تَرَىٰ﴾ هم. ﴿إِذْ﴾ ظرفية زمانية متعلّقة بـ ﴿تَرَىٰ﴾، بمعنى «حين».

﴿وَقَفُوا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. جيء بصيغة الماضي لبيان قطعية وقوعه.

﴿عَلَىٰ النَّارِ﴾ جار ومجرور متعلّقة بـ ﴿وَقَفُوا﴾. والاستعلاء هنا مجازي معناه قوّة الاتصال بالمكان فلا تدلّ على أنّ وقوفهم ﴿عَلَىٰ النَّارِ﴾ كان من أعلاها. ﴿فَ﴾ عاطفة تفرعية، جزاء لتكذيبهم. ﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿يَنَّا﴾ حرف نداء والمنادى محذوف، ومستعمل في التحسّر. ﴿لَيْتَنَا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. يفيد التمنيّ.

﴿نُرَدُّ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «نحن»، خبر ﴿لَيْتَنَا﴾ في محلّ رفع ﴿نُرَدُّ﴾ بمعنى نرجع إلى الدنيا. ﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿نُكَذِّبُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة جواباً وجزاءً للتمني وفاعله ضمير مستتر «نحن» ويمكن أن تكون ﴿وَ﴾ حالية والجملة بعدها حال من ﴿نُرَدُّ﴾.

وَقُرِّأَ ﴿نُكذِبَ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿نُزِدُ﴾. فيكون من جملة ما تمنّوه.
﴿بِقَائِنْتِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿نُكذِبَ﴾.
﴿رَبِّنَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿نُكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمها ضمير مستتر «نحن» ونصبه لما مرّ في ﴿نُكذِبَ﴾. وقد قرأ بالرفع عطفاً على ﴿نُزِدُ﴾.
وابن عامر نصب ﴿نُكُونُ﴾ ورفع ﴿نُكذِبَ﴾ بالفرق بينهما والنصب جزاءً للتمنى وجواباً له والرفع للعطف.
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿نُكُونُ﴾.
«ويستفاد من الآية الكريمة، المثيرة للخوف في نفوس المشركين الكافرين أمور:
الأول: إظهار جلال رسوله ﷺ وعظيم منزلته، فقد كان المشركون في دار الدنيا قد بالغوا في أذيته، فهو يشرف في الآخرة عليهم، ويراهم في النار يلاقون جزاء أعمالهم وشركهم.
الثاني: وقوف المشركين على النار إلى تكون تحتهم، وحبسهم عليها ومعابنتهم لها، فإنّ هذه الحالة أدعى إلى الذلّة والمسكنة.
الثالث: عظيم حالهم، حيث إنّهم ينظرون إلى النار، فيعرفون مقدار عذابها بما لا يسع نطاق التعبير.
الرابع: تجسّم الأعمال، فإنّهم أرادوا من الكفر ستر الحقّ والتغطية عليه، فهاهم في دار الآخرة قد كشفت لهم النار حقيقتها، وظهرت أعمالهم الرديئة، وأنّ الذي كانوا يخفونه في الدنيا قد ظهر بالمعابنة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^١.

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾^١.

الخامس: تحقق وعد الله تعالى الذي كانوا يستهزئون به، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^٢.

السادس: إنَّ الأسلوب الذي احتوته الآية الكريمة يدلُّ على تحقق وقوعه، وإن كان الوقوف على النار، وما يترتب عليه في المستقبل، قد حكى في الآية بصيغة الماضي، كما تقدّم نظيره في الآيات السابقة. فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي يفيد الاعتبار وإزالة الشبهة والتوكيد^٣.

شأن نزولها

قال القمي: نزلت في بني أمية^٤.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

لَكَذِبُونَ﴾

تتمة الآية السابقة وبيان حال المشركين والكافرين المعاندين.
﴿بَلْ﴾ حرف إضراب. ﴿بَدَا﴾ فعل ماضٍ بمعنى ظهر.
﴿لَهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿بَدَا﴾. ﴿مَّا﴾ فاعل.

١. سورة الزمر / ٤٨.

٢. سورة الجاثية / ٣٣.

٣. مواهب الرحمن ١٣ / ١٨١.

٤. تفسير القمي ١ / ٢٨٧.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿تُخْفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾. ومفعوله محذوف

أي ﴿مَا كَانُوا تُخْفُونَ﴾ هـ.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُخْفُونَ﴾. المراد بـ ﴿قَبْلُ﴾ هو الدنيا فيكون

المعنى: ظهر لهؤلاء المشركين وحين ﴿وَقُفُوا عَلَى النَّارِ﴾ ﴿مَا كَانُوا تُخْفُونَ﴾ هـ في الدنيا من الأعمال الفاسدة والصفات الرذيلة و... .

والباعث للظهور هو الوقوف على النار ورؤيتها بأَمِّ العين كما في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^١.

﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة. ﴿لَوْ﴾ شرطية.

﴿رُدُّوْا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. والمراد الردُّ إلى الدنيا كما تمنَّوا. يعني:

لو أُجيبَت أُمْنِيَّتُهُمْ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿عَادُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿لِمَا﴾ حرف جر و«ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَادُوا﴾.

﴿يُهِوْا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله.

﴿عَنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُهِوْا﴾. من إنكار العقائد الحقّة وتكذيب آيات

الله والإتيان بفاسد الأعمال والعمل بمعاصي الله. «تذكير لفعل ما تقرر في نفوسهم من

الملكات الرذيلة في نشأة الدنيا فإن الذي بعثهم إلى تمني الرجوع إلى الدنيا والإيمان فيها

بآيات الله والدخول في جماعة المؤمنين إنما هو ظهور الحقِّ المتروك بجميع ما يستتبعه

من العذاب يوم القيامة، وهو من مقتضيات نشأة الآخرة المستلزمة لظهور الحقائق

الغيبية ظهور عيان.

ولو عادوا إلى الدنيا لزمهم حكم النشأة، وأسدلت عليهم حجب الغيب،

ورجعوا إلى اختيارهم، ومعه هوى النفس ووسوسة الشيطان وقرائح العباد والاستكبار والطغيان فعادوا إلى سابق شركهم وعنادهم مع الحق فإن الذي دعاهم وهم في الدنيا إلى مخالفة الحق والتكذيب بآيات الله تعالى هو على حاله مع فرض ردهم إلى الدنيا بعد البعث، فحكمه حكمه من غير فرق»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿لَ﴾ لام المزحلقة للتأكيد.

﴿كَذِبُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّهُمْ﴾. أي في قولهم ﴿وَلَا نُكذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢. و«جاء بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات، أي أن الكذب سجيّة لهم قد تطبّعوا عليها من الدنيا فلا عجب أن يتمنّوا الرجوع ليؤمنوا فلو رجعوا لعادوا لما كانوا عليه فإن الكذب سجيّتهم»^٣.

سؤال وجواب

سؤال: «كيف ينكرون، وقد شاهدوا الهول الأكبر، وعرضوا عليه، وتوسلوا للخلاص منه، وقطعوا عهداً على أنفسهم ان لا يعودوا إلى ما كانوا عليه.

جواب: انهم يعرفون جيداً ان الحساب والعذاب واقع لا محالة، ولكنهم يعرفون أيضاً أنهم لو أعلنوا الحق وخضعوا له لفاتتهم المغانم والمكاسب، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^٤»^٥.

دراية

قال القمي: ﴿بَلَّ بَدَا هُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: من عدواة

١. الميزان ٥٤ / ٧.

٢. سورة الأنعام / ٢٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٦٢.

٤. سورة النمل / ١٤.

٥. التفسير الكاشف ٣ / ١٧٩.

أمير المؤمنين عليه السلام ١.

روايتان

عن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا بُهُوا عَنْهُ» أتهم ملعونون في الأصل. ٢.

رُوي بحذف الإسناد عن جابر بن عبدالله عليه السلام، قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو خارج من الكوفة، فتبعته من ورائه حتى إذا صار إلى جبانة اليهود فوقف في وسطها، ونادى: «يا يهود، يا يهود» فأجابوه من جوف القبور: لبيك لبيك مطلع. يعنون بذلك يا سيدنا. قال: كيف ترون العذاب؟ فقالوا: بعصياننا لك كهارون، فنحن ومن عصاك في العذاب إلى يوم القيامة.

ثم صاح صيحة كادت السماوات ينقلبن، فوقع مغشياً على وجهي من هول ما رأيت. فلما أفقت رأيت أمير المؤمنين عليه السلام على سرير من ياقوتة حمراء، على رأسه إكليل من جوهر، وعليه حلل خضر وصفر، ووجهه كدائرة القمر، فقلت: يا سيدي، هذا ملك عظيم! قال: نعم يا جابر، إن ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود، وسلطاننا أعظم من سلطانه.

ثم رجعت، ودخلنا الكوفة، ودخلت خلفه إلى المسجد، فجعل يخطو خطوات وهو يقول: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً، فقلت: يا مولاي لمن تكلم، ولمن مخاطب وليس أرى أحداً!

فقال عليه السلام: يا جابر، كُشف لي عن برهوت فرأيت شينويه وحبيراً، وهما يعدبان في جوف تابوت، في برهوت، فنادياني: يا أبا الحسن، يا أمير المؤمنين، رُدنا إلى الدنيا نقر بفضلك، ونقر بالولاية لك. فقلت: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً.

١. تفسير القمي ١/ ٢٨٧.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٩٧، ح ١٩.

ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا بُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يا جابر، وما من أحدٍ خالفَ وصيِّي نبيِّ إلا حَشَره اللهُ أعمى يتككب في عَرَصات القيامة^١

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

«أخبر الله تعالى في هذه الآية عن الكفار الذين ذكرهم في الآية الأولى، وبين أنهم قالوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان والإقرار بالبعث والنشور وخوفهم من العقاب في خلافه، وحذرهم عذاب الآخرة والحشر والحساب على سبيل الإنكار لقوله والتكذيب له ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾^٢ وعنوا أنه لا حياة لنا في الآخرة على ما ذكرت، وإنما هي هذه حياتنا التي حينئذٍ حياها في الدنيا وأنا لسنا بمبعوثين إلى الآخرة بعد الموت»^٣. وقد حكى الله سبحانه إنكارهم الصريح وتكذيبهم ليوم القيامة والحشر وهذه هي مقالة الدهريين إلى يومنا هذا.

﴿وَ﴾ «يجوز أن يكون عطفاً على قوله ﴿لَعَادُوا لِمَا بُهُوا عَنْهُ﴾؛ فيكون جواب ﴿لَوْ﴾، أي لو ردوا لكذبوا بالقرآن أيضاً، ولكذبوا بالبعث كما كانوا مدّة الحياة الأولى. ويجوز أن تكون الجملة عطفت على جملة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^٥ ويكون ما بين الجملتين اعتراضاً يتعلّق بالتكذيب للقرآن»^٦. ويجوز أن يكون استثناءً «ليبين شأن آخر من شؤون الكفار المكذّبين بآيات الله ﷻ وغرورهم بالدُّنيا

١. تأويل الآيات الباهرة ١/١٦٣، ح ٢.

٢. سورة الجاثية / ٢٤.

٣. التبيان / ٤ / ١١٣.

٤. سورة الأنعام / ٢٨.

٥. سورة الأنعام / ٢٥.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٦٣.

والافتتان بمتاعها، وإنكار البعث والجزاء، فالآية الكريمة تبين ذلك صريحاً^١.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. حكاية إنكارهم وكفرهم. ﴿إِنْ﴾ نافية للجنس.
 ﴿هِيَ﴾ مبتدأ أو اسم ﴿إِنْ﴾. إبهام الضمير «يفسره ما بعد الاستثناء المفرغ». قصد
 من إبهامه الإيجاز اعتماداً على مفسره، والضمير لما كان مفسراً بنكرة فهو في حكم
 النكرة، وليس هو ضمير قصة وشأن، لأنه لا يستقيم معه معنى الاستثناء، والمعنى إن
 الحياة لنا إلا حياتنا الدنيا، أي انحصر جنس حياتنا في حياتنا الدنيا فلا حياة لنا غيرها
 فبطلت حياة بعد الموت^٢. ف «الضمير المنفصل ﴿هِيَ﴾ يرجع إلى الحياة الدنيا، ولا
 بأس بالرجوع إلى المتأخر لفظاً ومعنى، أي ما الحياة إلا الحياة الدنيا فلا حياة بعدها^٣.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر.

﴿حَيَاتُنَا﴾ خبر أو خبر ﴿إِنْ﴾ وفي حكم البدل من الضمير ﴿هِيَ﴾.

﴿الدُّنْيَا﴾ نعت لـ ﴿حَيَاتُنَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ نافية عطفت على ﴿إِنْ﴾. ﴿حَنْ﴾ مبتدأ.

﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ جار ومجرور، خبر. «نفي للبعث، وهو يستلزم تأكيد نفي الحياة
 غير حياة الدنيا، لأنّ البعث لا يكون إلا مع حياة. وإنّما عطفت ولم تفصل فتكون
 مؤكدة للجمله قبلها لأنّ قصدهم إبطال قول الرسول ﷺ أنّهم يحيون حياة ثانية،
 وقوله تارة أنّهم مبعوثون بعد الموت، فقصدوا إبطال كلّ باستقلاله^٤».

١. مواهب الرحمن ١٣/١٨٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٦٣.

٣. مواهب الرحمن ١٣/١٨٨.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٦٣.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾

جواب عن مقالة الدهرين في الآية السابقة الذين انكروا البعث والنشور فذكر الله أحوالهم في يوم البعث وردّ عليهم بأحسن أسلوب وبيّن بأنّ جزاء هذا الاعتقاد الفاسد هو الوقوف على ربهم وظهور الحقّ لهم ومعاينة الحقيقة بأُم أعيانهم «فلا يسع لهم الإنكار حينئذٍ، فيصدّقون ما جحدوه، ويعترفون بما أنكروه من البعث والجزاء، ويقرّون بأنّه ليست الحياة مقتصرة على الدُّنيا، فإنّ هناك حياة أُخرى يبعثون فيها ويلقون جزاءهم من ربهم»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية وما بعدها تفسير للبعث بقاء الله وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾^٢.
﴿لَوْ﴾ شرطية.

﴿تَرَىٰ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ ولعلّ يشترك معه كلّ من يسمع أو يقرأ كما مرّ في الآية السابعة والعشرين من سورة الأنعام آنفاً.
﴿إِذْ﴾ ظرفية زمانية، بمعنى «حين».

﴿وَقُفُّوا﴾ فعل ماضٍ مجهول ونائب فاعله. لبيان قطع وقوعه. والوقوف يُراد به الاطلاع على الشيء.

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿وَقُفُّوا﴾ و «تمثيل لحضورهم المحشر عند البعث. شبّهت حالهم في الحضور للحساب بحال عبد جنى فقبض عليه

١. مواهب الرحمن ١٣/١٨٩.

٢. سورة الأنعام / ٣١.

فوقف بين يدي ربّه. وبذلك تظهر مزية التعبير بلفظ ﴿رَبِّهِمْ﴾ دون اسم الجلالة^١. فالوقوف ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ بمعنى معاينة آثار قهره وحكومته وسلطته وقيادته لا مشاهدته ورؤيته تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾ وما بعده مقول القول.

﴿أ﴾ حرف استفهام للتقرير والتقريع والتوبيخ. ﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿هَذَا﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾، إشارة إلى البعث الذي عانيوه وشاهدوه وانكروه في الدنيا ﴿وَقَالُوا﴾ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور خبر ﴿لَيْسَ﴾. والباء حرف زائد جاء للتأكيد في التقريع والتوبيخ. أي ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث كائناً موجوداً مشاهداً حقاً.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله وهم المكذّبين الكافرين بالبعث. ﴿بَلَىٰ﴾ حرف جواب يُبطل النفي فهو إقرار بوقوع البعث، أي ﴿بَلَىٰ﴾ هو حقّ. ﴿وَ﴾ حرف القسم وجر.

﴿رَبَّنَا﴾ اسم مقسم به، مجرور ومضاف إليه. أكدوا جوابهم بالقسم تحقيقاً لاعترافهم للمعترف به أي نُقِرَّ ولا نشك فيه فلذلك نقسم عليه^٢. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله. فصل على طريقة المحاورات أي إذا كان الأمر كذلك....

﴿فَ﴾ تفرعية على كلامهم أو فاء فصحية أي إذا كان هذا الحقّ فذوقوا العذاب على كفركم بالبعث.

﴿ذُوقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، استعارة لإحساس ﴿الْعَذَابِ﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٣.

٢. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٤.

﴿الْعَذَابَ﴾ مفعول به. ﴿رِيًّا﴾ للسببية أو للمقابلة.
 ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿تَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. أي ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بسبب
 كفركم به وتكذيبكم وستركم له.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَىٰ
 مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٣١﴾

هذه الآية نتيجة الآيتين السابقتين من ترتب الخسران والعذاب على إنكار المعاد
 وتكذيب البعث والجزاء.
 ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.
 ﴿خَسِرَ﴾ فعل ماض. الخسران هو ضياع رأس مال التاجر. استعارة في حرمان
 خيرات الآخرة ونعيمها التي هي الحيوان.
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل، وقد حذف مفعول اختصاراً ووضوحاً وشمولاً
 وهو نعيم الآخرة كما مرَّ وجنتها.
 ﴿كَذَّبُوا﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾ ومضاف إليه. أي «بما وعد الله به
 من الثواب والعقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازاً»^١. أو أن لقاء الله يستتبع
 القرب والزلفَى ونعيم الآخرة.
 ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية وهي تفيد السببية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، أداة شرط غير جازمة.

﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماض مؤنث ومفعول به.

﴿الْسَّاعَةُ﴾ فاعل، عَلِمَ بالغلبة على ساعة البعث والحشر والقيامة.

﴿بَغْتَةً﴾ حال من ﴿الْسَّاعَةُ﴾ أي فجأة و «كُلُّ شَيْءٍ أَتَى فِجَاءً فَقَدْ بَغَتْ»^١.

«البغتة: مصدر بغته الأمر إذا نزل به فجأة من غير ترقّب ولا إعلام ولا ظهور

شبح أو نحوه»^٢.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. جواب ﴿إِذَا﴾.

﴿يَتَا﴾ نداء مقصود به التعجّب والتندّم والحسرة والتنبيه للمخاطبين.

﴿حَسَرْتَنَا﴾ منادى ومضاف إليه. الحسرة: الندم الشديد. وإضافة الحسرة يدلّ

على «تَحَسَّرَهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسِّرون والمتحسِّر عليهم»^٣.

﴿عَلَى﴾ حرف جر، داخلة على الأمر الذي كان سبباً في التحسّر.

﴿مَا﴾ موصولة، في محلّ جر. الجار والمجرور متعلّق بـ ﴿حَسَرْتَنَا﴾.

﴿فَرَطْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. فرط في الأمر: إذا تهاون بشيء ولم يحفظه،

﴿فَرَطْنَا﴾: أظعننا وقَدَّمنا.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿فَرَطْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الْسَّاعَةُ﴾.

والتفريط ﴿فِيهَا﴾ هو ترك الإيمان والعمل الصالح والاستعداد للموت وما بعده لأجل

نفع هذه ﴿الْسَّاعَةُ﴾ و «في» تعليلية. أو «في» للتعدية بتقدير مضاف إلى الضمير أي في

خيراتها. ويمكن ارجاع الضمير إلى الحياة الدنيا و «في» للظرفية.

﴿وَ﴾ حالية والجمله بعدها حال. ﴿هُمَّ﴾ مبتدأ.

١. التبيان ٤/ ١١٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٦.

﴿تَحْمِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الأوزار: جمع وِزر وهو الحمل الثقيل

والمراد به الذنب والإثم.

﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَحْمِلُونَ﴾. مبالغة في

تمثيل الحالة، لأنَّ «الحمل على الظهر مؤذن بنهاية ثقل المحمول على الحامل»^١.

﴿أَلَا﴾ «حرف استفتاح يفيد التنبيه للعناية بالخبر»^٢.

﴿سَاءَ﴾ فعل ماض لإنشاء الذم. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: حَمَلُهُمْ.

﴿مَا﴾ موصولة، فاعل.

﴿يَزِرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ﴿مَا﴾ يحملونه من الذنوب والآثام.

روايتان

روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في هذه الآية قال:

يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون: ﴿يَحْسَرَتْنَا﴾^٣.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: تخففوا تلحقوا فإنها ينتظر بأولكم آخركم.^٤

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾

بيان لحقيقة الحياة الدنيوية وقياسها مع الحياة الأخروية وما يبني عليه الحياة

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٦٧.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٦٧.

٣. مجمع البيان ٣/٢٩٢.

٤. مجمع البيان ٣/٢٩٣.

الأخروية من تقوى الله في السر والعلن، و «بين الله تعالى في هذه الآية أن ما يتمتع به في الدنيا بمنزلة اللعب واللهو، اللذين لا عاقبة لهما في المنفعة ويقتضي زوالهما عن أهلها في أدنى مدة وأسرع زمان، لانه لا ثبات لهما ولا بقاء، فأما الأعمال الصالحات، فهي من أعمال الآخرة وليست بلهو ولا لعب. وبين أن الدار الآخرة وما فيها من أنواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصي الله، لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿الْحَيَوَةُ﴾ مبتدأ. ﴿الدُّنْيَا﴾ نعت.

﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر. و «القصر ادعائي يقصد به المبالغة، لأن الأعمال الحاصلة في الحياة كثيرة، منها اللهو واللعب، ومنها غيرهما، قال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^٢»^٣.

﴿لَعِبٌ﴾ خبر، قد مرّ منّا تعريف اللعب وانه «من الأفعال الاختيارية بحيث لا يكون بجهد، والغرض منه نفس الفعل ولا يقصد به مقصداً وإن كان يمكن أن يترتب عليه أمور اتفاقاً أو غالباً ولكن لا يُقصد، وهو الذي يُعبّر عنه في الفارسية بـ «سرگرمی» أو «بازی کردن»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهُوَ﴾ معطوف على ﴿لَعِبٌ﴾. وقد قلنا في تعريف اللهو أنه «من الأفعال الإختيارية للإنسان يشغله عما يعنيه ويهيمه، ويوجب ترويح نفسه ولذته، وهذان غايتان له. ولذا يُطلق على اللذائذ الشهوية أيضاً. وقد يُعبّر عنه بالفارسية بـ «كيف

١. التبيان ٤/ ١١٧.

٢. سورة الحديد / ٢٠.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٦٩.

٤. الآراء الفقهية - قسم المكاسب المحرمة - ٣/ ٩٤ للمؤلف.

كردن»^١.

والنسبة بينها عندي «عموم وخصوص مطلق، فإنَّ كلَّ لهُو لعبٌ ولكن ليس كلَّ لعب بلهُو.

ويؤيد ما ذكرناه ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أوَّل اللهُو لعبٌ وآخره حربٌ^٢»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لِ﴾ لام التأكيد.

﴿لِدَارٍ﴾ معطوف على ﴿الْحَيَاةِ﴾ مبتدأ. «الدار: محل إقامة الناس، وهي الأرض التي فيها بيوت الناس من بناء أو خيام أو قباب»^٤.

﴿الْآخِرَةُ﴾ نعت. يعني محل إقامة الناس الأخير الذي لا تحوّل بعده.

﴿حَيْرٌ﴾ خبر. «تفضيل على الدنيا باعتبار ما في الدنيا من نعيم عاجل زائل يلحق معظمه مؤاخذه وعذاب»^٥. «أطلق الخير ليشمل جميع ما يمكن تصويره فيه، فهي خير لدوامها وخلود منافعها، وخلوها عن المنغصات الدنيوية، وكونها مقصودة للعاقل، وتعددها واشتغالها على النعم الروحانية والمعنوية والمادية»^٦.

﴿لِلَّذِينَ﴾ حرف جر واسم موصول في محل جر، وهما متعلّق بـ ﴿حَيْرٌ﴾.

﴿يَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ينال خير الآخرة الذين ﴿يَتَّقُونَ﴾ ربهم في حياتهم الدنيوية على نحو الدوام والاستمرار ولا ينال بالكافرين المشركين الفاسقين.

﴿أُ﴾ استفهام توبيخي أو تحذيري. ﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿لَا﴾ نافية.

١. الآراء الفقهية - قسم المكاسب المحرمة - ٩٤ / ٣ للمؤلف.

٢. غرر الحكم، ح ٣١٣٢ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ١٠ / ٨١، ح ٢٢.

٣. الآراء الفقهية - قسم المكاسب المحرمة - ٩٤ / ٣ للمؤلف.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٧٠.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٧٠.

٦. مواهب الرحمن ١٣ / ٢٠٠.

﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يعيب الله سبحانه عليهم عدم تعقلهم في مختصات الدارين واوصافهما ونعيمهما ووقوع الخطاء منهم من تقديم الدنيا على الآخرة.

رواية

مرفوعة هشام بن الحكم عن موسى بن جعفر عليه السلام انه قال في حديث: ... يا هِشَامُ، ثُمَّ وَعَظَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَاؤُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. ١.

﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
بَيَّاتٍ اللَّهُ تَجْحَدُونَ﴾

«تسلية للنبي ﷺ عن هفوات المشركين في أمر دعوته، وتطبيب لنفسه بوعد النصر الحتمي، وبيان أن الدعوة الدينية إنما ظرفها الاختيار الإنساني فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فالقدرة والمشيئة الإلهية الحاتمتان لا تداخلان ذلك حتى تجبراهم على القبول، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ٢» ٣.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق للخبر الفعلي، و «هو في تحقيق الجملة الفعلية بمنزلة «إن» في تحقيق الجملة الاسمية» ٤.

﴿نَعَلِمُ﴾ فعل مضارع بمعنى الماضي وفاعله ضمير مستتر «نحن» يرجع إلى

١. الكافي ١/ ٣٢، ح ١٢ (١/ ١٤).

٢. سورة الأنعام / ٣٥.

٣. الميزان ٧/ ٦١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٧١.

«الله» تعالى.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه ضمير الشأن تأكيد.

﴿لَ﴾ المزحلقة، تأكيد.

﴿يَحْزُنُكَ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم. «الحزن: ألم يحدث في النفس من فقدان محبوب، أو امتناع مرغوب، أم حدوث مكروه، وحزنه وأحزنه بمعنى واحد، وقرأ بكلا الوجهين في الآية.

والآية تحكي حزن الرسول ﷺ من أقوالهم الشنيعة^١.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ﴿يَقُولُونَ﴾ بالكفر في الله ورسوله ﷺ.

وجملة ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾.

﴿فَ﴾ فيه ثلاثة وجوه: «يجوز أن تكون للتعليل، والمعلل محذوف دل عليه قوله: ﴿قَدْ نَعَلِمُ﴾، أي فلا تحزن فإنهم لا يكذبونك، أي لأنهم لا يكذبونك. ويجوز كونها للفصيحة، والتقدير: فإن كان يحزنك ذلك لأجل التكذيب فإنهم لا يكذبونك، فالله قد سلّى رسوله - عليه الصلاة والسلام - بأن أخبره بأن المشركين لا يكذبونه ولكنهم أهل جحود ومكابرة. وكفى بذلك تسلية. ويجوز أن تكون للتفريع على ﴿قَدْ نَعَلِمُ﴾، أي فعلنا بذلك يتفرع عليه أنا نثبت فؤادك ونشرح صدرك بإعلامك أنهم لا يكذبونك، وإن نذكرك بسنة الرسل من قبلك، ونذكرك بأن العاقبة هي نصرنا كما سبق في علم الله^٢.

﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُكذِّبُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. خبر ﴿إِنَّهُمْ﴾. قرأ بسكون

١. مواهب الرحمن ١٣/ ٢٢٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٧١.

الكاف وتخفيف الذال وهو المروي عن علي عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام.^١ يعني يقرؤونه من باب الإفعال دون التفعيل. «وقد قال بعض أئمة اللغة إنَّ أكذب وكذب بمعنى واحد أي نسبه إلى الكذب»^٢. وضائير الغيبة ترجع إلى «الَّذِينَ كَفَرُوا»^٣ وضمير الخطاب إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَكِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، استدراك.

﴿الظَّالِمِينَ﴾ اسم ﴿لَكِنَّ﴾. عدل إلى اسم الظاهر «للدلالة على أن الجحد منهم إنما هو عن ظلم منهم لا عن قصور وجهل»^٤.

﴿بَيَّاتِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَجَحَّدُونَ﴾. و «وقع الالتفات في الكلام من التكلم إلى الغيبة فقليل: ﴿بَيَّاتِ اللَّهِ﴾ ولم يقل: بآياتنا، للدلالة على أن ذلك منهم معارضة مع مقام الألوهية واستعلاء عليه وهو المقام الذي لا يقوم له شيء»^٥.

﴿تَجَحَّدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَكِنَّ﴾. «الجحد هو نفي ما في القلب ثباته أو بالعكس، يتعدى بنفسه أو بالباء. وقال الراغب: إنَّ الباء هنا لتضمينه معنى التكذيب، والتقديم للقصر»^٦.

الروايات

في خبر عبد الحميد بن أبي الديلم: ... فذكر من فضل وصيِّه ذكراً، فوقع النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وما يقولون، فقال الله جلَّ ذكره: يا محمد،

١. كما في التبيان ٤/ ١١٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٧٣.

٣. سورة الأنعام / ١.

٤. الميزان ٧/ ٦٢.

٥. الميزان ٧/ ٦٢.

٦. مواهب الرحمن ١٣/ ٢٢٧.

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾^١، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ
بِقَائِبَتِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ﴾ لكنهم يجحدون بغير حجة لهم.^٢

خبر عمران بن ميثم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام:
قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِقَائِبَتِ اللَّهِ
تَجَحَّدُونَ﴾ فقال: بلى والله لقد كذبوه أشدَّ التكذيب، ولكنها مخففة «لا يكذبونك»: لا
يأتون بباطل يكذبون به حقا.^٣

رواه العياشي في تفسيره.^٤

عن الحسين بن المنذر، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾،
قال: لا يستطيعون إبطال قولك.^٥

روى سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي أبا جهل
فصافحه أبو جهل فقيل له في ذلك فقال: والله اني لأعلم أنّه صادق ولكنّا متى كنّا تبعاً
لعبد مناف فأنزل الله هذه الآية.^٦

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿

تكريم وتهوين وتتمة تسلية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتصريح بأنه كسائر أنبياء الله

١. سورة الحجر / ٩٧.

٢. الكافي ٢/ ٢٤، ح ٣ (٢٩٤/١).

٣. الكافي ١٥/ ٤٦٧، ح ٢٤٢ (٢٠٠/٨).

٤. تفسير العياشي ٢/ ٩٧، ح ٢٠.

٥. تفسير العياشي ٢/ ٩٧، ح ٢١.

٦. مجمع البيان ٣/ ٢٩٤.

في تكذيب أقوامهم لهم ولأنهم يعاودن على تكذيب المرسلين. كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^١ وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في الآية السابقة. أو حالة حال من كلام محذوف قبل الفاء أي فلا تحزن أو إن أحزنك ذلك ﴿فَأَيُّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ والحال ﴿لَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

﴿لَ﴾ الابتداء أو القسم، تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، تأكيد آخر.

﴿كُذِّبَتْ﴾ فعل ماض مؤنث مبني للمجهول، لمسايرة لفظ نائب الفاعل لا

معناه.

﴿رُسُلٌ﴾ نائب فاعله.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. «وصف كاشف لـ ﴿رُسُلٌ﴾ جيء به

لتقرير معنى التأمي بأن ذلك سنة الرسل»^٣.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿صَبَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. إرشاد له ﷺ إلى الاقتداء بالأنبياء في الصبر

على التكذيب والأذى.

﴿عَلَى﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ مصدرية، جار ومجرور متعلق بـ ﴿صَبَرُوا﴾.

﴿كُذِّبُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. أي ﴿صَبَرُوا عَلَى﴾

التكذيب.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَوْذُوا﴾ معطوفة على ﴿كُذِّبُوا﴾ ومفرده: «أوذى».

١. سورة فاطر / ٤.

٢. سورة الحج / ٤٢.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٧٥.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وابتداء بمعنى: إلى أن. ﴿أَتْنُهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به.
 ﴿نَصْرُنَا﴾ فاعل ومضاف إليه. بيان غاية صبرهم ووقوع النصر بعد انتظاره وفي
 إضافة النصر إلى ضمير «نا» إشارة إلى الوعد الإلهي بالنصر واعتنائه تعالى بشأنه.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على ﴿أَتْنُهُمْ نَصْرُنَا﴾.

﴿لَا﴾ نافية للجنس تعمل عمل «إِنَّ».

﴿مُبَدِّلَ﴾ اسم لا، أي لا تبديل لأنه لا يكون إلا بمبدل. ﴿إِ﴾ حرف جر.

﴿كَلِمَتٍ﴾ مجروره. والمراد بها أمور لا تقبل التبديل والبدا وهي «خارجة عن
 لوح المحو والإثبات، فكلمة الله وقوله وكذا وعده في عرف القرآن هو القضاء الحتم
 الذي لا مطمع في تغييره وتبديله»^١ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
 الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾^٢ وقال ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^٣
 وقال سبحانه ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾^٤ وقال عز من قائل: ﴿لَا تَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾^٥.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة، على قوله: ﴿لَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

﴿لَقَدْ﴾ أعربت. ﴿جَاءَكَ﴾ فعل ماض ومفعول به.

﴿مِن﴾ حرف جر، تبعيض.

﴿نَبَأٍ﴾ مجروره، فاعل ﴿جَاءَكَ﴾ في محل رفع على قول الأخفش من زيادة
 حرف جر «من» أو ﴿مِن نَّبَأٍ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة للفاعل نابت منابه أو
 متعلق بمحذوف حال من الفاعل المستتر في ﴿جَاءَكَ﴾. النبأ: الخبر عن أمر عظيم.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ مضاف إليه. والجملة: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَأٍ الْمُرْسَلِينَ﴾

١. الميزان ٦٣/٧.

٢. سورة الصافات / ١٧١ و ١٧٢.

٣. سورة المجادلة / ٢١.

٤. سورة يونس / ٥٥.

٥. سورة الزمر / ٢٠.

تأكيد مكرر على اتیان النصر بعد الصبر ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^١.

روايتان

- معتبرة حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حفص، إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً، ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك، فإن الله تعالى بعث محمداً عليه السلام وأمره بالصبر والرفق، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^{٣.٢}

خبر علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، وقد قلتُ له: يا بن رسول الله، أخبرني من تُقبَلُ شهادته ومن لا تُقبَلُ شهادته. فقال: يا علقمة، كُلُّ من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته.

قال: فقلتُ له: تُقبَلُ شهادة المُقْتَرِفِ لِلذُّنُوبِ؟ فقال: يا علقمة، لو لم تُقبَلِ شهادة المُقْتَرِفِينَ لِلذُّنُوبِ لَمَا قُبِلَتْ إِلَّا شَهَادَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُعْصُومُونَ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَمَنْ لَمْ تَرَهُ بِعَيْنِكَ يَرْتَكِبُ ذَنْبًا أَوْ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهِ بِذَلِكَ شَاهِدَانِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ وَالسُّتْرِ، وَشَهَادَتُهُ مَقْبُولَةٌ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مُذْنِبًا، وَمِنْ اغْتَابَهُ بِمَا فِيهِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ وِلَايَةِ اللَّهِ عز وجل دَاخِلٌ فِي وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ.

ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من اغتاب مؤمناً بما فيه، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه، فقد انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير.

قال علقمة: فقلتُ للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله، إن الناس يُنسَبوننا إلى عظام الأُمور، وقد ضاقت بذلك صُدُورنا. فقال عليه السلام: يا علقمة، إن رضا الناس لا يُملِكُ،

١. سورة الأحقاف / ٣٥.

٢. سورة المزمل / ١٠.

٣. تفسير القمي ١/ ٢٨٨، ح ٥.

وَأَلَسْتَهُمْ لَا تَضْبِطُ، فَكَيْفَ تَسْلَمُونَ مِمَّا لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ وَحُجَجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ أَلَمْ يَنْسُبُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى أَنَّهُ أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَغْنَمِ قَطِيفَةً حُمْرَاءَ؟ حَتَّى أَظْهَرَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى الْقَطِيفَةِ وَبَرَّأَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَنِ يَعْلَلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^١، أَلَمْ يَنْسُبُوهُ إِلَى أَنَّهُ ﷺ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى فِي ابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ حَتَّى كَذَّبَهُمُ اللَّهُ ﷻ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^٢ أَلَمْ يَنْسُوهُ إِلَى الْكُذْبِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ؟ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾^٣، وَلَقَدْ قَالَ يَوْمًا: عُرِجَ بِي الْبَارِحَةَ إِلَى السَّمَاءِ. فَقِيلَ: وَاللَّهِ مَا فَارَقَ فِرَاشَهُ طُولَ لَيْلَتِهِ.

وما قالوا في الأوصياء عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر من ذلك، أَلَمْ يَنْسُبُوا سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَالْمُلْكَ، وَأَنَّهُ كَانَ يُؤَثِّرُ الْفِتْنَةَ عَلَى السُّكُونِ، وَأَنَّهُ يَسْفِكُ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حِلِّهَا، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ مَا أَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِضَرْبِ عُنُقِهِ؟ أَلَمْ يَنْسُبُوهُ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَكَاهُ عَلَى الْمُنْبَرِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: إِنَّ عَلِيًّا يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ عَدُوِّ اللَّهِ عَلَى ابْنَةِ نَبِيِّ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ سَرَّهَا فَقَدْ سَرَّنِي، وَمَنْ غَاظَهَا فَقَدْ غَاظَنِي؟

ثُمَّ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عَلْقَمَةَ، مَا أَعْجَبَ أَقَاوِيلَ النَّاسِ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ! كَمْ بَيْنَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ رَبٌّ مَعْبُودٌ، وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ عَبْدٌ عَاصٍ لِلْمَعْبُودِ! وَلَقَدْ كَانَ قَوْلُ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلَى الْعَصِيَانِ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلَى الرَّبُوبِيَّةِ.

يَا عَلْقَمَةَ، أَلَمْ يَقُولُوا لِلَّهِ ﷻ: إِنَّهُ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ؟ أَلَمْ يَشَبَّهُوهُ بِخَلْقِهِ؟ أَلَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ

١. سورة آل عمران / ١٦١.

٢. سورة النجم / ٣ و ٤.

٣. سورة الأنعام / ٣٤.

الدهر؟ ألم يقولوا: إِنَّهُ الْفَلَكُ؟ ألم يقولوا: إِنَّهُ جِسْمٌ؟ ألم يقولوا: إِنَّهُ صُورَةٌ؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

يا عَلَقَمَةَ، إِنَّ الْأَلْسِنَةَ الَّتِي تَتَنَاوَلُ ذَاتَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِهَا لَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ، كَيْفَ تُحْبَسُ عَنِ تَنَاوُلِكُمْ بِهَا تَكْرَهُونَهُ! فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قُلْ لَهُمْ يَا مُوسَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذَابُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ٢١

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِغَايَةِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٥﴾

تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الكفار ما أتاهاهم به من الوحي الإلهي والقرآن الكريم.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...﴾ ٣.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمها ضمير مستتر «هو». «زيدت» ﴿كَانَ﴾ بعد

﴿إِنْ﴾ الشرطية بينها وبين ما هو فعل الشرط في المعنى ليبقى فعل الشرط على معنى

١. سورة الأعراف / ١٢٩.

٢. أمالي الصدوق، المجلس الثاني والعشرون، ح ٣ / ١٦٣، رقم ١٦٣.

٣. سورة الأنعام / ٣٣.

المضي فلا تُخَلِّصه ﴿إِنْ﴾ الشرطيَّةُ إلى الاستقبال، كما هو شأن أفعال الشروط بعد ﴿إِنْ﴾، فإنَّ ﴿كَانَ﴾ لقوَّة دلالة على المضي لا تقلبه أداة الشرط إلى الاستقبال^١.
 ﴿كَبُرَ﴾ فعل ماضٍ، فعل الشرط، بمعنى عظمت جثته «ثمَّ استعمل مجازاً في الأمور العظيمة الثقيلة لأنَّ عظم الجثَّة يستلزم الثقل، ثمَّ استعمل مجازاً في معنى (شق) لأنَّ الثقل يشقَّ حمله. فهو مجاز مرسل بلزومين^٢.
 ﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿كَبُرَ﴾. والضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ.
 ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه والمراد به الإعراض المذكور في قوله تعالى:
 ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^٣. والضمير يرجع إلى الكفار.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط وما بعدها جواب ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾.
 ﴿إِنْ﴾ شرطية، وهو شرط ثانٍ وقع جواباً للشرط الأوَّل.
 ﴿أَسْتَطَعْتَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، الاستطاعة: القدرة.
 ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.
 ﴿تَبَتَّغِي﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿أَنْ تَبَتَّغِي﴾ بتأويل مصدر مفعول به ﴿أَسْتَطَعْتَ﴾. الابتغاء: الطلب.
 ﴿نَفَقًا﴾ مفعول به ﴿تَبَتَّغِي﴾، النفق: سرب عميق وطريق نافذ.
 ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿نَفَقًا﴾ وصفة له أي عميقاً.
 ﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿سُلْمًا﴾ معطوف على ﴿نَفَقًا﴾. السُّلْم: المِرْقَاة والمِدْرَجَة.
 ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿سُلْمًا﴾ وصفة له. أي كائناً في السماء

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٧٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٧٧.

٣. سورة الأنعام / ٤.

وواصلًا إليها.

«وجواب الشرط في ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتَ﴾ محذوف اختصاراً لوجود دليل دل عليه واستغنى عنه بالشرط بمعنى: ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ...﴾ فافعل والجملة الشرطية ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتَ...﴾ مع ما فيها من شرط وجواب في محلّ جزم جواب الشرط «إِنْ» الأول وهو ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾^١.

﴿فَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿أَنْ تَتَّبِعِي﴾.

﴿تَأْتِيَهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به.

﴿بِأَيِّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾. «يعني ﴿بِأَيِّهِ﴾ تلجئهم إلى الإيـان وتجمعهم عليه وعلى ترك الكفر فافعل ذلك. وحذف فافعل لدلالة الكلام عليه، كما تقول: ان رأيت ان تقوم ومعناه فقم»^٢. «الشرط وجوابه مستعملان مجازاً في التأسيس من إيمانهم وإقناعهم»^٣.

ثم «المراد ﴿بِأَيِّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَاءُ﴾ الآية التي تضطرهم إلى الإيـان فإن الخطاب أعني قوله: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الخ، إنما أُلقي إلى النبي ﷺ من طريق القرآن الذي هو أفضل آية إلهية تدل على حقيقة دعوته، ويقرب إعجازه من فهمهم وهم بلغاء عقلاء فالمراد أنه لا ينبغي أن يكبر ويشق عليك إعراضهم فإن الدار دار الاختيار، والدعوة إلى الحق وقبولها جاريان على مجري الاختيار، وإنك لا تقدر على الحصول على آية توجب عليهم الإيـان وتلزمهم على ذلك فإن الله سبحانه لم يرد منهم الإيـان إلا على اختيار منهم فلم يخلق آية تجبر الناس على الإيـان والطاعة، ولو شاء الله لآمن الناس جميعاً فالتحق هؤلاء الكافرون بالمؤمنين بك فلا تبئس ولا تجزع

١. أعراب القرآن الكريم ٣/ ٢٥٩.

٢. التبيان ٤/ ١٢٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٧٩.

بأعراضهم»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، شرط امتناعي دلّ على أنّ الله لم يشأ ذلك.

﴿شَاءَ﴾ فعل ماضٍ، فعل الشرط.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. وحذف مفعوله وهو هدايتهم وإيمانهم.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿جَمَعَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

﴿عَلَىٰ آلِهِدَىٰ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَمَعَهُمْ﴾. ﴿وَدَ﴾ تفرّيع على ما سبق.

﴿لَا تَكُونَنَّ﴾ فعل نهي ناقص واسمه ضمير مستتر «أنت» ونون التأكيد الثقيلة.

﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ جار ومجرور في محلّ نصب خبر ﴿لَا تَكُونَنَّ﴾. الجهل ضد العلم

ولكن المراد به هنا ضد الحلم لعدم إمكان انتساب الأول إلى رسول الله ﷺ.

والمعنى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ حريصاً على إيمانهم. لأنّ الدنيا دار اختيار واختبار.

شأن نزولها

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ

إِعْرَاضُهُمْ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يحبّ إسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد

مناف، دعاه رسول الله ﷺ وجهد به أن يسلم، فغلب عليه الشقاء، فشقّ ذلك على

رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾^٢.

١. الميزان ٧/ ٦٤.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٩٠، ح ٦.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١﴾

بيانٌ لسبب إعراض الذين كفروا لأنهم بمنزلة الموتى فلا قابلية لهم لاستماع الدعوة.

كأنه ينقسم الناس إلى صنفين: صنف منهم أحياء يسمعون ويستجيبون دعوة رسول الله ﷺ وصنف منهم أموات لا يسمعون ومن ثم لا يستجيبون، وإن كان الصنف الثاني في ظاهر هذه الدنيا أحياء ولكن في واقعها هم أمواتٌ ويتوقف سماعهم على بعثهم ونشورهم في يوم القيامة وسوف يعثهم الله فيسمعون ما لم يستطيعوا سماعه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾^١.

﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر.

﴿ يَسْتَجِيبُ ﴾ فعل مضارع، هنا بمعنى يجيب وحذف متعلّقه لظهوره في ما سبق من الكلام وهو الدعوة إلى التوحيد والرسالة.

﴿ الَّذِينَ ﴾ فاعل.

﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمراد بالسمع هنا سماع اصغاءٍ وقبولٍ وفهمٍ وتدبرٍ ناشٍ من الحياة في السامع ثم الإجابة بعده.

﴿ وَ ﴾ عاطفة، للمقابلة.

﴿ الْمَوْتَى ﴾ مبتدأ. والمراد بهم الكافرون الذين يعرضون عن دعوة رسول الله ﷺ إلى التوحيد والنبوة فهم مثل ﴿ الْمَوْتَى ﴾ لا يسمعون ولا يستجيبون.

﴿ يَبْعَثُهُمُ ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدّم.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. وجملة ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ خبر.

يعني ﴿الْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في دار الآخرة ثم بعد بعثهم ونشورهم يسمعون كلام داعي الله ويستجيبون له ولكن حينئذ لا يترتب فائدة على سماعهم وإجابتهم لمضي زمان الإيمان والعمل الصالح في دار الدنيا.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة، للترتيب. ﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُرْجَعُونَ﴾.

﴿يُرْجَعُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. معطوف على ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾. يعني بعد بعثهم وإرجاعهم إلى الله يسمعون كلام رسول الله ﷺ ويستجيبون ويؤمنون بالله ورسوله ﷺ إسماعاً وإجابة وإيماناً عملياً قهرياً لأنهم يشاهدون ﴿هَذَاكَ الْوَلِيَّةَ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ١.

وبالجملة: مفاد هذه الآية الشريفة نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَى عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِغَايَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٢. وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ٣.

وقد تكرر في كلام الله تعالى توصيف المؤمنين بالحياة والسمع وفي مقابلهم توصيف الكفار بالموت والصمم كما قال تعالى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ٤.

١. سورة الكهف / ٤٤.

٢. سورة النمل / ٨٠ و ٨١.

٣. سورة الروم / ٥٢.

٤. سورة الأنعام / ١٢٢.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾

ترغيب من المشركين الكافرين على تنزيل آية غير القرآن الكريم - لأنهم كانوا لا يعدّونه آية تقنعهم وترتضيه نفوسهم - بداعي تعجيز النبي ﷺ .
﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾^١.
﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى المشركين الكافرين، إخبار عما قاله الكفار.
﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى «هلاً». والتحضيض والترغيب هنا لقطع الخصومة وتعجيز الخصم.

﴿نُزِّلَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. «جَرَدَ ﴿نُزِّلَ﴾ من علامة التأنيث لأنّ المؤنث الذي تأنثه لفظي بحت يجوز تجريد فعله من علامة التأنيث؛ فإذا وقع بين الفعل ومرفوعه فاصل اجتمع مسوّغان لتجريد الفعل من علامة التأنيث، فإنّ الفصل بوحده مسوّغ لتجريد الفعل من العلامة. وقد صرّح في «الكشاف»^٢ بأنّ تجريد الفعل عن علامة التأنيث حيثنّده حسن»^٣.

﴿عَلَيْهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿نُزِّلَ﴾، والضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ .
﴿آيَةٌ﴾ نائب فاعل. قد مرّ أنّ المراد بها غير القرآن الكريم أمثال إحياء الموتى وبراء الأكمه والأبرص وخلق الموجودات والعصا واليد البيضاء وخلق البحر.
﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ جارٍ ومجرور و مضاف إليه. متعلّق بـ ﴿آيَةٌ﴾ عبّروا عن الله تعالى

١. سورة الأنعام / ٣٥.

٢. الكشاف / ٢ / ٢٠.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٦ / ٨٢.

ب ﴿ء آيَةٌ﴾ .

﴿رَبِّهِمْ﴾ لإيَّامهم لا يقرون بربوبيته سبحانه .

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي ﷺ ، وترك الله سبحانه مكالمتهم لعدم الاعتاء بهم وتحقيراً لهم .

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد . ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ .

﴿قَادِرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ . «ذكر ﴿إِنَّ﴾ أنَّ اللَّهَ قَادِرٌ﴾ على أن ينزل أي آية شاء، وكيف يمكن أن يفرض من هو مسمى باسم ﴿اللَّهُ﴾ ولا تكون له القدرة المطلقة، وقد بدّل في الجواب لفظة «الرب» إلى اسم ﴿اللَّهُ﴾ للدلالة على برهان الحكم، فإن الألوهية المطلقة تجمع كل كمال من غير أن تحدّ بحدّ أو تقيد بقيد فلها القدرة المطلقة، والجهل بالمقام الألوهي هو الذي بعثهم إلى اقتراح الآية بداعي التعجيز^١ .

﴿عَلَى﴾ حرف جر . ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة .

﴿يُنزِلُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو» .

﴿ء آيَةٌ﴾ مفعول به . من الآيات المقترحات التي تريدونها ولكن لا يلزم على النبي «إظهار المعجزات بحسب اقتراح المقترحين، لأنه لو لزم ذلك لوجب إظهارها في كل حال ولكل مكلف وذلك فاسد»^٢ .

﴿وَ﴾ استئنافية . ﴿لَيْكِنَ﴾ حرف مشبه بالفعل، استدراك .

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ اسم ﴿لَيْكِنَ﴾ ومضاف إليه .

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله، خبر ﴿لَيْكِنَ﴾ . وأنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ «أن نزول ما اقترحوه من الآية لا يوافق مصلحتهم، وأن اجترأهم على اقتراحها تعرّض منهم لهلاك جمعهم وقطع دابرهم، والدليل على أن هذا المعنى منظور إليه بوجه

١ . الميزان ٧ / ٧١ .

٢ . التبيان ٤ / ١٢٧ .

في الكلام، قوله تعالى في ذيل هذه الاحتجاجات: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾^١ ٢.

رواية

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ وسيريكم في آخر الزمان آيات، منها: دابة الأرض والدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها^٣.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ۗ مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^٤

«تضمّنت الآية الشريفة حقيقة أخرى من الحقائق الواقعية، قد كشف عنها القرآن الكريم، وهي أنّ الحيوانات سواء كانت أرضية تدبّ عليها، أو في الجوّ تطير بجناحين في الهواء، هي أممٌ أمثال الناس، لها مجتمعات، فلها الشعور والإدراك والتفكير بالنسبة إلى شؤونها، وما يرتبط بحياتها، وما يوجب لها الخير والسعادة أو الشقاء والشرّ، وأنّ أهمّ ما تستشعر به إنّما هو خالقها ومعادها للتلازم بينهما، فإنّ من يستشعر بالمبدأ لا بدّ أن يستشعر بالمعاد... ويحكم بين أفرادها قانون الفطرة كما تحكم بين الإنسان، وتنظّمها الأديان الإلهية، ليعرف الجميع سبل الحياة والتمهيد للحشر والجزاء»^٤.

١. سورة الأنعام / ٥٨.

٢. الميزان ٧ / ٧١.

٣. تفسير القمي ١ / ٢٩١، ح ٧.

٤. مواهب الرحمن ١٣ / ٢٦٠.

و «جملة مستأنفة تبين شمول علمه وكمال قدرته وسعة تديره وعظيم حكمته ﷻ، مما جهله المشركون، فبعثهم على اجترأهم على اقتراح الآيات، كما أن الآية الكريمة برهاناً قوياً على إته ﷻ قادر على كل شيء، ولأجل ذلك كان الخطاب عاماً لجميع الناس»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿مِنْ﴾ حرف جر زائد للاستغراق.
﴿دَابَّةٍ﴾ مجروره. في محل رفع مبتدأ. «الدابة: كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان وحشرة»^٢.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿دَابَّةٍ﴾ أي تدب ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿طَيْرٍ﴾ معطوف على ﴿دَابَّةٍ﴾. الطائر: ما يسبح في الهواء بجناحيه.

﴿يَطِيرُ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَطِيرُ﴾ والضمير يرجع إلى

﴿طَيْرٍ﴾.

والحاصل إلى هنا: «﴿مَا مِنْ﴾ حيوان أرضي ولا هوائي، مع ما في هذا التوصيف من نفي شبهة التجوز فإن الطيران كثيراً ما يستعمل بمعنى سرعة الحركة كما أن الدبيب هو الحركة الخفيفة فكان من المحتمل أن يراد بالطيران حيث ذكر مع الدبيب الحركة السريعة فدفع ذلك بقوله: بجناحيه ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾»^٣.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

١. مواهب الرحمن ١٣ / ٢٦٠.

٢. التفسير الكاشف ٣ / ١٨٤.

٣. الميزان ٧ / ٧٢.

﴿أُمَّمٌ﴾ خبر، جمع أُمَّة وهي كل جماعة ذات خصائص واحدة.
 ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ صفة لـ ﴿أُمَّمٌ﴾ ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى الناس كافة. «يعني خَلَقَ مثلكم»^١، «بَيْنَ سبحانه في هذه الآية أن بيننا وبين الدواب والطيور نوعاً من الشبه، ولكنه لم يصرح بهذا النوع: هل تشبهنا الدواب والطيور في أنها مخلوقة لله، أو في إيمانها به، وتسييحها بحمده، أو في أنها أصناف مصنفة تعرف بأسمائها، كما تعرف الأسر والقبائل، أو في تدبير معاشها، وتصريف الأمور وفقاً لمصالحها؟»^٢.
 ﴿مَا﴾ نافية.

﴿فَرَطْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، التفريط: التقصير والتضييع، ﴿فَرَطْنَا﴾: تركنا.
 ﴿فِي آلِ كَتَبٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿فَرَطْنَا﴾. والمراد بـ ﴿آلِ كَتَبٍ﴾ إمّا اللوح المحفوظ أو القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^٣.
 ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ جارٍ ومجرور. ﴿مِنْ﴾ زائدة و ﴿شَيْءٍ﴾ مفعول مطلق لـ ﴿فَرَطْنَا﴾ لأنها واقعة موقع المصدر وهو التفريط. أي: ما تركنا من الكتاب شيئاً.
 ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة.

﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿مُحْشَرُونَ﴾.
 ﴿مُحْشَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. في محل نصب حال من ﴿أُمَّمٌ﴾.

«ظاهر الكلام يدل على ان الله يحشر الدواب والطيور يوم القيامة، تماماً كما يحشر الناس، وكذلك الآية ٥ من التكوير: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^٤. وقال كثير من العلماء بذلك استناداً إلى ظاهر الآيتين، وإلى حديث: «ان الله يقتص غداً للجهنم من

١. تفسير القمي ١/ ٢٩١.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ١٨٥.

٣. سورة النحل / ٨٩.

٤. سورة التكوير / ٥.

القرناء».

ونحن مع ابن عباس الذي قال: المراد بحشر البهائم موتها، كما ورد في حديث: «من مات فقد قامت قيامته» لأن الحساب والعقاب إنما يكون بعد التكليف ومخالفته، ولا تكليف إلا مع العقل، ولا عقل للدواب والطيور فلا تكليف، وبالتالي فلا حشر للحساب، ولو حوسب الدواب لحوسب الأطفال بطريق أولى.

أما حديث: «يقتص للجباء» فهو كناية عن عدل الله تعالى، وأنه لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها... وإذا كان الله يعاقب القرناء إذا نطحت الجباء فبالأولى أن يحرم علينا ذبح الحيوان... أما قول من قال: ان الله يعوض غداً الحيوان عن آلامه فهو قول على الله بغير علم»^١.

رواية

خبر عبدالعزیز بن مسلم قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة، وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام، فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام، ثم قال:

يا عبدالعزیز، جهل القوم، وخدعوا عن آرائهم؛ إنّ الله - عز وجل - لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن، فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً، فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي آلِ كَتَبٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، الحديث^٢.

رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام.^٣

١. التفسير الكاشف ٣/ ١٨٦.

٢. الكافي ١/ ٤٨٩، ح ١ (١٩٨/١).

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٨٣، ح ١٦٨.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكِّمُوا فِي الظُّلُمَاتِ ۚ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهُ وَمَنْ يَشَاءُ

يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٦﴾

«بيان لأهم أثر من الآثار المترتبة على التكذيب بآيات الله سبحانه، فقد حرم المكذبون أنفسهم من أعظم النعم الإلهية، التي يستفيد منها الإنسان في طريق استكمالها، وتكون سبباً لنيل الفيوضات الربانية، فقد أحاطت الظلمات بهم من جهات متعدّدة، ووقعوا في أنواع متعدّدة من الحُجب فهم في ظلمات الشرك والوثنية، وظلمة الجهل، وظلمة العناد، والعصبية والكبرياء، وظلمة الملكات السيئة، فهي ظلمات بعضها فوق بعض وأحاطت بهم، لا ينفذ نور الحقّ والهداية في قلوبهم، فأصبحوا صمّاً لا يسمعون آيات الله الناطقة بالحقّ، وبكماً لا يمكنهم النطق به، والتشهد بشهادة الإيمان والإقرار بالطاعة، ولم يبصروا منهاج الحقّ وصراط الهداية، فنبذوا الحقّ مع وضوح أعلامه، ولم يتأثروا بالآيات البيّنات، فلم يسعهم الإيمان بها، لكونهم في الظلمات»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة والمعطوف عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾^٢،

ويمكن أن تكون استئنافية.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿كَذَّبُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾.

﴿صُمُّوا﴾ خبر، لأنهم لا يسمعون دعوة الحقّ وكلام رسول الله ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بُكِّمُوا﴾ معطوف على ﴿صُمُّوا﴾، لأنهم لا ينطقون بالحقّ الذي عرفوه.

١. مواهب الرحمن ١٣/٢٧٨.

٢. سورة الأنعام/٣٦.

﴿ فِي الظُّلْمَتِ ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ثان. هم في ظلمة الكفر وظلمة الشرك وظلمة الفسق وظلمة الظلم و... .

﴿ مَنْ ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿ يَشَأْ ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط، وحرك بالكسر لإلتقاء الساكنين.

والمراد بالمشيئة هي التشريعية لا التكوينية.

﴿ اللَّهُ ﴾ فاعله.

﴿ يُضِلُّهُ ﴾ فعل مضارع مجزوم، جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

اضلال الله جزائي واكتسابي لا ابتدائي ولا ذاتي ولا أوّلي، بل اضلال الله ليس حتى جزائي واكتسابي بل حين ترك الله هداية الكافر الفاسق يضل هو بنفسه ولا يحتاج إلى اضلال غيره، فإضلال الله هنا ترك الهداية ولا غير.

﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ مَنْ يَشَأْ تَجْعَلُهُ ﴾ معطوف على ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلُّهُ ﴾، والمراد بالمشيئة التشريعية

والمراد بالجعل أيضاً جزائي اكتسابي انفعالي.

﴿ عَلَى صِرَاطٍ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تَجْعَلُهُ ﴾. ﴿ مُسْتَقِيمٍ ﴾ نعت.

روايتان

خبر أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْمٌ وَبُكْمٌ ﴾

- يقول: صم عن الهدى، وبكم لا يتكلمون بخير - ﴿ فِي الظُّلْمَتِ ﴾ - يعني ظلمات

الكفر ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ تَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ١.

خبر أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا صُمْمٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلْمَتِ ﴾ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ تَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

فقال أبو جعفر عليه السلام: نزلت في الذين كذبوا بأوصيائهم **﴿صُمُّ وَبُكْمٌ﴾** كما قال الله: **﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾**.

من كان من ولد إبليس فإنه لا يُصدّق بالأوصياء ولا يؤمن بهم أبداً، وهم الذين أظلمهم الله، ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياء فهم **﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** قال: وسمعته يقول: كذبوا بآياتنا كلها في بطن القرآن أن كذبوا بالأوصياء كلهم.^١

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾

«في الآية تجديد احتجاج على المشركين، وإقامة حجة على بطلان شركهم من وجه، وهو أنها تفرض عذاباً آتياً من جانب الله أو إتيان الساعة إليهم ثم تفرض أنهم بالمسألة إذا بلغت به الشدة نحو من يقسر أن يكشفها عنه.

ثم تسألهم أنه من الذي تدعونه وتتوجهون إليه بالمسألة إن كنتم صادقين؟ غير الله تدعون من أصنامكم وأوثانكم التي سميتموها من عند أنفسكم آلهة أم إياه تدعون؟ وهيهات أن تدعوا غيره وأنتم تشهدون حيثذ أنها محكومة بالأحكام الكونية مثلكم لا ينفعكم دعاؤها شيئاً»^٢. والآية الشريفة من براهين التوحيد.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». افتتح هذا التجديد بالأمر بالقول اهتماماً به وقد تتابع الأمر بـ **﴿قُلْ﴾** في الآيات بعدها إلى قوله تعالى: **﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ**

١. تفسير القمي ١/ ٢٩٢، ح ١٠.

٢. الميزان ٧/ ٨٥.

٣. سورة الأنعام / ٦٧.

اثنى عشرة مرة. كما ورد نظيرها في سورة يونس^١. والجملة بعده مقول القول.
﴿أ﴾ همزة الاستفهام للتقرير.

﴿رَأَيْتَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، مصطلحٌ بمعنى «أخبروني»، قال
الراغب الإصفهاني: «يجري «أرأيت» مجرى «أخبرني» فيدخل عليه الكاف ويترك التاء
على حالته في التثنية والجمع والتأنيث ويُسلطُ التغيير على الكاف دون التاء»^٢.
وقال ابن عاشور: «تركيب شهير استعمال يفتح بمثله الكلام الذي يراد تحقيقه
والاهتمام به... و«رأى» فيه بمعنى «الظن»»^٣.

﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَتَذَكُّمُ﴾ فعل ماضٍ في محلِّ جزمٍ لأنه فعل الشرط ومفعول به.

﴿عَذَابُ﴾ فاعله.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. والإضافة للتهويل لأنه صدر من ربِّ العالمين.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿أَتَذَكُّمُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به، معطوف على ﴿أَتَذَكُّمُ﴾.

﴿السَّاعَةُ﴾ فاعله. وهي يوم القيامة.

وجواب الشرط محذوف يستفاد من تنمة الآية وهو «مَنْ تدعون؟» أو نفس

قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾.

﴿أ﴾ استفهام توبيخ وتقرير وإنذار وتعجب.

﴿غَيْرَ﴾ مفعول به مقدم، وتقديمه يفيد الحصر والقصر.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. ﴿تَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

١. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٩٣.

٢. المفردات / ١٨٨.

٣. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٩٣.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿صَدِيقِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. وجواب الشرط محذوف وهو ألوهية الأصنام وكل
 من يجعلونه شريكاً لله ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^١.
 «فمعنى الآية ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَيْتُمْ
 السَّاعَةَ﴾ فرض إتيان عذاب من الله ولا ينكرونه، وفرض إتيان الساعة ولم يعبأ
 بإنكارهم لظهوره ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لكشفه، وقد حكى الله في كلامه عنهم سؤال
 كشف العذاب في الدنيا ويوم القيامة جميعاً لما أن ذلك من فطريات الانسان ﴿إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ﴾ وجئتم بالنصفة»^٢.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ ﴿٤١﴾

هذه الآية في حكم نتيجة الاستدلال الذي ورد في الآية السابقة.
 ﴿بَلْ﴾ حرف اضراب لإبطال دعوة غير الله، لأنه استدراك وإيجاب بعد النفي.
 ﴿إِيَّاهُ﴾ ضمير منفصل، مفعول به مقدم وتقديمه يدل على القصر.
 ﴿تَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «أي فأنا أجيب عنكم بأنكم لا تدعون إلا الله.
 ووجه تولى الجواب عنهم من السائل نفسه أن هذا الجواب لما كان لا يسع المسؤول
 إلا إقراره صح أن يتولى السائل الجواب عنه، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾^٣.
 وتقديم المفعول على ﴿تَدْعُونَ﴾ للقصر وهو قصر أفراد للرد على المشركين في

١. سورة الإسراء / ٤٣.

٢. الميزان / ٧ / ٨٦.

٣. سورة الأنعام / ١٢.

زعمهم أنهم يدعون الله ويدعون أصنامهم، وهم وإن كانوا لم يزعموا ذلك في حال ما إذا أتاهم عذاب الله أو أتتهم الساعة إلا أنهم لما ادّعوه في غير تلك الحالة نزلوا منزلة من يستصحب هذا الزعم في تلك الحالة أيضاً^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَكْشِفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، معطوف على ﴿تَدْعُونَ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿تَدْعُونَ﴾ مرّ.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَدْعُونَ﴾. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿شَاءَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» في محلّ جزم فعل الشرط وجوابه محذوف لوضوحه ممّا مرّ. «وإنّما قال ﴿إِنْ شَاءَ﴾ لانه ليس كلّها يدعون لكشفه يكشفه عنهم بل يكشف ما شاء من ذلك ممّا تقتضيه المصلحة وصواب التدبر، وتوجه الحكمة والاستثناء راجع إلى العذاب دون الساعة، لأنّها لا تكشف ولا يحيص عنها^٢. أو أنّ المراد بالكشف عن يوم القيامة رفع أهوالها وعذابها عنهم بإيمانهم في الدنيا ومغفرة الله في العقبى^٣.

«بيان لقدرته التامة على كشف الضر الذي تدعون إلى كفه إن شاء كشفه كما كشف عن أقوام سابقين، كقوم يونس، فهو القادر المتعال لا يقهره أحد إن شاء فعل وإن شاء ترك، بعد ما استحقّوا العذاب بسوء اختيارهم، فهو المتفضّل المئان، وإن قبول الدّعاء تابع لمشيئته سبحانه»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ وجملة ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ﴾

﴿شَاءَ﴾ معترضة بين المعطوفين.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٩٦/٦.

٢. التبيان ١٣٥/٤.

٣. مواهب الرحمن ٢٨٢/١٣.

﴿تَنَسَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله «معنى» ﴿تَنَسَوْنَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون بمعنى ما تشركون بالله.

الثاني: أنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من نسيهم^١.

﴿مَا﴾ مفعول به مقدم.

﴿تُشْرِكُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ من الأصنام وغيره.

«يجوز أن يكون النسيان على حقيقته، أي تذهلون عن الأصنام لما ترون من هول العذاب وما يقع في نفوسهم من أنه مرسل عليهم من الله فتتشغل أذهانهم بالذي أرسل العذاب وينسون الأصنام التي اعتادوا أن يستشفعوا بها.

ويجوز أن يكون مجازاً في الترك والإعراض، أي وتعرضون عن الأصنام، إذ لعلمهم يلهمون أن يستدلّون في تلك الساعة على أن غير الله لا يكشف عنهم من ذلك العذاب شيئاً، وإطلاق النسيان على الترك شائع في كلام العرب، كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^٢، أي نهملكم كما أنكرتم لقاء الله هذا اليوم. ومن قبيله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^٣»^٤.

رواية

الصدوق بإسناده إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال في حديث: وقام رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام ... فقال الرجل فما تفسير قوله: «الله»؟ قال: هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه وذلك أن كل مترئس في هذه الدنيا ومتعظم فيها

١. التبيان ٤/ ١٣٥.

٢. سورة الجاثية / ٣٤.

٣. سورة الماعون / ٥.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٩٧.

وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه فإيهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاضم، وكذلك هذا المتعاضم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته حتى إذا كفى همّه عاد إلى شركه، أما تسمع الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾^١، الحديث. ٢.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَتَضَرَّعُونَ﴾

﴿إن الله سبحانه لا يعاقب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم رسولا يرشدهم إلى طريق الهداية، فإن لم يهتدوا منحهم الفرصة ليراجعوا أنفسهم، وامتنحهم بالبلاء ليتضرعوا ويتوبوا﴾^٣.

و «أعلم الله تعالى نبيه ﷺ بهذه الآية انه قد ارسل الرسل قبله إلى أقوام بلغوا من القسوة إلى ان أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم ليخضعوا ويدلوا لأمر الله لأن القلوب تخشع والنفوس تضرع عند ما يكون من أمر الله البأساء الضراء»^٤.
﴿و﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾^٥.
﴿ل﴾ للإبتداء والتأكيد، أو للقسم لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونها.

١. سورة الأنعام / ٤٠ و ٤١.

٢. التوحيد / ٢٣١، ح ٥.

٣. التفسير الكاشف ٣ / ١٨٩.

٤. التبيان / ٤ / ١٣٦.

٥. سورة الأنعام / ٤٠.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. تأكيد آخر.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. مفعول به محذوف اختصاراً وتقديره: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ رسلاً.

﴿إِلَىٰ أُمَّمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾. وتنوين ﴿أُمَّمٍ﴾ للتكثير، والكلام مسوق لبيان حال المرسل إليهم لا المرسلين.

﴿مِّنْ﴾ حرف جر «بمعنى في أو ابتدائية واحتمال الزيادة بعيد»^١.

﴿قَبْلَكَ﴾ مجروره ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى رسول الله ﷺ أي إلى الأمم الماضية.

﴿فَذُ﴾ تفریع على محذوف وهو «فكذبوا» ويقال لها «الفاء فصيحة بمعنى أن الكلام مبني على الحذف»^٢.

﴿أَخَذْنَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. ﴿أَخَذْنَهُمْ﴾ أي «أصبناهم إصابة تمكن»^٣.

﴿بِالْبِئْسَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَخَذْنَا﴾. ﴿الْبِئْسَاءِ﴾: اسم يطلق على الشدة والمكروه كالفقر والجوع والجدب؛ والقحط ونحوها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الضَّرَّاءِ﴾ معطوف على ﴿الْبِئْسَاءِ﴾. ﴿الضَّرَّاءِ﴾ سوء الحال في ما يرجع إلى النفس كغمّ وجهل أو ما يرجع إلى البدن كمرض ونقص بدني أو يرجع إلى غيرهما كالنقص في الأموال أو الجاه.

«ولعل المقصود من الجمع بين البئساء والضراء الدلالة على تحقق الشدائد في

١. مواهب الرحمن ١٣/٢٨٣.

٢. مواهب الرحمن ١٣/٢٨٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٩٨.

٤. بالفارسية: خشكسالی.

الخارج كالجذب والسييل والزلزلة، وما يعود إلى الناس من قبلها من سوء الحال كالخوف والفقر ورثاة الحال»^٢.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. معناه: لكي، والترجي هنا للعباد. والمراد به الغرض.

﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾. ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذللون «يقال: ضرع فلانٌ لفلانٍ إذا بضع له وسأله أن يعطيه»^٣.

«الضراعة هي المذلة والتضرع: التذلل والمراد به التذلل إلى الله سبحانه لكشف ما نزل عليهم من نوازل الشدة والرزية»^٤.

والتضرع حالة نفسانية من التذلل والتخشع في الرجوع إلى الله تعالى والتوبة من الكفر والفسق ومن شواهدها «رفع اليدين» إلى السماء كما ورد في صحيحة محمد بن مسلم.^٥

رواية

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة: ... وأيم الله ما كان قومٌ قطُّ في غصٍّ نعمةٍ من عيش فزال عنهم إلا بذنوبٍ اجترحوها، لأنَّ الله ليس بظلامٍ للعبيد. ولو أنَّ النَّاسَ - حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم - فزعوا إلى ربِّهم بصدقٍ من نياتهم وولاه من قلوبهم لردَّ عليهم كلَّ شاردٍ، وأصلح لهم كلَّ فاسدٍ، الخطبة. ٦.

١. أي قيحه.

٢. الميزان ٧/ ٨٩.

٣. التبيان ٤/ ١٣٧.

٤. الميزان ٧/ ٨٩.

٥. الكافي ٤/ ٣٢٧، ح ٦ (٢/ ٤٨١).

٦. نهج البلاغة، خطبة ١٧٨.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

عتاب على ترك الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وإخبار عنهم بأنهم «لم يتضرعوا حين مجيء البأس ولم يرجعوا إلى ربهم بالتذلل بل أبت نفوسهم أن تتأثر عنه، وتلهوا بأعمالهم الشيطانية الصارفة لهم عن ذكر الله سبحانه، وأخلدوا إلى الأسباب الظاهرة التي كانوا يرون استقلالها في إصلاح شأنهم»^١. فقد بلغوا في الطغيان والشرك حين تركوا الضراعة حين رؤوا العذاب.

﴿ف﴾ استئنافية أو تفرعية على قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُم بِالْبَاسِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في

الآية السابقة.

﴿لَوْلَا﴾ حرف توبيخ لدخولها على الفعل الماضي. «معناه هلاً»^٢ فليست ﴿لَوْلَا﴾

الامتناعية، و «تفيد في المقام فائدة النفي»^٣.

«التوبيخ إنما يليق بالحاضرين دون المنقرضين لفوات المقصود. ففي هذا التنزيل إيحاء إلى مساواة الحاليين وتوبيخ للحاضرين بالمهم من العبرة لبقاء زمن التدارك قطعاً لمعذرهم.

ويجوز أن تجعل ﴿لَوْلَا﴾ هنا للتمني على طريقة المجاز المرسل، ويكون التمني

كناية عن الإخبار بمحبة الله الأمر المتمنى فيكون من بناء المجاز على المجاز، فتكون

هذه المحبة هي ما عبر عنه بالفرح بالحديث: «الله أفرح بتوبة عبده»، الحديث»^٤.

١. الميزان ٧/ ٩١.

٢. التبيان ٤/ ١٣٦.

٣. الميزان ٧/ ٩١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٩٩.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين». تقديم الظرف مع جملته على عامله
﴿تَضَرَّعُوا﴾ للاهتمام بمضمون الجملة.

﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. والمجيء مستعار للحدوث
والحصول.

﴿بِأَسْنَأَ﴾ فاعله ومضاف إليه. البأس: الشدة والمراد به هنا العذاب. ومجيء
البأس: مجيء أثره.

﴿تَضَرَّعُوا﴾ فعل ماض وفاعله. قد مرّ معناه في الآية السابقة.

وحاصل المعنى إلى هنا: أنه زمن يحقّ أن يكون باعثاً على الإسراع بالتضرع إلى
الله تعالى ممّا حصل فيه من الشدة والعذاب.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَيْكِنَ﴾ حرف استدراك. «ولمّا دلّ التوبيخ أو التمنيّ على انتفاء وقوع الشيء
عطف عليه بـ ﴿لَيْكِنَ﴾ عطفاً على معنى الكلام، لأنّ التضرّع ينشأ عن لين القلب فكان
نفيه المفاد بحرف التوبيخ ناشئاً عن ضدّ اللين وهو القساوة، فعطف بـ ﴿لَيْكِنَ﴾»^١.

﴿فَسَتَّ﴾ فعل ماض مؤنث. القسوة: الصلابة.

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. «قسوة القلب مقابل لينه، وهو كون الإنسان لا
يتأثر عن مشاهدة ما يؤثر فيه عادة أو عن استماع كلام شأنه التأثير»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة عطف على ﴿لَيْكِنَ﴾ أو استئنافية.

﴿زَيْنَ﴾ فعل ماض. «التزيين إمّا إيجاد الشيء حسناً مزيّناً في الواقع، أو جعله
مزيّناً من غير إيجاد، أو جعله محبوباً للنفس مشتهداً للطبع وإن لم يكن كذلك»^٣.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/٩٩.

٢. الميزان ٧/٩١.

٣. مواهب الرحمن ١٣/٢٨٧.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿زَيْنَ﴾ .

﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعل. ﴿الشَّيْطَانُ﴾ هو الذي يزين الكفر للكافر والفسق للفاسق بوسوسته وإغرائه وتأثر مشاعرهم بهما يوجب الخلل في الفكر والإرادة والتدبير فلا يرجى منه الخير بعد هذا الخلل، لأنه يسلب منه الشعور والفهم والدرك الصحيح فلا ينتفع بالسراء والضراء الذي ابتلاه الله به لأجل أصلح نفسه والتضرع والتذلل إليه تعالى.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. أو مصدرية والجملة بعدها بتأويل مصدر في محل

نصب مفعول به ﴿زَيْنَ﴾ تقديره: سوء أعمالهم.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾ .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

بِمَا أوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

بيان لسنة من السنن الإلهية وهي الاستدراج في أهل الكفر والمعاصي.

﴿فَ﴾ تفریع على قوله تعالى: ﴿قَسَتْ قُلُوبَهُمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط بمعنى «حين» يدل على اقتران وجود جوابه بوجود شرطه

وليس فيه معنى السببية مثل بقية أدوات الشرط.

﴿نَسُوا﴾ فعل ماض وفاعله، فعل الشرط النسيان هنا بمعنى الترك والإعراض،

لأنهما في حكم النسيان.

﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به. ﴿ذُكِّرُوا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ذُكِّرُوا﴾. ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ هو الإيذان بالله ورسوله ﷺ والعمل الصالح أو الأخذ ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ﴾^١ يرجعون إلى الله تعالى ويتضرعون إليه.

﴿فَتَحْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. جواب الشرط. الفتح: ضد الغلق. وهو هنا استعارة لإزالة ما يؤلم ويغم. وقرأه ابن عامر وأبو جعفر ورؤيس عن يعقوب بتشديد «التاء» للمبالغة في الفتح بكثرته. «ومن ثقل أراد التكثير ومن خفف أراد الفعل مرّة واحدة»^٢.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَتَحْنَا﴾، والضمير يرجع إلى الناسين ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.
﴿أَبْوَابٌ﴾ مفعول به.

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. المقصود هو التكثير لا العموم والمراد بـ ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: «إيتاؤهم من كلِّ نعمة من النعم الدنيوية التي يتنافس فيها الناس للتمتع من مزايا الحياة من المال والبنين وصحة الأبدان والرفاهية والخصب والأمن والطول والقوة، كل ذلك توفيراً من غير تقدير ومنع كما أن خزانة المال إذا أُعطي منها أحد بقدر وميزان فتح بابها فاعطي ما أُريد ثم سد، وأما إذا أُريد الإعطاء من غير تقدير فتح بابها ولم يسد على وجه قاصده، وبالجملة كناية عن إيتائهم أنواع النعم من غير تقدير»^٣.
﴿حَتَّى﴾ حرف غاية للإبتداء.

﴿إِذَا﴾ ظرفية لما يستقبل من الزمان، متضمن معنى الشرط ومتعلق بجوابه.

١. سورة الأنعام / ٤٢.

٢. التبيان / ٤ / ١٣٧.

٣. الميزان / ٧ / ٩١.

﴿فَرِحُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، فعل الشرط. «أي بطروا وأشروا وأعجبوا وظنوا أنه دال على رضا الله ﷻ عنهم»^١.

﴿بِمَا﴾ حرف جر و ﴿مَا﴾ موصولة. جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَرِحُوا﴾.

﴿أُوتُوا﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. حذف فاعله للجلالة.

﴿أَخَذْنَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. جواب الشرط.

﴿بَعَثَهُ﴾ حال من فاعل ﴿أَخَذْنَهُمْ﴾ أي مباغتين لهم ويجوز من المفعول بمعنى

مبعوتين. ﴿بَعَثَهُ﴾: فُجَاءَ. وهي حصول الشيء على غير ترقب.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿إِذَا﴾ فجائية. ﴿هُم﴾ مبتدأ.

﴿مُتَلِسُونَ﴾ خبره. أي يائسون من الخير ومتحIRON خامدون منقطعو الحجّة،

الإبلاس: الوجوم والسكوت عند طلب العفو يأساً من الاستجابة^٢.

والحاصل: «أنذرهم أولاً بالقول على لسان الأنبياء وثانياً بالفعل، حيث

امتحانهم بالبلاء والضراء، ولما أصروا على الكفر والعناد فتح عليهم أبواب الرزق

والرخاء لإلقاء الحجّة والاستدراج بالنعم بعد الامتحان بالنقم، ولما فرحوا بالرخاء،

وازدادوا بطراً وكبراً، ولم يأوبوا إلى رشد أخذهم الله بالعذاب، من حيث لا يحتسبون،

فتحسروا على التفريط، وآيسوا من النجاة.

والخلاصة ان الله سبحانه عاملهم بالضراء تارة، وبالسرء أخرى حباً بهدايتهم

تماماً كما يفعل الوالد الشفوق بولده طلباً لصلاحه... ولكنهم لم يشكروا الرخاء، ولم

يتعظوا بالبلاء»^٣.

«معنى الآية أنهم لما نسوا ما ذكروا به أو عرضوا عنه آتيناهم من كلّ نعمة

١. مواهب الرحمن ١٣/ ٢٨٨.

٢. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٠٢.

٣. تفسير الكاشف ٣/ ١٨٩.

استدرجاً حتى إذا تمت لهم النعم وفرحوا بما أتوا منها أخذناهم فجأة فانخمدت
أنفاسهم ولا حجة لهم لاستحقاقهم ذلك»^١.

الروايات

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: ... وأما قوله ﴿فَأَسْتَمْسِكْ
بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ (في علي عليه السلام) إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢ إِنَّكَ عَلَىٰ وَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام،
وعليٌّ هو الصراط المستقيم.

وأما قوله ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني فلما تركوا ولاية عليٍّ وقد أمروا بها،
﴿فَتَخَنَّا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني مع دولتهم في الدنيا وما بسط لهم فيها.
وأما قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَنَّهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ يعني قيام
القائم»^٣.

ونحوها في تفسير القمي^٤.

معتبرة حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت مناجاة الله تعالى
لموسى عليه السلام: يا موسى! إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: «مرحباً بشعار الصالحين» وإذا
رأيت الغنى مقبلاً، فقل: «ذنبٌ عُجِّلَتْ عقوبته» فما فتح الله على أحد هذه الدنيا إلا
بذنب لينسيه ذلك الذنب فلا يتوب، فيكون إقبال الدنيا عليه عقوبة لذنوبه.^٥

عن منصور بن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾، قال: أَخَذَ بَنِي أُمِّيَّةَ بَغْتَةً، وَيُؤْخَذُ بَنُو

١. الميزان ٧/ ٩٢.

٢. سورة الزخرف / ٤٣.

٣. بصائر الدرجات ١/ ١٥٨، ح ٥.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٩٤، ح ١٢.

٥. تفسير القمي ١/ ٢٩٣، ح ١١.

العباس جَهْرَةً. ١

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك

استدراج منه، ثم تلا هذه الآية. ٢

رُوي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك

نعمه فاحذره. ٣

وقد ذكرت عشرة من الروايات الواردة في الاستدراج في كتابي «موسوعة أحاديث

أهل البيت عليه السلام»^٤ فراجعها فإنها تفيدك في المقام.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا^٥ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الوصف مشعر بالعلية فالظلم يوجب استئصال الظالم من أي أحد صدر، من

الرجل أو المرأة، من الحاكم أو الرعية، من الغني أو الفقير، من الأمراء أو أرباب

العمائم ... «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم»^٥.

﴿فَ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿أَخَذْتَهُمْ﴾ في الآية السابقة.

﴿قُطِعَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول.

١. تفسير العياشي ٩٨/٢، ح ٢٤.

٢. مجمع البيان ٣/٣٠٢.

٣. مجمع البيان ٣/٣٠٢.

٤. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ١/٢٠٨.

٥. هذه الجملة قد اشتهر كونها نبويًا ولكنها لم يثبت، نعم صرح الفخر الرازي أنها من «الأثر» في

تفسيره الكبير ١٨/٧٦ ورفعها إلى النبي ﷺ الشيخ أبو الحسن الشعрани عليه السلام في تعاليقه على شرح

أصول الكافي ٩/٣٠٠ و ٣٨٦ للمولى صالح المازندراني (م ١٠٨١)، وعدّها المحقق النائيني في خاتمة

كتابه «تنبيه الأمة وتنزيه الملة» / ١٢٨ «نصاً مجرباً» الذي برهانه ظاهر ويشاهد في العيان والحس.

ولكن الصحيح عدم انتسابها إلى النبي الأعظم ﷺ ولكنها حكمة صحيحة ومعقولة وحقّة.

﴿دَابِّرٌ﴾ نائب فاعل. اسم فاعل من دَبَّرَ إذا مشى من ورائه «بمعنى ما يقع خلف الشيء ويليه من ورائه»^١. قطع الدابر كناية عن ذهاب الجميع والاستئصال وهلاك نسلهم وآثارهم، بعبارة أخرى: «معناه أخذهم الذي يدبُّهم ويدبُّرهم لغتان - بضم الباء وكسرها - وهو الذي يكون في أعقابهم»^٢.

﴿الْقَوْمِ﴾ مضاف إليه. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿الْقَوْمِ﴾.

﴿ظَلَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «وفي وضع الظاهر الموصوف بالموصول موضع المضمَر ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إشعار بعلة الحكم، أي أن هلاكهم كان بسبب ظلمهم»^٣. والظاهر أن المراد بالظلم هو الظلم على الغير لا الظلم على النفس المسمى بالإثم والمعصية. ويمهّد السبيل إلى الحمد الآتي.

﴿وَ﴾ اعتراضية أي تذييلية. ﴿الْحَمْدُ﴾ مبتدأ.

﴿لِلَّهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بخبر تقديره: مختص ﴿لِلَّهِ﴾.

﴿رَبِّ﴾ صفة لفظ الجلالة.

﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه. وقد مرّ معناه في أول سورة الفاتحة فلا نعيد.

«حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل ساقاتهم ﴿الظَّالِمِينَ﴾ وقطع دابرهم»^٤.

«وفي ذلك كلّ تنبيه على أنه يحقّ الحمد لله عند هلاك الظلمة، لأنّ هلاكهم صلاح للناس، والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب. وهذا الحمد شكر لأنّه مقابل نعمة. وإنّما كان هلاكهم صلاحاً لأنّ الظلم تغيير للحقوق وإبطال للعمل بالشرعية، فإذا تغيّر الحقّ والصلاح جاء الدمار والفوضى وافتتن الناس في حياتهم فإذا

١. الميزان ٧/٩٢.

٢. التبيان ٤/١٣٨.

٣. مواهب الرحمن ١٣/٢٨٩.

٤. التبيان ٤/١٣٩.

هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم»^١.

«ومن هذه الآية بما تشمل على وصفهم بالظلم وعلى حمده تعالى بربوبيته تتحصل الدلالة على أن اللوم والسوء في جميع ما حلَّ بهم من عذاب الاستئصال يرجع إليهم لأنهم ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وأنه لا يعود إليه تعالى إلا الثناء الجميل لأنه لم يأت في تدبير أمرهم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة، ولم يسقهم في سبيل ما انتهوا إليه إلا إلى ما ارتضوه بسوء اختيارهم فقد تحقق أن الخزي والسوء على الكافرين، وأن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢.

الروايات

معتبرة فضيل بن عياض عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الورع، فقال: الذي يتورع عن محارم الله، ويجتنب الشبهات، وإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه وإذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه، فقد أحب أن يعصى الله، ومن أحب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة، ومن أحب بقاء الظالمين، فقد أحب أن يعصى الله! إن الله تبارك وتعالى حمّد نفسه على هلاك الظالمين، فقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا^٣ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^٤﴾.

رواها العياشي^٤ والكليني^٥ والصدوق^٦.

عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام: أن قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام أدخل على الحجاج بن يوسف، فقال له: ما الذي كنت تلي من أمر علي بن أبي طالب؟ قال: كنتُ

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٣.

٢. الميزان ٧/٩٢.

٣. تفسير القمي ١/٢٩٤، ح ١٣.

٤. تفسير العياشي ٢/٩٨، ح ٢٥.

٥. الكافي ٩/٦٢٨، ح ١١ (١٠٨/٥).

٦. معاني الأخبار ٢/٢٥٢، ح ١.

أَوْضِيهِ.

فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وُضُوئِهِ؟ قال: كان يتلو هذه الآية ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ * فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا^١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^٢.

فقال الحجاج: كان يتأولها علينا؟ فقال: نعم. فقال: ما أنت صانع إذا صرَبْتُ علاوتك؟ قال: إذا أسعدت وتَشَقَّى، فأمر به^١.

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، قال: لما تركوا ولاية علي عليه السلام وقد أمروا بها ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ * فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا^١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^٢ قال: نزلت في ولد العباس^٢.

عن الأصبغ بن نباتة، قال: بينما علي عليه السلام يخُطِّبُ يوم الجمعة على المنبر، فجاء الأشعث بن قيس يتخطى رقاب الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، حالت الحمراء^٣ بيني وبين وجهك. قال: فقال علي عليه السلام: مالي وما للضَّيَّاطِرَةِ^٤، أطرُدُ قوماً غدوا أول النهار يَطْلُبُونَ رِزْقَ اللَّهِ، وآخر النهار ذَكَرُوا اللَّهَ، فأطرُدُهم فأكون من الظالمين^٥.

رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من الناس من لا يأتي الصلاة إلا دُبْرِيًّا^٦.
دُبْرِيًّا: بضم الدال يعني في آخر الوقت.

قد ذكرتُ خمسين رواية حول «الظلم» في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ٧ فراجعها.

١. تفسير العياشي ٢/٩٧، ح ٢٢.

٢. تفسير العياشي ٢/٩٨، ح ٢٣.


٣. الحمراء: يعني العجم.

٤. الضَّيَّاطِرَةُ: جمع ضَيْطَارٍ، وهو الضَّخْمُ الذي لا غَنَاءَ عنده.

٥. تفسير العياشي ٢/٩٨، ح ٢٦.

٦. التبيان ٤/١٣٨.

٧. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ٦/٣٤٩.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنِ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ 

برهان على توحيد الربوبية وملخصه «أن القول بثبوت شركاء الله يستلزم القول بطلانه وذلك أن القول بالشركاء لإثبات الشفاعة، وهي أن تشفع وتتوسط فجلب المنافع ودفع المضار، وإذا كانت الشركاء شفعاء على الفرض كان لله سبحانه أن يفعل في ملكه ما يشاء من غير مصادفة مانع يمانعه أو ضد يضاده فلو سلب الله عنكم سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم فعل ذلك ولم يعارضه أحد من شركائكم لأنها شفعاء متوسطة لا أضداد معارضة، ولو فعل ذلك وسلب ما سلب لم يقدر أحد منها أن يأتيكم به لأنها شفعاء وسائط لا مصادر للخلق والإيجاد.

وإذا لم يقدر على إتياء نفع أو إذهاب ضرر فما معنى ألوهيتها فليس الإله إلا من يوجد ويعدم ويتصرف في الكون كيف شاء، وإنما اضطرت الفطرة الانسانية إلى الإقرار بأن للعالم إلهاً من جهة الحصول على مبدأ حوادث الخير والشر التي تشاهدها في الوجود، وإذا كان شيء لا يضر ولا ينفع في جنب الحوادث شيئاً فليس تسميته إلهاً إلا لغواً من القول.

وليس لإنسان صحيح العقل والتمييز أن يجوز كون صورة حجرية أو خشبية أو فلزية عملته يد الانسان وصنعتة فكرته خالقاً للعالم أو متصرفاً فيه بالإيجاد والإعدام وكذا كون رب الصنم رباً معبوداً أبدع العالم على غير مثال سابق مع الاعتراف بكونه عبداً مربوباً.

والحجة تعود بتقرير آخر إلى أن معنى الألوهية يأبى عن الصدق على الشريك بمعنى الشفيع المتوسط فإن مبدئية الصنع والإيجاد لازم معناها الاستقلال في التصرف والتعيين في استحقاق خضوع المصنوع المربوب، والواسطة المفروضة إن كان لها

استقلال في العمل كانت أصلاً ومبدء لا واسطة وشفيعاً وإن لم يكن له حظ من الاستقلال كانت أداة آلة لها مبدء وإلهاً.

ولذا كانت الأسباب الكونية أيّاً ما فرضت ليس لها إلا معنى الآلة والأداة كسببية الأكل للشبع والشرب للري والوالدين للولد والقلم للكتابة والمشي لانطواء المسافة وهكذا»^١.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». استئناف ابتدائي عاد به إلى الجدل معهم في إشراكهم بالله تعالى.

﴿أَ﴾ استفهام تقييري. ﴿رءَيْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. بمعنى أخبروني.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَخَذَ﴾ فعل ماض. فعل الشرط. «الأخذ: انتزاع الشيء وتناوله من مقرّه، وهو هنا مجاز في السلب والإعدام، لأنّ السلب من لوازم الأخذ بالنسبة إلى المأخوذ منه فهو مجاز مرسل»^٢.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿سَمِعَكُمْ﴾ مفعول به، ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى مشركي العرب في زمن رسول الله ﷺ أو المشركين في جميع الأزمنة. أخذ السمع: الإصمام. «والسمع: مصدر دال على الجنس فكان في قوة الجمع، فعمّ بإضافته إلى ضمير المخاطبين ولا حاجة إلى جمعه»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَبْصَرَكُمْ﴾ معطوف على ﴿سَمِعَكُمْ﴾. «الأبصار: جمع بصر وهو في اللغة العين

١. الميزان ٧/ ٩٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٠٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٠٤.

على التحقيق»^١. وأخذ الأبصار: الإعماء.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿حَتَمَ﴾ معطوف على ﴿أَخَذَ﴾. الحتم: التغطية والإغلاق.

﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿حَتَمَ﴾. وقد مرّ مراراً أنّ القلب في مصطلح القرآن هو محلّ الإدراكات والفهم والتعقل والتفكير وتميز الخير من الشرّ والحقّ من الباطل.

وفي الغالب السمع والبصر طريقتان للقلب في تفكيره وتعقله وإدراكه فأخذهما سبب لإغلاق باب القلب، فيكون تقديمها من باب تقديم العلة على المعلول.^٢
«وإذا كان هؤلاء المشركون لا يسمعون حقّ القول في الله سبحانه ولا يبصرون آياته الدالة على أنّه واحد لا شريك له فصارت قلوبهم لا يدخلها شيء من واردات السمع والبصر حتّى تعرف بذلك الحقّ من الباطل أقام الحجة بذلك على إبطال مذهبهم في أمر الإله تعالى ووحدته»^٣.

وجواب الشرط محذوف تقديره: «مَنْ تدعون». أو يكون الجملة الاسمية الآتية.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام. مبتدأ. ﴿إِلَهُ﴾ خبر.

﴿غَيْرُ﴾ صفة أو بدل ﴿إِلَهُ﴾. ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

﴿يَأْتِيَكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، صفة أخرى

لـ ﴿إِلَهُ﴾ أو خبر ثانٍ لمبتدأ ﴿مَنْ﴾.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَأْتِيَكُمْ﴾. إرجاع إلى الأصل أتى به أو جاء به.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٠٤.

٢. كما في مواهب الرحمن ١٣/ ٣٢٠.

٣. الميزان ٧/ ٩٣.

والضمير «عائد إلى السمع والأبصار والقلوب على تأويلها بالمذكور فلذلك لم يقل «بها» وهذا استعمال قليل في الضمير ولكنه فصيح»^١.

﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: أي يرده عليكم.

﴿أَنْظُرْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». «تنزيل للأمر المعقول منزلة

المشاهد»^٢.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام. حال من ضمير ﴿نُصِرْفُ﴾.

﴿نُصِرْفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول به والتعريف للعهد تصريف ﴿الْآيَاتِ﴾ تحويلها إلى أفهامهم

وتوجيهها في الجهات التي تظهره أتم الإظهار.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي وهو هنا للتعجب من قوة ﴿الْآيَاتِ﴾ ومن استمرار

الإعراض والمكابرة.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. «وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوي الحكم»^٣.

﴿يَصْدِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. الصدوف: الاعراض الشديد

والتكذيب، وفعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار.

روايتان

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ

وَحَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ يقول: إن أخذ الله منكم الهدى ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾^٤ أَنْظُرْ

كَيْفَ نُصِرْفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يقول: يعرضون.^٤

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٦.

٤. تفسير القمي ١/٢٩٥، ح ١٤.

وفي خطبة الزهراء سلام الله عليها الفدكية: ... كَلَّا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا
أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ، الخطبة ١.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ

الظَّالِمُونَ﴾

استئناف للتهديد والتوعّد وتبكيّت آخر لهم لأخذ الاعتراف منهم وبيان بأنّ
إعراضهم لا يرجع بالسوء إلا عليهم ولا يضربّ بغيرهم. وتهديد لهم لمرة ثانية بإتيان
العذاب الذي لا يستطيعون دفعه وأنهم على خطر من عذاب الله الذي لا يتخطاهم.
﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ قد مرّ تفسيره في الآية الأربعين من هذه
السورة.

﴿بَغْتَةً﴾ حال من ضمير ﴿أَتَنكُمْ﴾، البغته: «إتيان الشيء فجأة لا يظهر على من
أتاه إلا بعد إتيانه وغشيانه فلا يترك له مجال التحذر»^٢.
بعبارة أخرى: «البغته: المفاجأة وهو أن يأتيهم العذاب وهم غافلون غير
متوقعين لذلك»^٣.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿جَهْرَةً﴾ معطوف على ﴿بَغْتَةً﴾. «الجَهْرَةُ: الظهور التام الذي لا يقبل
الإرتياب»^٤ و «ضد الخفية وضد السر... وقد أوقع الجهره هنا في مقابلة البغته وكان

١. الاحتجاج ١/١٠٦.

٢. الميزان ٧/٩٤.

٣. التبيان ٤/١٤٠.

٤. الميزان ٧/٩٤.

الظاهر أن تقابل البغته بالنظرة أو أن تقابل الجهرة بالخفية، إلا أن البغته لما كانت وقوع الشيء من غير شعور به كان حصولها خفياً فحسن مقابلته بالجهرة، فالعذاب الذي يجيء بغته هو الذي لا تسبقه علامة ولا إعلام به. والذي يجيء جهرة هو الذي تسبقه علامة مثل الكسف المحكي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنَا﴾^١ أو سبقه إعلام به كما في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^٢. فإطلاق الجهرة على سبق ما يشعر بحصول الشيء إطلاق مجازي^٣.

﴿هَلْ﴾ استفهام انكار في معنى «ما» أو «لا» النافيتين.

﴿يُهَلِّكُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. «ولعلّ التعبير بالهلاك لبيان التهديد الشديد، وكون العذاب حاصل عن سخط إلهي، ويدلّ عليه الحضر أيضاً، فإنه قد يهلك غير الظالم، لكن لا بهلاك التعذيب، وربّما يكون رحمة بهم لكونه سبباً لنيل الجزاء الأوفى»^٤.

﴿إِلَّا﴾ أداة الاستثناء. يفيد مع معنى النفي السابق الحصر.

﴿الْقَوْمِ﴾ نائب فاعل.

﴿الظَّالِمُونَ﴾ نعت «هذه حجة بيّن فيها على وجه العموم أن الظالمين على خطر من عذاب الله عذاباً لا يتخطاهم، ولا يغلط في إصابتهم بإصابة من سواهم، ثم بيّن أنهم هم الظالمون لفسقهم عن الدعوة الإلهية وتكذيبهم بآيات الله تعالى.

وذلك أن معنى العذاب ليس إلا إصابة المجرم بما يسوؤه ويدمّره من جزاء إجرامه ولا إجرام إلا مع ظلم، فلو أتاهم من قبل الله سبحانه عذاب لم يهلك به إلا

١. سورة الأحقاف / ٢٤.

٢. سورة هود / ٦٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١٠٧.

٤. مواهب الرحمن ١٣ / ٣٢٥.

الظالمون، فهذا ما يدلّ عليه الآية ثمّ بيّن الآيتين التاليتين أنّهم هم الظالمون»^١.

شأن نزولها

قال القمي: فإنّها نزلت لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي إنّهم لا يصيبهم إلاّ الجهد والضرر في الدنيا.

فأمّا العذاب الأليم الذي فيه الهلاك، فلا يصيب إلاّ القوم الظالمين.^٢

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿بيان لسنة إلهية في أن إهلاك المكذبين لا يكون إلاّ بعد إرسال الرّسل وإلقاء

الحجّة عليهم﴾^٣.

﴿و﴾ عاطفة. عطف على قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ

يَصْدِفُونَ﴾^٤.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿نُرْسِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ مفعول به.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. والقصر إضافي و «قصر قلب أي لم نرسل الرسول

١. الميزان ٧/ ٩٤.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٩٥.

٣. مواهب الرحمن ١٣/ ٣٢٦.

٤. سورة الأنعام/ ٤٦.

للإعجاب بإظهار خوارق العادات»^١.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ حال من ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُنذِرِينَ﴾ معطوف على ﴿مُبَشِّرِينَ﴾.

«أسلوب الآية الشريفة المشتمل على صيغة المضارع والمتعاطفين، يدل على أن مضمونها مستمر وأنه سنة إلهية، وفيها البيان لأعمال الرُّسل، وأنَّ وظيفتهم هو تبشير المؤمنين المطيعين بالثواب، وإنذار المعرضين والعاصين بالعقاب، فلم يرسلهم ليُتَّرح عليهم أو يُتلهى بهم أو يُسخر منهم، فإنَّهم رسل الله، لهم كرامتهم عند الله، وإنما يؤتون من الآيات والبراهين بما يظهر صدقهم وحقية دعواهم، والتبشير هو الإخبار بالخبر السار، ويقابله الانذار»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره. ولكن «الأظهر أنها ﴿مَنْ﴾ موصولة كما يرجحها عطف ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾^٣ عليه. ويجوز أن تكون شرطية لا سيما وهي في معنى التفصيل لقوله: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. فإن كانت شرطية فاقتران ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ بالفاء بيِّن، وإن جعلت موصولة فالفاء لمعاملة الموصول معاملة الشرط، والاستعمالات متقاربان»^٤.

﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». أي ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ من المرسل إليهم بالاعتقادات الحقَّة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْلَحَ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَ﴾. ﴿أَصْلَحَ﴾ أي فَعَلَ الصَّلاحَ من طاعة الله تعالى

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٨.

٢. مواهب الرحمن ١٣/٣٢٦.

٣. سورة الأنعام / ٤٩.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٨.

في ما أمر ﷺ ونهى عنه. إطلاقه يشمل الأعمال الصالحات والاخلاق الفاضلة.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط بناءً على شرطية ﴿مَنْ﴾، وبناءً على غيرها تفرعية.
﴿لَا﴾ نافية. ﴿خَوْفٌ﴾ مبتدأ.
﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر. بالنسبة إلى المستقبل والعالم الآخرة.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.
﴿تَحْزَنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. بالنسبة إلى ما مضى عليهم في الدنيا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

بيان لحال المكذبين بآيات الله ورسله وما جاؤوا به من المعارف والعقائد والأحكام والشريعة.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ في الآية السابقة.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿كَذَبُوا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿بِآيَاتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَذَبُوا﴾.
﴿يَمَسُّهُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به. «المس: حقيقته مباشرة الجسم باليد وهو مرادف للمس»^١ وهنا استفارة لإدراك ﴿الْعَذَابُ﴾.
﴿الْعَذَابُ﴾ فاعله. والجملة ﴿يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ﴾ خبر.
﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿يَفْسُقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾. ﴿مَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بتأويل مصدر تقديره: بسبب فسقهم، جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَمَسُّهُمْ﴾. والفسق خروج عن

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٠٩.

الحدود الشرعية «وجيء بخبر ﴿كَانَ﴾ جملة مضارعية للإشارة إلى أن فسقهم كان متجدداً متكرراً، على أن الإتيان بـ ﴿كَانَ﴾ أيضاً للدلالة على الاستمرار لأن ﴿كَانَ﴾ إذا لم يقصد بها انقضاء خبرها فيها مضى دلّت على استمرار الخبر بالقرينة، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^٢.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

«طلب المشركون من النبي ﷺ أن يخبرهم بالغيب ويفجر الينابيع، ويأتي بالملائكة، ويرقى إلى السماء، ويسقطها عليهم، وما إلى ذلك مما لا يمت إلى موضوع الرسالة بصلة فأنزل الله سبحانه هذه الآية وأمره النبي أن يقول لهم: انه ليس بآله، ولا ملك، وإنما هو بشر يوحى إليه وكفى.

وبتعبير ثان ان لآله صفات تخصه، ومنها انه قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، وأيضاً للملك صفات تخصه، ومنها انه يرقى إلى السماء، ولا يأكل الطعام، ولا يمشي في الأسواق، أما الرسول فهو بشر كسائر الناس، وإنما يمتاز عنهم بنزول الوحي عليه من ربه، مبشراً من استجاب له بحسن الثواب، ومنذراً من أعرض بسوء العقاب، وليس من موضوع الرسالة واختصاصها أن يتنبأ بالغيب، ويأتي بالخوارق، فالخلط بين صفات الله وصفات ملائكته ورسله جهل وعمى»^٣.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأكرم ﷺ . وما

١. سور النساء/ ٩٦ و ١٠٠ و ١٥٢؛ الفرقان/ ٧٠؛ الأحزاب/ ٥ و ٥٠ و ٥٩ و ٧٣؛ الفتح/ ١٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٠٩.

٣. تفسير الكاشف ٣/ ١٩٣.

بعده مقول القول.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿أَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». أي: لا أدعي.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَقُولُ﴾. والضمير الخطاب يرجع إلى المشركون الكافرين. واللام للتبليغ «وهي مفيدة تقوية فعل القول عندما لا تكون حاجة لذكر المواجه بالقول كما هنا لظهور أن المواجه بالقول هم المكذبون»^١.

﴿عِنْدِي﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. خبر مقدم.

﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. «الخزائن: جمع خزانة - بكسر الخاء -

وهي البيت أو الصندوق الذي يحتوي ما تتوق إليه النفوس وما ينفع عند الشدة والحاجة»^٢.

«خزن الشيء إحرازه بحيث لا تناله الأيدي، والمراد منها تلك التي لها ارتباط بشؤون خلقه من النعم الباطنية والظاهرية، كالمعارف والرزق ونحوه، وقد بين ﴿كَانَ﴾ في مواضع متعددة من كتابه المجيد كثير من مصاديقها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾^٣، وهو يدل على الرزق، ومن آثار ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾^٤. وأن مصدرها (كن) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٥، فإنه المبدأ الفيّاض القادر على كل شيء، وإِنَّمَا يتقدّر حسب الاستعدادات والقابليات، كما نبّه إليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١١٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١١٠.

٣. سورة الإسراء / ١٠٠.

٤. سورة فاطر / ٢.

٥. سورة يس / ٨٢.

نُزِّلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ^١، فتكون خزائنه سبحانه مقدوراته، تتَّصَف بالملاء فلا نقص فيها، والبقاء والدوام دون نفاذ، والشمول بدون تقييد وتحديد، فهي الكاملة التامة بغير تناء، ومن دون احتياج إلى الغير، ولا يعجزه بذل وساحة، فهي الكاملة التامة بغير تناء، ومن دون احتياج إلى الغير، ولا يعجزه بذل وساحة، ولا تنفذ بإعطاء وجود^٢. بل ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿أَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». والمراد بنفي العلم هنا «الاستقلال به من غير تعليم بوحى»^٤. وهكذا الغيب المطلق دون «الإضافي الذي يمكن الشخصية التي تجرد النفس عن المادة، فتعلم ما وراءها بقدر الإمكانيات المتاحة لها، أو تعلم ما يؤدِّي إليه»^٥.

﴿الْغَيْبِ﴾ مفعول به. «الغيب خلاف الحضور والشهود، فكلمها لم يكن حاضراً في المدارك الجسائية ومشهوداتها، يكون في الغيب، ولكنه ثابت في الواقع بتمام معنى الثبوت والتحقق»^٦. قال الله تعالى: ﴿عَلِمُوا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٧ وقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٨ وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^٩ وقال: ﴿عَلِمُوا

١. سورة الحجر / ٢١.

٢. مواهب الرحمن / ١٣ / ٣٢٨ و ٣٢٩.

٣. سورة المنافقين / ٧.

٤. الميزان / ٧ / ٩٥.

٥. مواهب الرحمن / ١٣ / ٣٣٢.

٦. مواهب الرحمن / ١٣ / ٣٣٠.

٧. سورة التغابن / ١٨.

٨. سورة هود / ١٢٣.

٩. سورة التوبة / ٧٨.

أَلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۗ^١.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ سبق إعرابها ومعناها.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿مَلِكٌ﴾ خبره. أي لا أدعي ﴿إِنِّي مَلِكٌ﴾ من الملائكة لأتّمهم «يتوهمون أنّ الرسالة تقتضي أنّ يكون الرسول من غير جنس البشر فلذلك قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^٢. فالمعنى نفي ماهية الملكية عنه لأنّ لجنس الملك خصائص أخرى مغايرة لخصائص البشر»^٣.
﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى «ما».

﴿اتَّبَعُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». الإلتباع الحقيقي هو المشي خلف المتبّع وهنا مجاز مرسل في الاقتصار على الشيء لأنّه من لوازم الإلتباع الحقيقي.
﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. أي: ليست الرسالة ﴿إِلَّا﴾. والحصر هنا إضافي «أي دون الإشتغال بإظهار ما تقترحونه من الخوارق للعادة. والغرض من القصر قلب اعتقادهم أنّ الرسول لا يكون رسولا حتّى يأتيهم بالعجائب المسؤولة»^٤.
﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به.

﴿يُوحَىٰ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». والوحي: هو الكلام الخفي.

﴿إِلَىٰ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُوحَىٰ﴾.
﴿قُلْ﴾ ختام للمجادلة معهم وتذييل لما ورد صدر الآية.
﴿هَلْ﴾ استفهام إنكاري. ﴿يَسْتَوِي﴾ فعل مضارع.

١. سورة الجن / ٢٦ و ٢٧.

٢. سورة الفرقان / ٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١١١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١١٢.

﴿الْأَعْمَى﴾ فاعل، شبه الكافر بـ ﴿الْأَعْمَى﴾ .
﴿وَالْبَصِيرُ﴾ معطوف بالواو على ﴿الْأَعْمَى﴾ . وشبه المؤمن بـ ﴿الْبَصِيرُ﴾ .
﴿أ﴾ استفهام توبيخي . ﴿ف﴾ تفرعية على عدم التساوي . ﴿لَا﴾ نافية .
﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله . «التفكر: جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح»^١ .

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

«أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن ينذر بهذه الآيات أي يخوف بها من هو مقرر بالبعث والنشور من المؤمنين، ومن يقرّ بذلك من الكفار ويعتقد أنه لا معونة، عند الشركاء يومئذ، لأنّ الأمر هناك له تعالى وحده. وقد كان خلق من مشركي العرب يعتقدون ذلك، فأمر الله أن يخص هؤلاء بالإنذار، لأنّ الحجة لهم ألزم وان كانت لازمة للجميع»^٢ .

وبعبارة أخرى: الآية الشريفة «إنّما تحرض النبي ﷺ على إنذار كلّ من شاهد في سببها علائم الخوف من أي طائفة كان لأن بناء الدعوة الدينية على أساس الحشر وإقامة المحاسبة على السيئة والحسنة والمجازاة عليهما، وأدنى ما يرجى من تأثير الدعوة الدينية في واحد أن يجوزه فيخافه، وكلّما ازداد احتمال وقوعه ازداد الخوف وقوي التأثير حتى يتلبس باليقين وينتفي احتمال الخلاف بالكلية، فهناك التأثير التام»^٣ .

١ . تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١١٢ .

٢ . التبيان ٤ / ١٤٣ .

٣ . الميزان ٧ / ٩٩ .

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ في الآية السابقة.

﴿أَنْذِرْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم ﷺ .
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْذِرْ﴾. والضمير راجع إلى القرآن بدلالة قوله تعالى ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ في الآية السابقة.
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿تَخَافُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الظاهر أن المراد بالخوف معناه المعروف وهو صفة نفسانية تحصيل من مجرد الاحتمال الذي يجتمع مع الظن والشك وغيرهما، دون العلم وما في معناه إذ لا دليل عليه.
 ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تُحْشِرُونَ﴾ فعل مضارع منصوب مبني للمجهول ونائب فاعله، بتأويل المصدر أي الحشر في محل نصب مفعول به ﴿تَخَافُونَ﴾.
 ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تُحْشِرُونَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ تَخَافُونَ﴾ الحشر.

«والأمر بإنذار خصوص ﴿الَّذِينَ تَخَافُونَ أَنْ تُحْشِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لا ينافي عموم الإنذار لهم ولغيرهم كما يدل عليه قوله في الآيات السابقة: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^١ بل لما كان خوف الحشر إلى الله معيناً لنفوسهم على القبول ومقرباً للدعوة إلى أفهامهم أفاد تخصيص الأمر بالإنذار بهم ووصفهم هذا الوصف تأكيداً لدعوتهم وتحريضاً له أن لا يسامح في أمرهم ولا يضعهم موضع غيرهم بل يخصصهم بمزيد عناية بدعوتهم لأن موقفهم أقرب من الحق وإيمانهم أرجى فالآية بضميمة سائر آيات الأمر بالإنذار العام تفيد من المعنى: أن أنذر الناس عامة ولا سيما

﴿الَّذِينَ تَخَافُونَ أَنْ تُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^١.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿لَيْسَ﴾ المقدم.

﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، في محل نصب حال مقدم من ﴿وَلِيٍّ﴾ و

﴿شَفِيعٌ﴾ والعامل في الحال فعل ﴿تَخَافُونَ﴾ أي ليس لهم ﴿وَلِيٍّ﴾ ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ الله ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ ﴿مِّنْ دُونِ﴾ الله.

﴿وَلِيٍّ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾ المؤخر. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد معنى النفي. ﴿شَفِيعٌ﴾ معطوف على ﴿وَلِيٍّ﴾.

والجملة ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ حال من ضمير ﴿أَنْ تُحْشَرُوا﴾ أي ﴿تُحْشَرُوا﴾ في هذه الحالة وهي داخلة في حيز الخوف، و«بيان لنفي الولاية مطلقاً عن غيره سبحانه ممن يدعيه المشركين وغيرهم من الكافرين، إلا إذا أذن الله لمن اصطفاه بالشفاعة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٣، وغير ذلك من الآيات الكريمة التي بها يقيد إطلاق النفي في آية المقام....

والآية تبين حقيقة من الحقائق الإلهية، وهي انحصار الشفاعة فيه ﷻ، وتبين بطلان ما يعتقده المشركون في الأوثان والأنداد، بإثبات الولاية لها وشفاعتها على نحو الاستقلال، من دون جعلٍ وإذن، لأن الاستقلال فيهما يتبع العلم والتوحيد والنبوة، وهم ينفونها ولا يعتقدون بهما، وقد عرفت... أن المشركين أثبتوا للشركاء والأنداد صفات معينة، تضاهي بعض صفات الله تعالى، لا سيما تلك التي تثبت استقلالها في

١. الميزان ٧/ ٩٨.

٢. سورة البقرة / ٢٥٥.

٣. سورة الزخرف / ٨٦.

التصرّف، والقدرة ممّا دعاهم إلى اعتقاد الولاية والشفاعة لها وإن كانت مخلوقة. وإنّ إيجادها يستلزم الإذن في الولاية بالتصرف والشفاعة اضطراراً حسب اعتقادهم. ومن هنا يظهر الوجه في عدم ذكر الاستثناء في المقام، لأنّ السياق في المقام يقتضي النفي المطلق للولاية والشفاعة عن غيره ﷺ، إبطالاً لاعتقادهم في الشركاء والأوثان بأنّها أولياء وشفعاء، من غير تقييد بالإذن منه ﷺ، فالاستثناء في غير هذا الموضع وإن كان يستدعيه السياق، وهو في المقام يقتضي عدمه»^١.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿يَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ «تعليل للأمر بالإندار، أي لكي يتقوا الله بالخوف من مقامه، والانتفاء عن الكفر والتقول على الله سبحانه من غير علم، والثبات على الإيمان، وتخصيص التقوى بالذكر، لأنّ يتخلّص عن الملكات السيئة ويتحصّل على الكمالات»^٢.

رواية

الطبرسي رفعه إلى الصادق عليه السلام أنّه قال: أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربّهم ترغيبهم فيما عنده فإنّ القرآن شافع مشفع لهم.^٣

١. مواهب الرحمن ١٣/٣٣٨ و ٣٣٩.

٢. مواهب الرحمن ١٣/٣٣٩.

٣. مجمع البيان ٣/٣٠٤.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

نهى الله نبيه ﷺ عن طرد الطبقات الاجتماعية الضعيفة وعدّ طردها من الظلم فتكون وظيفة النبي ﷺ الاستواء بين الناس «بالنسبة إلى أصل التبليغ، ومعرفة الشريعة والأحكام الإلهية، من دون فرق بينهم لا من حيث القوة والضعف، ولا الغنى والفقر، ولا السيادة والعبودية، ولا الرئاسة وغيرها مما هو دائر في المجتمع الإنساني، فهو يبلغ دين الله وما أوحى الذي يستوي فيه الجميع على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم، كيف وقد أرسل ﷺ رحمة للعالمين»^١.

﴿وَ عَظَفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿لَا تَطْرُدِ﴾ فعل نهي وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم ﷺ.
«طَرَدْتُ الرَّجُلَ طَرْدًا إِذَا أَبْعَدْتَهُ»^٢.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿يَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. المراد بالدعاء هنا الصلاة في الوقتين كما عن الضحاك^٣ أو الذكر كما عن إبراهيم^٤ وصفهم بأثم أهل الذكر أو التحميد والتسبيح

١. مواهب الرحمن ١٣ / ٣٤٠.

٢. تلخيص الذهب من لسان العرب ٢ / ٤٤٥.

٣. نقل عنهم الشيخ الطوسي في التبيان ٤ / ١٤٤.

٤. نقل عنهم الشيخ الطوسي في التبيان ٤ / ١٤٤.

٢٨٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السابع

كما عن قوم^١ أو المعنى الغوي من الدعا وهو الجامع بين الأقوال الثلاثة وهو الظاهر.
﴿رَبَّهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿بِالْغَدْوَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَدْعُونَ﴾. «الغداة والغدوة ما بين طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس»^٢. والباء للظرفية. و «ال» للجنس.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْعَشِيِّ﴾ معطوف على ﴿الْغَدْوَةِ﴾. «والعشي من المغرب إلى العشاء»^٣. أو «من
الزوال إلى الصباح»^٤. قصد ﴿بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ استيعاب الزمان، كما يقصد بالمشرق
والمغرب استيعاب الأمكنة.^٥

﴿يُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. حال من فاعل ﴿يَدْعُونَ﴾، أي ﴿يَدْعُونَ﴾
مخلصين ﴿يُرِيدُونَ﴾.

﴿وَجِهَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الضمير يرجع إلى ﴿رَبَّهُمْ﴾. «والوجه هنا
مستعار للذات على اعتبار المضاف أي يريدون رضى الله»^٦. أي «أنهم يريدون بعبادتهم
الله خالصاً»^٧ و ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ بالإخلاص.

﴿مَا﴾ نافية.

﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور والخطاب للرسول الأعظم ﷺ، خبر مقدم.

﴿مِنْ﴾ حرف جر، تبعيضية أو بيانية.

﴿حَسَابِهِمْ﴾ مجروره ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

١. نقل عنهم الشيخ الطوسي في التبيان ٤ / ١٤٤.

٢. التفسير الكاشف ٣ / ١٩٢.

٣. التفسير الكاشف ٣ / ١٩٢.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١١٥.

٥. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١١٥.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١١٦.

٧. التبيان ٤ / ١٤٤.

مبتدأ مؤخر. الحساب: «مصدر حاسب والمراد به تتبع الأعمال والأحوال والنظر فيما تقابل به جزاء»^١.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حِسَابِهِمْ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿مِنْ﴾ زائدة للتوكيد.

﴿حِسَابِكَ﴾ مجرور بـ ﴿مِنْ﴾ ومضاف إليه. مبتدأ. معطوف على ﴿حِسَابِهِمْ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور. خبر.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حِسَابِكَ﴾.

«وقد اجتمع في هذا الكلام خمسة مؤكّدات. وهي ﴿مِنْ﴾ البيانية، ﴿مِنْ﴾

الزائدة، وتقديم المعمول، وصيغة الحصر في قوله ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾،

والتأكيد بالتّتميم بنفي المقابل في قوله: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، فإنّه شبيه

بالتوكيد اللفظي. وكلّ ذلك للتنصيص على منتهى التبرئة من محاولة إجابتهم

لاقتراحهم»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿تَطْرُدُهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء وفاعله ضمير

مستتر «أنت» ومفعول به.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب النهي ﴿لَا تَطْرُدْ﴾.

﴿تَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بـ «أن» مضمرة واسمه ضمير مستتر

«أنت».

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿تَكُونُ﴾. الدخول في جماعة

﴿الظَّالِمِينَ﴾ متفرع على طرد ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١١٦.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١١٨.

شأن نزولها

قال القمي: كان سبب نزولها أنه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون، يُسمّون أصحاب الصُّفّة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صُفّة يأوون إليها، وكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بنفسه، وربّما حمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يَخْتَلِفون إلى رسول الله ﷺ فيقرّبهم، ويقعد معهم، ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك، ويقولون له: اطردهم عنك!

فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب الصُّفّة قد لزق برسول الله ﷺ: تقدّم. فلم يفعل! فقال له رسول الله ﷺ:

لعلك خفت أن يلزق فقره بك؟! فقال الأنصاري: اطرده هؤلاء عنك!

فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾

الآية ١.

وقال الطوسي: سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن مسعود وغيره: ان ملأ من قريش - وقال الفراء: من الكفار، منهم عيينة بن حصين الغزالي - دخلوا على النبي ﷺ وعنده بلال وسلمان وصهيب وعمار، وغيرهم، فقال عيينة بن حصين يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك، لأتاك أشراف قومك، وأسلموا، وكان ذلك خديعة منهم له وكان الله تعالى عالماً ببواطنهم. فأمر الله نبيّه أن ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ يعني أنّه نهاه عن طردهم لأنّهم يريدون بإسلامهم ودعائهم وجه

الله. ٢.

١. تفسير القمي ١/٢٩٦.

٢. التبيان ٤/١٤٤.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَذَا الَّذِي كَذَّبْنَا عَنْ آلِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ أَمْ نَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا مِثْلَ مَا قَالُوا لِيُقَدَّرَ﴾
 ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

خلق الله الانسان بالتفاوت والاختلاف في جهات متعددة بحكمته وقدرته الغير متناهية لاستقرار النظام البشري على قوائمه وأسسها، وهذا التفاوت والاختلاف إنَّما هو امتحان إلهي وابتلاء رباني يمتحن الإنسان بها ويختبر بها نفوسهم، وفي هذه الكريمة أخبر الله تعالى «أنَّه يمتحن الفقراء بالأغنياء والأغنياء بالفقراء فيختبر صبر الفقراء على ما يرون من حال الأغنياء وإعراضهم عنهم إلى طاعة الرسل ويختبر شكر الأغنياء وإقرارهم لمن يسبقهم من الفقراء، والموالي والعبيد إلى الإيمان بالرياسة في الدين والتقدم فيه»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿كَذَلِكَ﴾ «الكاف» بمعنى «مثل» في محل نصب صفة لمصدر محذوف بمعنى «فتننا فتناً» مثل ذلك. «ذا» اسم إشارة في محل جر بالاضافة «اللام» للبعد و«الكاف» حرف خطاب. ﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ. والتشبيه للتعجب من المشبه بأنه بلغ الغاية في العجب. واسم الإشارة عائد إلى «الفتون» المأخوذ من ﴿فَتَنَّا﴾ أي ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ فتوناً. وجيء باسم الإشارة للبعد بجهة الدلالة على عظم المشار إليه. ﴿فَتَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله. خبر. الفتنة هنا الامتحان والاختبار والابتلاء، واختبار الله لعبده أن يظهره لنفسه أو لغيره على ما في ضميره وحقيقته بطريق أعماله وأفعاله وأقواله.

﴿بَعْضَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد بهذا البعض المشركون المترفون

المفتونون أو جميع الناس والثاني أظهر.

﴿بِ﴾ للسببية.

﴿بَعْضٍ﴾ مجرور به حرف جر ﴿بِ﴾. والمراد به المؤمنون الفقراء.

﴿إِ﴾ حرف جر للتعليل أو العاقبة.

﴿يَقُولُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿إِ﴾ التعليل وفاعله.

«أن» ﴿يَقُولُوا﴾ يتأول إلى المصدر مع ﴿إِ﴾ التعليل «لقولهم» جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَتَنَّا﴾.

﴿أَ﴾ حرف استفهام مستعمل في التعجب والانكار.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم اشارة. مبتدأ. مستعملة في التحقير والتعجيب.

﴿مَبِّ﴾ فعل ماض.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ومنة الله هنا الإيذان والتفضيل والتقدم به إلى الله ورسوله ﷺ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَبِّ﴾. والجملة ﴿مَبِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ خبر.

﴿مِنْ بَيْنَنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿مَبِّ﴾. ﴿مِنْ﴾ ابتدائية.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف يدل على التوسط. «أي ﴿مَبِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ مختاراً لهم ﴿مِنْ﴾ وسطنا أي

﴿مَبِّ﴾ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وتركنا، فيؤول إلى معنى من دوننا^١. وبه تمت مقالتهم.

﴿أَ﴾ استفهام تقريرى. بيان لملاك التفاضل بينهم والمنة عليهم.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿بِ﴾ حرف جر. «عديّ ﴿أَعْلَمَ﴾ بالباء لأنه بصيغة التفضيل صار قاصراً^٢ أي

لازمًا.

﴿أَعْلَمَ﴾ اسم مجرور بحرف جر ﴿بِ﴾ ولكنه ممنوع من الصرف للتفضيل ولأنه

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٢٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٢٣.

بوزن الفعل، في محل نصب خبر ﴿لَيْسَ﴾.

﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْلَمَ﴾. والمراد بهم المؤمنون الذين أغلبهم كانوا من الفقراء والضعفاء بدلالة قوله تعالى حكاية عن يوسف النبي ﷺ: ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^١ حيث سمى الله تعالى توحيدَه ونفي الشريك عنه شكراً، وهنا سمى الإيمان شكراً، لأنه شكرٌ عمليٌّ على جميع نعم الله تعالى حيث يقرُّ أن كلَّها من الله سبحانه.

«فالآية تبيِّن أنهم بجهالتهم بينون الكرامة والعزَّة على التقدُّم في زخارف الدنيا من مال وبينين وجاه، ولا قدر لها عند الله ولا كرامة، وإنَّها الأمر يدور مدار صفة الشكر والنعمة بالحقيقة هي الولاية الإلهية»^٢.

تنبيه

وفي تفسير القمي فسَّر الآية على عكس ما ذكرنا ولا بأس به، قال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي اختبرنا الأغنياء بالغنى، لننظر كيف مُواساتهم للفقراء، وكيف يُخرجون ما فرض الله عليهم في أموالهم، واختبرنا الفقراء لننظر كيف صبرهم على الفقر وعمَّا في أيدي الأغنياء ﴿لَيَقُولُوا﴾ أي الفقراء ﴿أَهْتُولَاءِ﴾ الأغنياء قد ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَبِينُنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^٣.

وقد مرَّ منا أن ارجاع ضمير ﴿بَعْضَهُمْ﴾ إلى جميع الناس هو الأظهر عندي والله

العالم.

١. سورة يوسف / ٣٨.

٢. الميزان / ٧ / ١٠٤.

٣. تفسير القمي / ١ / ٢٩٧.

رواية

قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة: ... فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته، واتّعظوا بمثاوي خدودهم، ومصارع جنوبيهم، واستعيذوا بالله من لواقح الكبر، كما اتستعيذونه من طوارق الدهر، فلو رخص الله في الكبر لأحدٍ من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه، ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين، قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره، فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة، والاختبار في مواضع الغنى والافتقار، فقد قال سبحانه: ﴿أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائهم المستضعفين في أعينهم.١

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

تكريم للمؤمنين وتلطّف بهم، بعد النهي الوارد عن طرد المؤمنين، أمر الله رسوله ﷺ أن يسلم عليهم ويبشّر مَنْ تَابَ مِنْهُمْ عن سيئة بمغفرة من الله ورحمته

حتى يسكن طيش^١ نفوسهم.

﴿وَ عَاطِفَةً، عطف على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾^٢.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه منصوب بجوابه.

﴿جَاءَكَ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم. والخطاب للرسول الأعظم ﷺ.

﴿الَّذِينَ﴾ فاعل. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يدل على الاستمرار.

﴿بِقَائِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والآيات يشمل الرسول ﷺ والقرآن

المجيد والأحكام الشرعية التعبديّة وغيرها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يا رسول الله ﷺ.

﴿سَلِّمْ﴾ مبتدأ. السلام: اسم مصدر بمعنى الأمان.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر. و «على» هنا للدلالة على تمكّن التلبس بالأمان

أي الأمان مستقر منكم متلبس بكم، أي لا تخف.

﴿كَتَبَ﴾ فعل ماضٍ. والمراد بالكتابة هنا: الإيجاب وعدم الانفكاك.

﴿رَبُّكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿كَتَبَ﴾.

﴿الرَّحْمَةَ﴾ مفعول به.

﴿أَنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. «قرأه نافع، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب

- بفتح الهمزة - على أنه بدل من ﴿الرَّحْمَةَ﴾ بدل اشتغال، لأنّ الرحمة العامّة تشتمل على

غفران ذنب من عمل ذنباً ثمّ تاب وأصلح. وقرأه الباقون - بكسر الهمزة - على أن

١. الاضطراب والغصة.

٢. سورة الأنعام / ٥٢.

يكون استثناءً بيانياً لجواب سؤال متوقع عن مبلغ الرحمة^١.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتنا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿عَمِلَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، فعل الشرط.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوف لاسم شرط ﴿مَنْ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾.

﴿سُوءًا﴾ مفعول به. السوء: العمل الذي تسوء عاقبته، الخطيئة.

﴿بِ﴾ للملابسة.

﴿جَهْلًا﴾ مجرور ﴿بِ﴾ يتعلقان بـ ﴿عَمِلَ﴾. «المراد بالجهالة ما يقابل الجحود والعناد اللذين هما من التعمد المقابل للجهالة فإن من يدعو ربه بالغداة والعشي يريد وجهه وهو مؤمن بآيات الله لا يعصيه تعالى استكباراً واستعلاء عليه بل لجهالة غشيته باتباع هوى في شهوة أو غضب»^٢.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿تَابَ﴾ معطوف على ﴿عَمِلَ﴾. التوبة: الندم على الذنب والرجوع عنه.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَابَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿سُوءًا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْلَحَ﴾ معطوف على ﴿تَابَ﴾. أي اصلاح الفعل إن كان يحتاج إلى اصلاح ويرجع إلى حقوق الناس وإلا بالنسبة إلى حقوق الله يكفى التوبة والندم على الذنب فقط.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿أَنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٢٥.

٢. الميزان ٧/ ١٠٥.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراً ﴿أَنَّهُ﴾. وهما من صفات الله ويظهر أثره التام بعد توبه العبد بغفرانه ونزول رحمته عليه.

والآية الشريفة تتعرض للتوبه عن المعاصي دون الكفر والشرك بدليل قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ﴾ أي المؤمنين بآيات الله.

روايتان

في تفسير الخبري بسنده عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الآية نزلت في علي عليه السلام وحزرة وجعفر وزيد.^١

وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: رحِمَ الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت، فإنَّ التوبة مُطَهِّرة من دَنَسِ الخِطِيئةِ، ومُنْقِذَةٌ من شَفَا الهَلَكَةِ، فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين، فقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^٢ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^٣ ٤.

﴿وَكَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾

«ذكر سبحانه في كتابه صفات الصالحين، وأيضاً ذكر صفات المجرمين، ليظهر كلَّ فئة بسماحتها... هذا، إلى أن معرفة إحدى الفئتين تستدعي معرفة الأخرى، تماماً

١. تفسير الخبري / ٢٦٥، ح ٢٦.

٢. سورة الأنعام / ٥٤.

٣. سورة النساء / ١١٠.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٩٩، ح ٢٧.

كالهداية والضلالة»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة عطف على قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم

بِبَعْضٍ﴾^٢.

﴿كَذَلِكَ﴾ مرّ اعرابه في آية ما قبل السابقة. مبتدأ.

﴿نُفِصِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». «التفصيل: التبيين

والتوضيح مشتق من الفصل وهو تفرّق الشيء عن الشيء»^٣. وهو هنا تخلص المعارف والأحكام الإلهية من الإبهام والاندماج وإيضاحها.

﴿الآيَاتِ﴾ مفعول به.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على علة مقدره دلّ عليها قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُفِصِلُ الْآيَاتِ﴾.

﴿لِ﴾ للغاية.

﴿تَسْتَبِينُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿لِ﴾.

الاستبانة: بان الشيء واستبان: وَضَحَ وَظَهَرَ.

﴿سَبِيلُ﴾ فاعله. تأنيث السبيل وتذكيره لغتان مشهورتان، أي الطريق والسيرة.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ مضاف إليه. الظاهر أنّ المراد بهم هنا المشركون بقريظة ﴿وَإِذَا جَاءَكَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِقَائِبَتِنَا﴾^٤.

١. التفسير الكاشف ٣/ ١٩٧.

٢. سورة الأنعام / ٥٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٢٦.

٤. سورة الأنعام / ٥٤.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ
قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

«هذه الآية فيها خطاب للنبي ﷺ وأمر له بأن يقول للكافرين: ان الله قد نهاني أن أعبد هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله وتدعونها آلهة وأنها تقربكم إلى الله زلفى، وأن يقول لهم أنني لا أتبع أهواءكم في عبادة الأوثان، وأني لو فعلت ذلك لكنت قد ظلمت عن الصواب، وبعدت عن الرشد ولم أكن من المهتدين إلى الخير والصلاح»^١.

وتبيين لـ ﴿سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ في الآية السابقة.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». والخطاب للرسول الأعظم ﷺ

والجملة بعده مقول القول.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿نُهَيْتُ﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. وحُذِفَ الفاعل وهو الله تعالى إجلالاً

له. النهي هنا بمعنى الزجر والصراف.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿أَعْبُدَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أَنْ» وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به. «أجري على الأصنام اسم الموصول

الموضوع للعقلاء لأنهم عاملوهم معاملة العقلاء فأتى لهم بما يحكي اعتقادهم، أو

لأنهم عبدوا الجنّ وبعض البشر فغلب العقلاء من معبوداتهم»^٢.

﴿تَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي تعبدونهم.

١. التبيان ٤/ ١٥٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٢٨.

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ تَدْعُونَ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» ضمير مستتر. «استئناف آخر ابتدائي، وقد عدل عن العطف إلى الاستئناف ليكون غرضاً مستقلاً. وأعيد الأمر بالقول زيادة في الاهتمام بالاستئناف واستقلاله ليكون هذا النفي شاملاً للتَّبَاع في عبادة الأصنام وفي غيرها من ضلالتهم كطلب طرد المؤمنين عن مجلسه»^١. وما بعد ﴿ قُلْ ﴾ بيان ملاك النهي عن عبادة الأوثان وشركائهم.

﴿ لَا ﴾ نافية. ﴿ اتَّبِعْ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ أَهْوَاءٌ ﴾ جمع هوى: المحبة المفرطة. والضمير يرجع إلى ﴿ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾.

﴿ قَدْ ﴾ حرف تحقيق. ﴿ ضَلَلْتُمْ ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿ إِذَا ﴾ حرف جواب لشرط مقدر، أي ﴿ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أتبع ﴿ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ ﴿ إِذَا ﴾ ﴿ قَدْ ضَلَلْتُمْ ﴾.

﴿ وَ ﴾ حرف عطف.

﴿ مَا ﴾ نافية، عطف على ﴿ قَدْ ضَلَلْتُمْ ﴾ للدلالة على أنه جزء آخر للشرط المقدر.

﴿ أَنَا ﴾ مبتدأ.

﴿ مِنَ الْهَادِينَ ﴾ جار ومجرور، خبر.

﴿ إِنَّ الْعُدُولَ إِلَى الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ ﴾ وَمَا أَنَا مِنَ الْهَادِينَ للدلالة على الاستمرار والدوام، أي دوام النفي، ولبيان سلب التوفيق عنه. والمراد وما أنا إذا في شيء من الهدى حتى أُعَدَّ في عداد المهتدين، وفيه التعريض بأنهم كذلك»^٢.

والحاصل هذه الآية «بيان تام معلل للنهي أو الإنتهاء عن عبادة أصنامهم، وهو

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٢٨.

٢. مواهب الرحمن ١٣/ ٣٧٧.

أنّ في عبادتها اتباعاً للهوى، وفي اتباع الهوى الضلال والخروج عن صف المهتدين بالهداية الإلهية»^١.

ولذا «روى أبو العالية أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية عند الكعبة وأظهر لهم المفارقة»^٢.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَاقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾

تبييناً على ما يجب اتّباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتّباعه، وأمرٌ من الله سبحانه لنبيه أن يقول للكفار: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاباً للنبي الأعظم ﷺ. وما بعده مقول القول.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه. والضمير يرجع إلى النبي الأعظم ﷺ.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿إِنِّي﴾. البينة هو الدلالة والحجة الواضحة، «البينة والبيان واحد»^٣ وهو الوضوح. «والأصل في معنى هذه المادة هو انعزال شيء عن شيء وانفصاله عنه بحيث لا يتصلان ولا يختلطان، ومنه البين والبون والبينونة وغير ذلك، قد سميت البينة بينة لأن الحقّ يبين بها عن الباطل فيتضح ويسهل الوقوف

١. الميزان ٧/ ١١٤.

٢. التبيان ٤/ ١٥٢.

٣. التبيان ٤/ ١٥٣.

عليه من غير تعب ومؤنة»^١.

﴿ مِنْ رَبِّي ﴾ جار ومجرور، صفة لـ ﴿بَيِّنَةٍ﴾. يفيد تعظيمها وكمالها.

﴿ وَ ﴾ حالية، والجملة بعدها حال من ﴿بَيِّنَةٍ﴾، أو عاطفة.

﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الكفار المشركين.

﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور. متعلق بـ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾. والضمير يرجع إلى القرآن الكريم

ولأنه يشمل الآيات والبراهين والبيّنات.

«والباء التي عدّي بها فعل ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ هي لتأكيد لصوق معنى الفعل

بمفعوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^٢. فلذلك يدلّ فعل التكذيب إذا

عدّي بالباء على معنى الإنكار، أي التكذيب القويّ»^٣.

﴿ مَا ﴾ نافية بمعنى «ليس».

﴿ عِنْدِي ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر مقدم ومضاف إليه. ﴿ مَا عِنْدِي ﴾ أي

ليس في مقدرتي لأنّي لست إلهاً ولكنّي عبد مرسل.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مبتدأ مؤخر.

﴿ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. «الاستعجال طلب التعجيل بشيء، فهو

يتعدّى إلى مفعول واحد، وهو المطلوب منه تعجيل شيء. فإذا أريد ذكر الأمر المعجل

عدّي إليه بالباء. والباء فيه للتعدية. والمفعول هنا محذوف دلّ عليه قوله: ﴿ مَا

عِنْدِي ﴾. والتقدير: تستعجلونني به»^٤.

﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾. «والذي استعجلوا به يحتمل

أمرين:

١. الميزان ٧/ ١١٤.

٢. سورة المائدة/ ٦.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٣٢.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٣٢.

أحدهما: العذاب، كما قال ﴿وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾^١.
 والثاني: أن يكونوا استعجلوا الآيات التي أفتروها عليه^٢.
 ﴿إِنْ﴾ النافية. ﴿أَلْحُكْمُ﴾ مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.
 ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر. تصريح بالقصر وأن الأمر بيد الله تعالى فقط
 من دون فرق بين الاتيان بالعذاب أو بالآيات المقترحة. «بيان لسبب النفي، ولذلك
 جيء فيه بالنفي والاستثناء المفيد للحصر ليدل بوقوع النفي على الجنس على أن ليس
 لغيره تعالى من سنخ الحكم شيء قط وأنه إلى الله سبحانه فحسب»^٣.
 ﴿يَقْصُصُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾، حال من
 ﴿لِلَّهِ﴾ أو استئناف. «مادة «قصص» تدل على التتبع في الأثر» و «أنه بمعنى تتبّع الحق في
 جميع أدواره وأطواره وعوالمه وسائر خصوصياته، وبيان جميع أحكامه، فلا يحكم إلا
 بما هو حق، فيكون دليلاً لثبوت الحكم، منحصرًا بالله تعالى، لأنه الحق، يبيّنه ويثبتته في
 القول والفعل. فهو ﴿حَقٌّ مطلقاً. وغيره يتبعه في الحق»^٤.
 ﴿الْحَقُّ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية.
 ﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾ خبر.
 ﴿الْفَصْلَيْنِ﴾ مضاف إليه. «يفصل بين الحق والباطل»^٥. الفصل: إبانة أحد
 الشئيين من الآخر. «والآية الكريمة تبين حقيقة إلهية في فعل عظيم من أفعال الله
 تعالى، الذي له مظاهر مختلفة في جميع العوالم، وهو الفصل بين الحق والباطل، وتمييزه

١. سورة الحج / ٤٧؛ سورة العنكبوت / ٥٤-٥٣.

٢. التبيان / ٤ / ١٥٣.

٣. الميزان / ٧ / ١١٤.

٤. مواهب الرحمن / ١٣ / ٣٨٣.

٥. تفسير القمي / ١ / ٢٩٨.

بهايته وآثاره ومظاهره»^١.

رواية

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: وقال الله لمحمد عليه السلام: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^٢ قال: لو أني أمرت أن أعلمكم الذي أخفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتي لتظلموا أهل بيتي من بعدي، الحديث^٣.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِالظَّالِمِينَ﴾

استئناف بياني لما ورد في الآية السابقة من الاستعجال بالعذاب أو بنزول الآيات المقترحة.

﴿قُلْ﴾ خطاباً للرسول الأعظم عليه السلام. ﴿لَوْ﴾ شرطية.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿عِنْدِي﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. خبر مقدم ﴿أَنَّ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل نصب اسم ﴿أَنَّ﴾ المؤخر.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ مرّ في الآية السابقة. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿قُضِيَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. أي تم وإنتهى.

١. مواهب الرحمن ١٣/٣٨٦.

٢. سورة الأنعام / ٥٨.

٣. الكافي ١٥/٨٣٢، ح ٥٧٥ (٨/٣٨٠).

﴿الْأَمْرُ﴾ نائب فاعله. ﴿الْأَمْرُ﴾ هنا بمعنى النزاع والخلاف.

﴿بَيْنِي﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. الضمير يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ .

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. معطوف على ﴿بَيْنِي﴾ . والضمير يرجع

إلى الكافرين المشركين.

والحاصل: «لو قدرتُ على ما تقترحونه عليَّ من الآية والحال أنَّها بحيث إذا نزلت على رسول لم تنفك عن الحكم الفصل بينه وبين أمته لقضي الأمر بيني وبينكم، ونجى بذلك أحد المتخاصمين المختلفين وعذب الآخر وأهلك، ولم يعدب بذلك ولا يهلك إلا أنتم لأنكم ظالمون، والعذاب الإلهي إنما يأخذ الظالمين بظلمهم، وهو سبحانه أنزه ساحته من أن يشتهه عليه الأمر ولا يميز الظالمين من غيرهم فيعذبني دونكم»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية في مقام التعليل. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر.

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْلَمُ﴾. تذييل وتكنية وتعليل بأنكم

ظالمون فأنتم المعذبون، لأنَّ العذاب الألهي لا يشمل إلا الظالمين. اشارة إلى ما تقدم من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾^٢.

١. الميزان ٧/ ١٢٣.

٢. سورة الأنعام / ٤٧.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^١

تتضمن هذه الآية الشريفة واثنان من بعدها بعض من «الصفات الإلهية التي تفرد بها الله سبحانه وتعالى، فاستحق بها الألوهية والربوبية العظمى، فقد أثبتت سعة علمه الذي تعلق بما سواه من الكليات والجزئيات، فهو يملك مفاتيح الغيب، ويعلم الغيب والشهود، يتصرف في الخلق بما يشاء، وهو القاهر فوق عباده، لا يشاركه أحدٌ منهم فيما اتصف به، وأن مرجع الخلق كلهم إليه، فيحاسبهم على ما عملوا ثم يجازيهم عليه، ولا أحد من آلهة المشركين يكون كذلك، فكانت الآيات حجةً أخرى دامغة على بطلان عقيدة المشركين وفساد عبادتهم، ومنه يظهر وجه الارتباط بما سبق من الآيات التي أثبتت له ﷻ الحكم الفصل والقضاء الحق، وأن ذلك يستلزم أن يكون عالماً بالغيب، وجميع ما يرتبط بشؤون خلقه، مالكاً لزامهم، متسلطاً عليهم تسلط قدرة وقهارية»^١.

﴿وَ﴾ استثنافية.

﴿عِنْدَهُ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه، خبر مقدم وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

﴿مَفَاتِحُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿مَفَاتِحُ﴾ جمع مَفْتَح وهو الخزينة، ﴿مَفَاتِحُ﴾: الخزائن. ﴿الْغَيْبِ﴾ مضاف إليه. ﴿الْغَيْبِ﴾: المغيبات «التي هي محجوبة عن الخلق وهي

عند الله العالم بها شهود محض يتصرّف فيها بما يشاء»^١.

﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ فعل نفي وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿مَفَاتِحُ﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿هُوَ﴾ بدل من فاعل ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ أو فاعله وتقديره: ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ أحد ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

وجملة ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ يدلّ على تأكيد الحصر المستفاد من ﴿عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، معطوف على ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾.

﴿مَا﴾ مفعول به. ﴿فِي الْبَرِّ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَعْلَمُ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْبَحْرِ﴾ معطوف على ﴿الْبَرِّ﴾. يستفاد من عطفها العلم والاحاطة بجميع ما

حوته هذه الكرة الأرضية من الأمور الكلية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿تَسْقُطُ﴾ فعل مضارع. ﴿مِنْ﴾ حرف جر زائدة، تأكيد.

﴿وَرَقَةٍ﴾ مجروره، في محلّ رفع فاعل ﴿تَسْقُطُ﴾. ﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر.

﴿يَعْلَمُهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. والضمير

المفعولي يرجع إلى ﴿وَرَقَةٍ﴾. لعلّ هذه الجملة ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ اشارة إلى

علمه بجميع الأشياء حتّى الأمور الجزئية والشخصية والفردية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد.

﴿ حَبَّيْةٌ ﴾ معطوفة على ﴿ وَرَقَّةٌ ﴾ . ﴿ حَبَّيْةٌ ﴾ : بذرة من بذور النبات .
﴿ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه . متعلق بصفة محذوفة من
﴿ حَبَّيْةٌ ﴾ تقديره : ﴿ حَبَّيْةٌ ﴾ كائنة ﴿ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ ﴾ .
﴿ وَ ﴾ عاطفة . ﴿ لَا ﴾ زائدة ، تأكيد . ﴿ رَطْبٍ ﴾ معطوف على ﴿ وَرَقَّةٌ ﴾ .
﴿ وَ ﴾ عاطفة . ﴿ لَا ﴾ زائدة ، تأكيد . ﴿ يَابِسٍ ﴾ معطوف على ﴿ وَرَقَّةٌ ﴾ .
﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر . ﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ جار ومجرور ، خبر مبتدأ محذوف .
﴿ مُبِينٍ ﴾ صفة لـ ﴿ كِتَابٍ ﴾ . وهو ﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ١ و ﴿ لَوْحٌ مَّحْفُوظٌ ﴾ ٢ و ﴿ كِتَابٌ
حَفِيظٌ ﴾ ٣ ، كلُّها أسماء لشيء واحد .

الروايات

عن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ مَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴾ فقال: الورقة: السقط، يسقط من بطن أمه من قبل أن يهَلَّ الولد؛
قال: فقلت: وقوله: ﴿ وَلَا حَبَّةٌ ﴾؟ قال: يعني الولد في بطن أمه إذا أهَلَّ، ويسقط
من قبل الولادة.
قال: قلت: قوله: ﴿ وَلَا رَطْبٍ ﴾؟ قال: يعني المضعَّة إذا أسكنت في الرَّحِمِ، قبل
أن يَتَّمَ خَلْقُهَا، قبل أن يتقل.
قال: قلت قوله: ﴿ وَلَا يَابِسٍ ﴾؟ قال: الولد التام. قال: قلت: ﴿ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾؟

١ . سورة الرعد / ٣٩ .

٢ . سورة البروج / ٢٢ .

٣ . سورة ق / ٤ .

٤ . أهَلَّ الولد: رفع صوته بالبكاء حين الولادة .

قال: في إمام ميين^١.

صحيحة أبي بصير قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قال: فقال: الورقة السقط، والحبة الولد، وظلمات الأرض الأرحام، والرطب ما يحيى، واليابس ما يغيض^٢. وكل ذلك في كتاب ميين^٣.

قالها القمي^٤ ورواها الكليني^٥ والعياشي^٦.

روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت^٧.

عن محمد بن أبي عمير الكوفي عن عبدالله بن الوليد السمان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً.

قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾^٨ ولم يقل كل شيء موعظة. وقال لعيسى: ﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾^٩ ولم يقل كل شيء وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: وقال

١. تفسير العياشي ٢/٩٩، ح ٩٢.

٢. الغيظ: السقط الذي لم يتم خلقه، والقليل.

٣. معاني الأخبار / ٢١٥، ح ١.

٤. تفسير القمي ١/٢٩٨.

٥. الكافي ١٥/٥٦٦، ح ٣٤٩ (١/٢٤٩).

٦. تفسير العياشي ٢/٩٩، ح ٢٨.

٧. التبيان ٤/١٥٥.

٨. سورة الأعراف / ١٤٥.

٩. سورة الزخرف / ٦٣.

٣٠٤ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السابع

الله ﷻ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^١ وقال الله ﷻ:
﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وعلم هذا الكتاب عنده.^٢
ورواها ابن عاشور وقال: وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر.^٣

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ
لِقَاضِي الْأَجَلِ مُسَمًّى^ط ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٤

بيان لأظهر مصاديق علمه تعالى أو انتقال من بيان سعة علمه إلى بيان عظيم قدرته اللذان تبتنيان على حكمته المتعالية.
﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطْفٌ عَلَى قَوْلِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا﴾ فِي الْآيَةِ
السَّابِقَةِ.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. «كناية عن الله تعالى»^٤.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، خبر، أو صفة له تعالى.

﴿يَتَوَفَّاكُم﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. «التوفي: أخذ الشيء بتمامه، ويستعمله الله سبحانه في كلامه بمعنى أخذ الروح الحية كما في حال الموت كما في قوله في الآية التالية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾^٥٦. وفيه «دلالة على أن الروح تمام حقيقة الإنسان الذي يعبر عنه بأنا لا كما ربما يتخيل لنا

١. سورة الرعد / ٤٣.

٢. الاحتجاج / ٢ / ٣٧٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٦ / ١٣٦.

٤. التبيان / ٤ / ١٥٦.

٥. سورة الأنعام / ٦١.

٦. الميزان / ٧ / ١٣٠.

أن الروح أحد جزئي الإنسان لا تمامه أو أُنْثَى هيئة أو صفة عارضة له، وأوضح منه دلالة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^١ فإن استبعاد الكفار مبني على أن حقيقة الإنسان هو البدن الذي يتلاشي ويفسد بانحلال التركيب بالموت فيضل في الأرض، والجواب مبني على كون حقيقته هو الروح (النفس) وإذا كان ملك الموت يتوفاه ويقبضه فلا يفوت منه شيء^٢.

﴿بِاللَّيْلِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتَوَفَّنُكُمْ﴾. والمراد به النوم في الليل جرياً على الغالب لأنَّ الناس ينامون فيه. و «قد عدَّ الإِنَامَةَ توفياً كما عدَّ الإِمَاتَةَ توفياً على حد قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^٣ لاشتراكها في انقطاع تصرف النفس في البدن كما أنَّ البعث بمعنى الإيقاظ بعد النوم يشارك البعث بمعنى الإحياء بعد الموت في عود النفس إلى تصرفها في البدن بعد الانقطاع»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَعْلَمُ﴾ معطوف على ﴿يَتَوَفَّنُكُمْ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿جَرَحْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿جَرَحْتُمْ﴾: كسبتم «تقول فلان جارحة أهله

أي كاسبهم»^٥.

﴿بِالْبَهَائِرِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَرَحْتُمْ﴾. ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿يَبْعَثُكُمْ﴾ معطوف على ﴿يَتَوَفَّنُكُمْ﴾. جعل الإيقاظ بعثاً مقابلةً بجعل

الإِنَامَةَ توفياً وإِمَاتَةَ.

١. سورة السجدة / ١٠ و ١١.

٢. الميزان / ٧ / ١٣٠.

٣. الميزان / ٧ / ١٣٠.

٤. الميزان / ٧ / ١٣٠.

٥. التبيان / ٤ / ١٥٧.

﴿ فِيهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يَبْعَثُكُمْ ﴾ ، في للظرفية والضمير لـ ﴿ النَّهَارِ ﴾ .
﴿ لِ ﴾ للتعليل .

﴿ يُقْضَى ﴾ فعل مضارع مجهول منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿ لِ ﴾ .
قضاء الأجل : انتهاءه .

﴿ أَجَلٌ ﴾ نائب فاعله . ﴿ أَجَلٌ ﴾ : الوقت ، المدة .

﴿ مُسَمًّى ﴾ صفة لـ ﴿ أَجَلٌ ﴾ . ﴿ مُسَمًّى ﴾ : أي معيّن محدّد معلوم .

﴿ ثُمَّ ﴾ للترتيب . ﴿ إِلَيْهِ ﴾ جار ومجرور . خبر مقدم .

﴿ مَرَجِعُكُمْ ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه . المرجع : مصدر ميمي والمراد به الرجوع
بالموت أو بالحشر يوم القيامة .

﴿ ثُمَّ ﴾ للترتيب .

﴿ يُنَبِّئُكُمْ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به . ﴿ يُنَبِّئُكُمْ ﴾ : يخبركم
ويعلمكم . الإنباء : الإخبار .

﴿ بِمَا ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يُنَبِّئُكُمْ ﴾ . ﴿ مَا ﴾ موصولة ، مفعول ثان أو
مصدرية فتكون ﴿ مَا ﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جرّ تقديره : يخبركم بأعمالكم .

﴿ كُنْتُمْ ﴾ فعل ماض ناقص واسمه .

﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله . خبر ﴿ كُنْتُمْ ﴾ . في الدنيا ويجازيكم على أعمالكم
فيها .

رواية

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ قال :

هو الموت .^١

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ
الْمَوْتَ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ ﴿٦١﴾

تتمة بيان صفات الله المختصة به ﷻ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ معطوف على حوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا﴾ في الآية

السابقة. وقد مرّ معناه في الآية ١٨ من هذه السورة فلا نعيد.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُرْسِلُ﴾ معطوف على ﴿الْقَاهِرُ﴾ ويدل على القصر. فعل مضارع وفاعله ضمير

مستتر.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُرْسِلُ﴾، و ﴿عَلَى﴾ هنا للاستعلاء المجازي.

﴿حَفَظَةً﴾ مفعول به. أي «ملائكة يحفظون أعمالكم ويحسونها عليكم ويكتبونها

ليعلموا بذلك أن عليهم رقياً من عند الله ومحصياً عليهم فينجزوا عن المعاصي. وبين
أن هؤلاء الحفظة هم شهداء عليكم بهذه الأعمال يوم القيامة»^١.

﴿حَتَّىٰ﴾ حرف غاية للإبتداء. ﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، فيه معنى الشرط.

﴿جَاءَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿أَحَدَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿الْمَوْتُ﴾ فاعله. «يعني وقت الموت»^٢. أي ينتهي وقت الإحصاء والحفظ

بالموت.

﴿تَوَفَّتْهُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به. والضمير المفعول يرجع إلى ﴿أَحَدَكُمْ﴾ الذي

هو في معنى الذات.

١. التبيان ٤/ ١٥٨.

٢. التبيان ٤/ ١٥٨.

﴿رُسُلْنَا﴾ فاعله ومضاف إليه. والمراد بهم «ملك الموت وأعوانه وأثمم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل الله بقبض أرواح العباد»^١.
﴿وَ﴾ حالة. ﴿هُم﴾ مبتدأ. يرجع إلى ﴿رُسُلْنَا﴾. ﴿لَا﴾ نافية.
﴿يُفَرِّطُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يقصرون ولا يغفلون ولا يتوانون. التفريط: التقصير في العمل والإضاعة في الذوات. و «الظاهر أن المراد من التفريط هو التساهل والتسامح في إنفاذ الأمر الإلهي بالتوفي فإن الله سبحانه وصف ملائكته بأثمم يفعلون ما يؤمرون، وذكر أن كل أمة رهن أجلهم فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فالملائكة المتصدون لأمر التوفي لا يقصرون عن الحد الواجب المحدود المكشوف لهم من موت فلان في الساعة الفلانية على الشرائط الكذائية فهم لا يسامحون في توفي من أمروا بتوفيه ولا مقدار ذرة فهم لا يفرطون.

وهل هذه الرسل هم الرسل المذكورون أولاً حتى تكون الحفظة هم الموكلين على التوفي؟ الآية ساكتة عن ذلك إلا ما فيها من إشعار ضعيف بالوحدة غير أن هؤلاء الرسل المأمورين بالتوفي كائنين من كانوا هم من أعوان ملك الموت لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^٢.

ونسبة التوفي إلى هؤلاء الرسل ثم إلى ملك الموت في الآية المحكية أنفاً ثم إلى الله سبحانه في قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾^٣ من قبيل التنفنن في مراتب النسب فالله سبحانه ينتهي إليه كل أمر وهو المالك المتصرف على الإطلاق، وملك الموت التوسل إلى ما يفعله من قبض الأرواح بأعوانه الذين هم أسباب الفعل ووسائله وأدواته كالخط

١. التبيان / ٤ / ١٥٨.

٢. سورة السجدة / ١١.

٣. سورة الزمر / ٤٢.

الذي يخطه القلم وورائه اليد ووراءهما الإنسان الكاتب»^١.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَانُهُمْ الْحَقِّقَ ۖ أَلَا لَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ ﴿٦٢﴾

«إشارة إلى رجوعهم إلى الله سبحانه بالبعث بعد الموت، وتوصيفه تعالى بأنه مولاهم الحق للدلالة على علّة جميع ما تقدم من تصرفاته تعالى بالإقامة والإيقاظ والتدبير والإماتة والبعث، وفيه تحليل لمعنى المولى ثم إثبات حقّ المولوية له تعالى، فالمولى هو الذي يملك الرقبة فيكون من حقّه جواز التصرف فيها كيف ماشاء، وإذا كان له تعالى حقيقة الملك، وكان هو المتصرف بالإيجاد والتدبير والإرجاع فهو المولى الحقّ الذي يثبت له معنى المولوية ثبوتاً لا زوال له بوجه البتة»^٢.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿رُدُّوْا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. والضمير يرجع إلى ﴿أَحَدِكُمْ﴾ في الآية السابقة باعتبار تنكيره الصادق بكلّ أحد.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿رُدُّوْا﴾.

﴿مَوْلَانُهُمْ﴾ بدل أو نعت لـ ﴿اللَّهِ﴾ ومضاف إليه. قد مرّ معنى المولى آنفاً.

﴿الْحَقِّقَ﴾ نعت لـ ﴿مَوْلَانُهُمْ﴾. وهو «من أسماء الله الحسنى لثبوته تعالى بذاته وصفاته ثبوتاً لا يقبل الزوال ويمتنع عن التغيّر والانتقال»^٣.

﴿أَلَا﴾ حرف استفتاح المؤذنة بالتنبيه إلى أهمية الخبر.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، واللام للاختصاص.

١. الميزان ٧/ ١٣٢.

٢. الميزان ٧/ ١٣٢.

٣. الميزان ٧/ ١٣٢.

﴿الْحَكْمُ﴾ مبتدأ مؤخر، تنبيه على قصر ﴿الْحَكْمُ﴾ ﴿لَهُ﴾ تعالى. واختصاص ﴿الْحَكْمُ﴾ به ﴿كَانَ﴾ لا يختص بيوم القيامة بل يجري في جميع العوالم ولكن ظهوره فيها واضح بحيث لا ينكره أحد.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ معطوف على ﴿لَهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَسْرَعُ﴾ خبر.

﴿الْحَسِينِ﴾ مضاف إليه. والجملته الاخيرة ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾ «بيان لأظهر مصاديق الولاية المطلقة وعلمه الأتم، وحقّيته ﴿كَانَ﴾ الثابتة الذي لا يتطرق إليه الظلم والبطلان، فهو أسرع الحاسبين إحصاءً ومحاسبةً، إنّما يؤخّرهم للوقت المعلوم. وأمّا كيفة ذلك الحساب، فلا يمكن أن تحيط بها العقول»^١ و «يتضمّن وعداً ووعداً لأنّه لما أتى بحرف المهلة في الجمل المتقدّمة وكان المخاطبون فريقين: فريق صالح وفريق كافر، وذكر أنّهم إليه يرجعون كان المقام مقام طماعية ومخالفة؛ فالصالحون لا يجيئون المهلة والكافرون بعكس حالهم، فعجلت المسرة للصالحين والمساءة للمشركين بقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾»^٢.

الروايات

عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخل مروان بن الحكم المدينة، قال: فاستلقى على السرير، وثمّ مولى للحسين عليه السلام؛ فقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾^٣.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قيل له: كيف يحاسب الله الخلق وهم لا يرونه؟

قال: كما يرزقهم ولا يرونه.^٤

١. مواهب الرحمن ١٣/٤٢٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٤٤.

٣. تفسير العياشي ٢/١٠٠، ح ٣٠.

٤. البيان ٤/١٩٥؛ مجمع البيان ٣/٣١٣.

وروي أنه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة.^١

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَجَلْنَا مِنْ

هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾

احتجاج آخر على المشركين لأجل إيقاظهم وتطهير فطرتهم الإنسانية من الشرك الذي هو الظلم العظيم و «ملخص المراد بالآية أنكم في الشدائد النازلة بكم في ظلمات البر والبحر وغيرها إذا انقطعتم عن الأسباب الظاهرة وأعيت بكم الحيل تشاهدون بالرجوع إلى فطرتكم الإنسانية أن الله سبحانه هو ربكم لا ربَّ سواه وتجزمون أن عبادتكم لغيره ظلم وإثم والشاهد على ذلك أنكم تدعونه حينئذ تضرعاً وخفية، وتدونه أن تشكروه بعد ذلك ولا تكفروا به إن أنجاكم لكنكم بعد الإنجا تنقضون ميثاقكم الذي واثقتموه به وتستمرون على سابق كفركم، ففي الآيتين احتجاج على المشركين وتوبيخ لهم على حنث اليمين وخلف الوعد»^٢.

﴿قُلْ﴾ خطاباً للنبي الأعظم ﷺ . وإعادة الأمر ﴿قُلْ﴾ للاهتمام بالمقال.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، استفهام تفريري وتقريري.

﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، خبر،

والخطاب للمشركين بالشرك الجلي والخفي فيعم المسلمين أيضاً. التنجية: التخلص.

«و ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ بالتشديد من التنجية، وقرئ بالتخفيف من الإنجا، والمعنى

وإن كان واحداً في كليهما، إلا أن في التشديد من المبالغة والدلالة على التكرار ما لم يكن

١. مجمع البيان ٣/ ٣١٣.

٢. الميزان ٧/ ١٣٥.

في التخفيف. وفي الخطاب من التأثير في النفس ما لا يمكن إنكاره^١.
﴿مَنْ ظَلَمْتَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنَجِّكُمْ﴾. والمراد بها الشدائد والأهوال
والمشقات والمصائب.

﴿الْبَرِّ﴾ مضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿الْبَحْرِ﴾ معطوف على ﴿الْبَرِّ﴾. لأنَّ الشدائد والمصائب تصل إلى الإنسان في
﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وهما طرفاها.

﴿تَدْعُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعوله. حال من مفعول ﴿يُنَجِّكُمْ﴾. يعني
في حين الوقوع في الشدائد فانتم تدعون الله تعالى على فطرتكم السليمة الطاهرة من
دون فصل.

﴿تَضَرُّعًا﴾ مصدر في موضع حال من الضمير الفاعلي في ﴿تَدْعُونَهُ﴾. إي
متضرعين. التضرُّع: التذلل والخضوع أو إظهارهما.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿خُفْيَةً﴾ معطوف على ﴿تَضَرُّعًا﴾. أي الخفاء والاستتار يعني ﴿تَدْعُونَهُ﴾ ﴿مِنْ
ظُلُمَاتٍ﴾ «مخفين أصواتكم خشية انتباه العدو من الناس أو الوحوش»^٢.
﴿لَ﴾ مؤطئة للقسم. ﴿نِ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أُنَجِّنَا﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، فعل الشرط
والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ﴾.

﴿مِنْ هُنْدِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنَجِّنَا﴾. و ﴿هُنْدِهِ﴾ إشارة إلى الظلمة أو
الشدّة.

﴿لَ﴾ لام جواب القسم، والجملة بعده جواب القسم وجواب الشرط محذوف

١. مواهب الرحمن ١٣/٤٤٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٤٥.

دلّ عليه جواب القسم.

﴿تَكُونَنَّ﴾ فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر «نحن» ونون التوكيد

الثقيلة.

﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ جار ومجرور . خبر ﴿تَكُونَنَّ﴾ . ولازم الشكر هو الرجوع إلى الله الواحد القهار والاعتراف بألوهيته وربوبيته وإنعامه وإكرامه . «والشاعر هو الذي يراعي نعمة المنعم فيحسن معاملته كلّها وجد لذلك سبيلاً وقد كان العرب يرون الشكر حقّاً عظيماً ويعيرون من يكفر النعمة»^١.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾

تلقين لجواب الاستفهام في الآية السابقة ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ .

﴿قُلِ﴾ خطاب آخر للنبي الخاتم ﷺ وجواب عن الاستفهام السابق.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لإفادة الاختصاص.

﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. خبر.

﴿مِّنْهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ ، والضمير يرجع إلى ﴿ظَلَمْتُمْ﴾ أو

الشدة أو الحادثة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، معطوف على ضمير «ها» فيكون

متعلقاً بـ ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ ، الكرب: الغم الشديد. والكربة: الغمة.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٤٥.

﴿تَشْرِكُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. «جي بالمسند فعلاً مضارعاً لإفادة تجدد شركهم وأن ذلك التجدد والدوام عليه أعجب»^١.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

تذكير: للمشركين وإعلامهم بأن نقضهم الميثاق وحنثهم العهد واليمين ورجوعهم إلى سابق شركهم وأعمالهم الباطلة من أقوى موجبات العذاب. ﴿قُلْ﴾ استئناف ابتدائي بذكر القدرة على الانتقام تخويفاً وتهديداً للمشركين. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿الْقَادِرُ﴾ خبر. «ال» للجنس وتعريف المسند والمسند إليه يفيد القصر. ﴿عَلَىٰ﴾ حرف جر. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَبْعَثُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو». وفيه «معنى الإقامة والإنهاض وهذه العناية يستعمل في التوجيه والإرسال لأن التوجيه إلى حاجة والإرسال نحو قوم يكون بعد سكون وخمود غالباً، وعلى هذا فبعث العذاب لا يخلو من إشعار على أنه عذاب من شأنه أن يتوجه إليهم ويقع بهم، وإنما يمنع عن هذا الإقتضاء مانع كالإيمان والطاعة»^٢.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَبْعَثُ﴾ وفي تقديمها أي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٤٦.

٢. الميزان ٧/١٣٥.

المفعول الصريح لتهويل أمر المؤخر.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول به. والتنوين للتفخيم.

﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة مخدوفة من ﴿عَذَابًا﴾. والعذاب الذي من فوق مثل: السيل والصاعقة والرياح والطوفان وكثافة الجو أو حرارته أو عدم نزولات السماوية وغيرها.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ معطوف على ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾. نحو: الخسف أو الزلزال.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿يَلْبِسِكُمْ﴾ معطوف على ﴿أَنْ يَبْعَثَ﴾، فعل مضارع منصوب وفاعله مستتر «هو» ومفعول به. مضارع لَبَسَهُ أي خلطه. ﴿يَلْبِسِكُمْ﴾: يعني اختلاط أمركم واضطرابه ومَرَّجَهُ الذي يعدي إلى اختلال الأمور والفوضى والهَرْجُ ١ والمَرْجُ ٢.

﴿شِيعًا﴾. حال من مفعول ﴿يَلْبِسِكُمْ﴾. الشيع: الفِرْقُ، جمع شِيعَةٍ وهي الجماعة المتحدة في غرض أو عقيدة أو هوى فهم متفقون عليه. وكلّ فرقة شيعَة على حدّه.

وشيعَة الرجل: أتباعه والمقتدون به قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ ٣. و﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُذِيقُ﴾ معطوف على ﴿يَلْبِسِكُمْ﴾، فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو». الإذاقة: استعارة هنا للألم والشدة والعسر.

﴿بَعْضَكُمْ﴾ مفعول به أول ومضاف إليه.

﴿بِأَسِّ بَعْضٍ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. البأس: هو الفتنة والشدة والحرب

١. الهرج: القتل.

٢. المرج: الخلط وسكون الراء فيه للمزاجاة مع الهَرْج.

٣. سورة الصافات / ٨٣.

- والقتل والشرّ قال تعالى: ﴿وَسَرَّيْلَ تَفِيكُم بِأَسْكُم﴾^١.
- ﴿أَنْظُرْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للنبي الأعظم ﷺ.
- «تنزيل للمعقول منزلة المحسوس لقصد التعجيب منه»^٢.
- ﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام، حال من ﴿نُصِرْفُ﴾.
- ﴿نُصِرْفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». التصريف: «التحويل من نوع إلى نوع آخر، أي تحويل الدلائل والبراهين والآيات التدوينية، ونجعلها على طرائق شتى، من وعد ووعيد وغيرها. ومنها ما يرجع إلى الحسّ أو إلى العقل»^٣.
- ﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول به والمراد بها ﴿الْآيَاتِ﴾ الآفاقي أو الأنفسي أو القرآني.
- ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. أي لكي ورجاء حصول فهمهم لأنّ عنادهم وشهوتهم وهواهم يمنعهم من الفهم العميق.
- ﴿يَفْقَهُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبره. الفقه: فهم الشيء بدليله.
- و «بالجملة معنى الآية: قل يا رسول الله مخاطباً لهم منذراً لهم عاقبة استنكافهم عن الاجتماع تحت لواء التوحيد واستماع دعوة الحقّ إنّ لشأنكم هذا عاقبة سيئة في قدرة الله سبحانه أن يأخذكم بها وهو أن يبعث عليكم عذاباً لا مفر لكم منه ولا ملاذ تلوذون به وهو العذاب من فوقكم أو من تحت أرجلكم، أو أن يضرب بعضكم ببعض فتكونوا شيعاً وفرقاً مختلفين متنازعين ومتحاربين فيذيق بعضكم بأس بعض»^٤.

١. سورة النحل / ٨١.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١٤٨.

٣. مواهب الرحمن ١٣ / ٤٥٠.

٤. الميزان ٧ / ١٣٧.

الروايات

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: هو الدخان والصبحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ وهو إختلاف في الدين، وطعن بعضهم على بعض ﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وهو أن يقتل بعضهم بعضاً، وكلّ هذا في أهل القبلة، يقول الله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾^١ وهم قريش. قوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفْزِعٌ﴾ يقول: لكلّ نبأ حقيقة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^٢ ثم قال: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ يعني كي يفقهوا.^٣

روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال معنى ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ السلطان الجائر ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ السفلة، ومن لا خير فيه ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ قال: العصبية ﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال سوء الجوار.^٤

قال رسول الله ﷺ: سألت ربّي أن لا يظهر على أمتي أهل دين غيرهم فأعطاني، وسألته أن لا يهلكهم جوعاً فأعطاني، وسألته أن لا يجمعهم على ضلالة فأعطاني، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعني.^٥

في تفسير الكلبي انه لما نزلت هذه الآية قام النبي ﷺ فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام وصلى فأحسن صلاته ثم سأل الله سبحانه أن لا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض أجارهم من ان يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولم يجرحهم من الخصلتين

١. سورة الأنعام / ٦٥ و ٦٦.

٢. سورة الأنعام / ٦٧.

٣. تفسير القمي / ١ / ٣٠٠، ح ١٦.

٤. التبيان / ٤ / ١٦٣.

٥. مجمع البيان / ٣ / ٣١٥.

الآخرين فقال ﷺ يا جبرائيل ما بقاء أمّتي مع قتل بعضهم بعضاً فقام وعاد إلى الدعاء فنزل ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^١ الآيتين فقال لا بدّ من فتنة تبلي بها الأمة بعد نبيها ليتبين الصادق من الكاذب لأنّ الوحي انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة^٢.
وفي الخبر أنّه ﷺ: قال إذا وضع السيف في أمّتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة^٣.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

تمهيداً «لتحقيق النبا الذي يتضمنه الإنذار السابق كأنه قيل: يا أيّها الأمة اجتمعوا في توحيد ربّكم واتفقوا في اتباع كلمة الحقّ وإلا فلا مؤمن يؤمّنكم عذاباً يأتيكم من فوق أو من تحت أو من اختلاف وتحزب يستتبع سيفاً وسوطاً من بعضكم على بعض، ثمّ خوطب النبي ﷺ فقيل: إنّ قومك كذبوا بذلك فليستعدوا لعذاب بئس أو بأس شديد يذوقونه»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت على قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ في الآية السابقة أو على قوله: ﴿قُلْ إِنْ عَلِيَ بَيْنَ مَن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾^٥.
﴿كَذَّبَ﴾ فعل ماضٍ. تكذيب شديد من الكافرين.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿كَذَّبَ﴾. والضمير يرجع إلى القرآن الكريم أو إلى العذاب أو النباء الموعودان. ويرجع الأخيران إلى تكذيب القرآن بالمآل فلا تنافي

١. سورة العنكبوت / ٢.

٢. مجمع البيان ٣ / ٣١٥.

٣. مجمع البيان ٣ / ٣١٥.

٤. الميزان ٧ / ١٣٧.

٥. سورة الأنعام / ٥٧.

بين الأقوال والأول أظهر. و «يدلّ فعل التكذيب إذا عدّي بالباء على معنى الإنكار أي: التكذيب القوي»^١. كما مرّ^٢.

﴿قَوْمُكَ﴾ فاعل ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ وقومه هم قريش^٣.
﴿وَ﴾ حالية.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، والضمير يرجع إلى مرجع ﴿بِهِ﴾ من القرآن أو العذاب أو النبأ.
﴿الْحَقُّ﴾ خبر، أي ثابت وواقعٌ وصحيحٌ.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للنبي الخاتم ﷺ.
﴿لَسْتُ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَكَيْلٍ﴾، و ﴿عَلَى﴾ تضمن معنى الغلبة والسلطة، والضمير يرجع إلى الكافرين.

﴿بِوَكَيْلٍ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿لَسْتُ﴾. «الباء» زائد للتوكيد، «والوكيل هنا بمعنى المدافع الناصر وهو الحفيظ»^٤.

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكَيْلٍ﴾ «مسوق سوق الكناية أي أعرض عنهم وقل: إنّ أمركم غير مفوض إليّ ولا محمول عليّ حتى أمنعكم من هذا التكذيب نصيحة لكم، وإنّما الذي إليّ بحسب مقامي أن أنذركم عذاباً شديداً هو كمين لكم»^٥.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٣٢.

٢. في الآية ٥٧ من هذه السورة.

٣. كما في تفسير القمي ١/ ٣٠٠.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٥٠.

٥. الميزان ٧/ ١٣٩.

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

تتمة لمقول قول النبي ﷺ لقومه أو جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، وعلى القولين تصريح بالتهديد عن وقوع العذاب على الكافرين.

﴿لِكُلِّ﴾ جار ومجرور. خبر مقدم.

﴿نَبِيٍّ﴾ مضاف إليه. النباء: الخبر المهم.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ مبتدأ مؤخر. الاستقرار بمعنى الحصول والمستقر: وقت أو مكان الاستقرار أي اسم مكان أو زمانه على وزن مفعول، والمعنى: ﴿لِكُلِّ﴾ موعود به وقت يحصل فيه.

﴿وَ﴾ عاطفة، معطوف على ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال يفيد التأكيد هنا.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعوله محذوفه يرجع إلى ﴿نَبِيٍّ﴾. والخطاب للكافرين المكذّبين.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ظاهر في وعيد العذاب في الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثِ

غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٨﴾

أمر الله سبحانه بالإعراض عن الكافرين المكذّبين والإبتعاد عن مجالسهم وعدم الاستماع لمقالاتهم الباطلة.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾^١.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان وأداة شرط غير جازمة خافض لشرطه متعلق بجوابه.
 ﴿رَأَيْتَ﴾ فعل ماض وفاعله. والخطاب للنبي الأعظم ﷺ ويشترك المسلمون
 معه في الحكم.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به. وفي العدول عن الضمير بالاسم الموصول قرينة على أن
 ﴿الَّذِينَ تَخْضَوْنَ فِي﴾ الآيات فريق خاص من الكافرين المكذبين.
 ﴿تَخْضَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الخوض هنا الدخول في باطل الحديث
 والتوغل فيه كذكر الآيات والاستهزاء بها.

﴿فِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلقان بـ ﴿تَخْضَوْنَ﴾.

﴿فَ﴾ رابطة لجواب الشرط.

﴿أَعْرَضَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». والإعراض هنا ترك مجالسهم.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْرَضَ﴾.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية، غاية للإعراض.

﴿تَخْضَوْا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله.

﴿فِي حَدِيثٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَخْضَوْا﴾.

﴿غَيْرِهِ﴾ صفة لـ ﴿حَدِيثٍ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الخوض باعتبار

﴿حَدِيثٍ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِمَّا﴾ مركبة من «إن» شرطية و «ما» زائدة.

﴿يُنْسِينَكُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط ونون التأكيد الثقيلة ومفعول

به مقدم. ونسبة النسيان إلى النبي ﷺ باعتبار نسيان قومه لعدم جواز طرو النسيان

عليه ﷺ ولا على المعصومين عليهم السلام وهم الحجج الإلهية، مضافاً إلى «هذا النوع من

النسيان هو نسيان حكم الهي» وهو ممنوع بالنسبة إلى الأنبياء عند الكل.

﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعل. ليس للشيطان على عباد الله المخلصين سبيل لقوله تعالى:

﴿وَلَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ﴾^١ وقوله عز من قائل: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ﴾^٢.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَا تَقْعُدْ﴾ فعل نهي وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿بَعْدَ﴾ ظرف مكان.

﴿الذِّكْرَى﴾ مضاف إليه، أي التذكر وهو ضد النسيان.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدل على المصاحبة والاجتماع.

﴿الْقَوْمِ﴾ مضاف إليه. ﴿الظَّالِمِينَ﴾ نعت.

الروايات

صحیحة عبدالأعلى بن أعین قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس يُسبّ فيه إمام، أو يُعتاب فيه مسلم، إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٣.

خبر إسحاق بن موسى، قال: حدّثني أخي ٤ وعمي: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ثلاثة مجالس يمقتها الله، ويرسل نقمته على أهلها؛ فلا تقاعدوهم ولا تجالسوهم^٦:

١. سورة الحجر/ ٣٩ و ٤٠.

٢. سورة ص/ ٨٢ و ٨٣.

٣. تفسير القمي ١/ ٣٠٠، ح ١٧.

٤. في مرآة العقول ١١/ ٩٢: «كأن المراد بالأخ: الرضا عليه السلام؛ لأن الشيخ عدّ إسحاق من أصحابه عليه السلام وبالعم: علي بن جعفر، وكأنه كان: عن أبي عبدالله عليه السلام، فظن الرواة أنه زائد فأسقطوه، وإن أمكن رواية علي بن جعفر عن أبيه والرضا عليه السلام لا يحتاج إلى الوساطة في الرواية».

٥. «المقت» في الأصل: أشدّ البغض. النهاية ٤/ ٣٤٦ (مقت).

٦. في مرآة العقول: «قوله: ولا تجالسوهم، إمّا تأكيد لقوله: فلا تقاعدوهم؛ أو المراد بالمقاعدة مطلق القعود مع المرء، وبالمجالسة الجلوس معه على وجه الموائمة والمصاحبة والمؤانسة... ويحتمل العكس أيضاً، بأن يكون المراد بالمقاعدة من يلازم العقود... أو يكون المراد بأحدهما حقيقة المقاعدة، وبالأخرى مطلق المصاحبة»..

مجلساً فيه من يصف لسانه كذباً في فتياه؛ ومجلساً ذكر أعدائنا فيه جديد، وذكرنا فيه رثاً^١؛ ومجلساً فيه من يصدّ عنا وأنت تعلم.

قال: ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام ثلاث آيات من كتاب الله كأنها كنّ في فيه - أو قال: في كفه - : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^٢؛ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^٣؛ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^٤.

عن ربعي بن عبد الله، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، قال: الكلام في الله، والجِدال في القرآن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، قال: منه القصاص^٥.

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه: ... ثم خصص كل جارحة من جوارحك بفرض ونص عليها، ففرض على السمع أن لا تصغي به إلى المعاصي فقال عليه السلام: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^٦ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ^٦ وقال عليه السلام: ﴿وَإِذَا

١. «الرث»: الشيء البالي. ورثت هيئة الشخص وأرثت: ضعفت وهانت. الصحاح ٢٨٢/١؛ المصباح المنيز/ ٢١٨ (رثت).

٢. سورة الأنعام/ ١٠٨.

٣. سورة النحل/ ١١٦. وترتيب الآيات على خلاف ترتيب المطالب؛ فالآية الثالثة للكذب في الفتياه؛ والأولى للثاني، إذ قد ورد في الأخبار أن المراد بسب الله سب أولياء الله؛ والآية الثانية للمطلب الثالث، إذ قد ورد في الأخبار أن المراد بالآيات الأئمة. راجع: الوافي ١٠٤٧/٥، ح ٣٥٦٥؛ مرآة العقول ٩٢/١١.

٤. الكافي ٤/١٢٩، ح ١٢ (٣٧٨/٢).

٥. تفسير العياشي ٢/١٠٠، ح ٣١.

٦. سورة النساء/ ١٤٠.

رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ، ثُمَّ اسْتَشْنَى ﷺ مَوْضِعَ النِّسْيَانِ فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقال ﷺ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^١ وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^٢ وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾^٣ فهذا ما فرض الله ﷺ على السمع وهو عمله، الوصية.^٤

معتبرة عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: حدثني علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾^٥ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله تعالى، قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^٥ ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^{٦.٧}

١. سورة الزمر / ١٧ و ١٨ .

٢. سورة الفرقان / ٧٢ .

٣. سورة القصص / ٥٥ .

٤. من لا يحضره الفقيه ٢ / ٦٢٦، ح ٣٢١٥ .

٥. سورة الاسراء / ٣٦ .

٦. سورة الاسراء / ٣٦ .

٧. علل الشرائع / ٦٠٥، ح ٨٠ .

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

يستفاد منها أنّ ما يكتسبه الخائضون في الإثم لا يحمل إلا على أنفسهم ولا يتعداهم إلى غيرهم «وليس على المؤمنين المتقين شيء من تبعة الكافرين الذين يخوضون في آيات الله ولكن يذكروهم وينهونهم لعلهم يجتنبون الخوض في آياته تعالى»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ جار ومجروره، خبر مقدم.
﴿يَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، وهم المؤمنون المتقون.
﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من ﴿شَيْءٍ﴾ لأنه صفة مقدمة له.
والضمير يضاف إليه يرجع إلى الكافرين الخائضين المستهزئين بآيات الله.
﴿مِنْ﴾ حرف جر، زائد لتأكيد النفي.
﴿شَيْءٍ﴾ مجروره في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿لَٰكِنْ﴾ حرف استدراك، عطفت على النفي أي ما عليهم شيء ﴿مِنْ﴾
حِسَابِهِمْ ﴿وَلَٰكِنْ﴾ عليهم الـ ﴿ذِكْرَىٰ﴾.
﴿ذِكْرَىٰ﴾ مفعول مطلق الآتي بدلاً من فعله وتقديره: ﴿وَلَٰكِنْ﴾ يذكرونهم
﴿ذِكْرَىٰ﴾. وكما يجوز أن يكون ﴿ذِكْرَىٰ﴾ مرفوعاً على الابتداء المؤخر وتقديره:
﴿وَلَٰكِنْ﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾. ٢. على أن «عليهم» خبره المقدم.
﴿لَعَلَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى مرجع ضمير
﴿حِسَابِهِمْ﴾.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٠٧.

٢. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٥٥.

﴿يَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾.

ويستفاد من الآية الشريفة أمران:

الأول: «أن نفي الاشتراك في الحساب مع الخائضين عن الذين يتقون فحسب مع أن غير العامل لا يشارك العامل في جزاء عمله إنما هو للإيحاء إلى أن من شاركهم في مجلسهم وقعد إليهم لا يؤمن من مشاركتهم في جزاء عملهم والمؤاخذه بما يؤخذون به، فالكلام في تقدير قولنا: وما على غير الخائضين من حسابهم من شيء إذا كانوا يتقون الخوض معهم ولكن إنما ننهاهم عن القعود معهم ليستمروا على تقواهم من الخوض أوليتهم لهم التقوى والورع عن محارم الله سبحانه.

والثاني: أن المراد بالتقوى في قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ التقوى العام وهو الاجتناب والتوقي عن مطلق ما لا يرتضيه الله تعالى، وفي قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ التقوى من خصوص معصية الخوض في آيات الله، أو المراد بالتقوى الأول أصل التقوى وبالثاني تمامه، أو الأول إجمال التقوى والثاني تفصيله بفعلية الانطباق على كل مورد ومنها مورد الخوض في آيات الله، وهيهنا معنى آخر وهو أن يكون المراد بالأول تقوى المؤمنين وبالتقوى الثاني تقوى الخائضين وتقدير الكلام ولكن ذكروا الخائضين ذكرى لعلهم يتقون الخوض»^١.

رواية

قال أبو جعفر عليه السلام: لما نزلت ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال المسلمون: كيف تصنع إن كان كل ما استهزء المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وأمرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما أستطاعوا.^٢

١. الميزان ٧/١٤١.

٢. التبيان ٤/١٦٧.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدَلٍ لَّا يُؤَخِّدْ مِنْهَا أُوتِيكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ

حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

بيان في ثمرة الخوض في آيات الله هي الاستخفاف بالدين والتوجه إلى الحياة الدنيوية ومظاهرها.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^١ أو قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^٢.

﴿ذَرِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿ذَرِ﴾ أي دَع، أترك والخطاب للرسول الأعظم في أو لكل المؤمنين به.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به. ﴿اتَّخَذُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿دِينَهُمْ﴾ مفعول به أول ومضاف إليه. الدين هنا: الملة والنحلة والمذهب.

﴿لَعِبًا﴾ مفعول به ثان. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهْوًا﴾ معطوف على ﴿لَعِبًا﴾ وقد مر معناهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿غَرَّتَهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به. أي خدعتهم.

﴿الْحَيَاةُ﴾ فاعل.

﴿الدُّنْيَا﴾ نعت ﴿الْحَيَاةُ﴾. وجه تغريهم لأنهم يظنون انحصار الحياة بها ولذا

١. سورة الأنعام / ٦٨.

٢. سورة الأنعام / ٦٩.

٣. سورة الأنعام / ٣٢.

اهتموا بها وبلذاتها ونعميها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ذَكَرَ﴾ معطوف على ﴿ذَرِ﴾.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ذَكَرَ﴾، والضمير يرجع إلى القرآن الكريم.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تُبَسَّلَ﴾ فعل مضارع منصوب مبني للمجهول. أي تُحْبَسُ وتُرْتَمَنُ. البَسَلُ:

الحبس والرهن والمنع والحرام.

﴿نَفْسٌ﴾ نائب فاعله. ﴿أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسٌ﴾ بتأويل مصدر نائب عن مفعول لأجله

تقديره ﴿ذَكَرَ﴾ بالقرآن لثلاثا ﴿تُبَسَّلَ نَفْسٌ﴾ وتحبس وتحرم.

﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿كَسَبَتْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿نَفْسٌ﴾.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿هَآ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَيْسَ﴾ المحذوف.

﴿مِنْ دُونَ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من ﴿وَلِيٌّ﴾. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَلِيٌّ﴾ اسم مؤخر ﴿لَيْسَ﴾. ﴿وَلِيٌّ﴾: صاحب أمر.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة للتأكيد.

﴿شَفِيعٌ﴾ معطوف على ﴿وَلِيٌّ﴾. «الشفيع: الطالب للعفو عن الجاني لمكانة له

عند من بيده العقاب»^١.

من ﴿لَيْسَ﴾ إلى ﴿شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من ﴿نَفْسٌ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿تَعْدِلَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت» فعل الشرط. العدل:

الفداء.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٥٩.

- ﴿كُلٌّ﴾ مفعول مطلق. ﴿عَدَلٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾ نافية.
- ﴿يُؤَخِّذٌ﴾ فعل مضارع مجزوم مبني للمجهول، جواب الشرط.
- ﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور، نائب فاعل. والضمير يرجع إلى ﴿نَفْسٍ﴾.
- ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، واستئناف.
- ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول بدل من ﴿أُولَئِكَ﴾.
- ﴿أُبْسِلُوا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. أي حبسوا ورهنوا وحرموا.
- ﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿كَسَبُوا﴾ فعل ماض وفاعله.
- ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿شَرَابٍ﴾ مبتدأ مؤخر.
- ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة ﴿شَرَابٍ﴾. الحميم: الماء الشديد الحرارة.
- ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَذَابٍ﴾ معطوف على ﴿شَرَابٍ﴾.
- ﴿أَلِيمٌ﴾ نعت ﴿عَذَابٍ﴾. ﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية.
- ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
- ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. ﴿كَانُوا﴾.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِدِّ
هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ
إِلَى الْهُدَىٰ آتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ

﴿الْعَلَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾

احتجاج على عبدة الأوثان لأن الرسول ﷺ دعاهم إلى التوحيد فدعوه إلى
أصنامهم، فاحتج الله بهم الآية الشريفة.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ أو المؤمنين.

﴿أ﴾ حرف استفهام، إنكاري هنا.

﴿نَدَعُوا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿نَدَعُوا﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به، يستعمل لغير ذوي العقول والأصنام منهم.

﴿لَا يَنْفَعُنَا﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا يَضُرُّنَا﴾ معطوف على ﴿لَا يَنْفَعُنَا﴾. إنها ذكر من أوصاف الأوثان والأصنام

كونها لا تنفع ولا تضر لأنّ اتخاذا الآلهة مبنياً على هذين الأساسين: الرجاء والخوف وإذا كانت لا تنفع ولا تضر فلا موجب لدعائها وعبادتها والتقرب إليها^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نُرَدُّ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «نحن»،

معطوف على ﴿نَدَعُوا﴾ وداخل في حيز الإنكار بالاستفهام. الرد: الإرجاع إلى المكان الذي يؤتي منه.

﴿عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿نُرَدُّ﴾. أعقاب: جمع عقب

وهو مؤخر القدم والمراد به الرجوع إلى المكان الذي جاء منه وهنا كناية عن ترك التوحيد والهدى والرجوع إلى الضلال والشرك.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان.

﴿إِذْ﴾ اسم زمان. مبني على السكون في محل جر بالإضافة.

﴿هَدَيْنَا﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم.

﴿اللَّهُ﴾ فاعل مؤخر. قيّد الرد والرجوع بكونه بعد الهداية الإلهية إلى التوحيد والنبوة والشروع في السير إلى الصراط المستقيم بل فيه.

﴿كَ﴾ حرف تشبيه بمعنى «مثل» في محلّ نصب صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره: ﴿نُزِدُ﴾ رداً مثل رد ﴿الَّذِي﴾.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محلّ جرّ بالإضافة.

﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾ فعل ماض مؤنث ومفعول به مقدم. الاستهواء: «طلب هوى المرء ومحبته أي استجلاب هوى المرء إلى شيءٍ يحاوله المستجلب... والعرب يقولون: استهوته الشياطين، إذا اختطف الجنّ عقله فسيرته كما تريد. وذلك قريب من قولهم: سَحَرْتُهُ، وهم يعتقدون أنّ الغيلان هي سحرة الجنّ، وتسمّى السعالى أيضاً، واحداً سَعَلَاة، ويقولون أيضاً: استهامة الجنّ إذا طلبت هيامه بطاعتها»^١.

﴿الشَّيْطِينُ﴾ فاعل.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾ لأنّه يتضمن معنى ذهب به واستمالت به وضلّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿حَيْرَانَ﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾. الحيران: التائه الذي لا يدري ما يصنع، وعدم الاهتداء إلى السبيل.

﴿لَهُرَّ﴾ خبر مقدم.

﴿أَصْحَبُ﴾ مبتدأ مؤخر، ﴿لَهُرَّ أَصْحَبُ﴾ صفة لـ ﴿حَيْرَانَ﴾ أو حال ثانية أي له رفقة معه حين تحيره.

﴿يَدْعُونَهُرَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. الدعاء: القول الدال على طلب عمل من المخاطب.

﴿إِلَى الْهَدَى﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَدْعُونَهُرَّ﴾، وإلى الدين الحقّ والصراط

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٦٢.

المستقيم.

﴿أَتَيْنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. أي يقولون أصحابه
﴿أَتَيْنَا﴾، بيان لـ ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾، ولكنه «لا يقبل منهم ولا يصير إليهم»^١.
﴿قُلْ﴾ خطاباً للنبي الخاتم ﷺ. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
﴿هُدَى﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.
﴿هُوَ الْهُدَى﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾. أي ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ
الْهُدَى﴾ الحقيقي الذي يجب أن يؤخذ به دون الدعوة الشيطانية.
﴿وَ﴾ عاطفة. عطف تفسير.

﴿أَمَرْنَا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل. ﴿إِ﴾ بمعنى «كي».
﴿نُسَلِمَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لِ» وفاعله ضمير مستتر
«نحن». أي ﴿أَمَرْنَا﴾ للإسلام و «هو تسليم عامة الأمور إليه تعالى لا مجرد التشهد
بالشهادتين»^٢.

﴿لَرَبِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُسَلِمَ﴾. ﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه^٣.

﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

تمتة الآية السابقة ومعناه ﴿أَمَرْنَا﴾ لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة أو ﴿أَمَرْنَا﴾
بالإسلام وإقامة الصلاة واختارها بالذكر من التكاليف الشرعية مع التقوى والتذكر

١. التبيان ٤/١٦٩.

٢. الميزان ٧/١٤٥.

٣. قد صححت هذا الجزء إلى هنا في أيام نوروز ١٣٩٨ ش في مدينتي اصفهان والمشهد المقدس حيث
كنت زائراً لمولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام وآخرها يوم مبعث جدّه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ٢٧ رجب
المرجب ١٤٤٠ والحمد لله على جميع نعمه وآلائه.

بالمعاد لأجل أهميتهنّ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿أَقِيمُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿الصَّلَاةُ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به، معطوف على ﴿أَقِيمُوا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، والجملة بعدها معطوف على ﴿اتَّقُوا﴾ عطف الخبر على الإنشاء.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾ خبر. ﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق ﴿تُحْشَرُونَ﴾.

﴿تُحْشَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ

قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٧٣﴾

بيان أسماء وصفات الله تعالى تتميماً وتكميلاً للاحتجاج الوارد في الآية ما قبل

السابقة رداً على عبدة الأصنام، لو انتفى واحد منها لم يتم الاحتجاج.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، قصر حقيقي يعترف به المشركون من العرب.

﴿الَّذِي﴾ خبر.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الَّذِي﴾.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. إلى هنا الوصف الأول المعترف به من

قبل المشركين بأنَّ الله تعالى هو الخالق.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾ والباء للملابسة أي ﴿خَلَقَ﴾ خلقاً متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾، أو للمعية أي ومعه الحق. وهذا هو الوصف الثاني يدل على أن خلقه سبحانه إنما هو ﴿بِالْحَقِّ﴾ لا بالباطل، «والفعل إذا لم يكن باطلاً لم يكن مندوحة من ثبوت الغاية له فللخلقة غاية وهو الرجوع إليه تعالى»^١، وقد عبر سبحانه بعدم كون الخلقة باطلة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» منصوب على الظرفية. ذهب جمع^٣ على أن المراد به يوم القيامة والبعث ولكن الظاهر أنه أعم من يوم الخلق ويوم البعث ولا يختص بالأخير.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ خبر مقدم.

﴿كُنْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للمخلوقات، والمراد به

تعلق إرادة الخالق بخلقها.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى المخلوق. فإذا

تعلق إرادة الخالق بخلقها يتحقق في العالم الوجود على نحو إرادة الله تعالى.

﴿قَوْلُهُ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والمراد بالقول هنا الخلق.

﴿الْحَقُّ﴾ نعت لـ ﴿قَوْلُهُ﴾ ويفيد القصر. و «في الكلام حذف وتقديم وتأخير

١. الميزان ١٤٦/٧.

٢. سورة ص / ٢٧.

٣. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٦٧/٦؛ الميزان ١٤٦/٧؛ مواهب الرحمن ٥١٤/١٣.

وأصله هكذا: و ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشَّيْءِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^١.

والمراد به أنّ وصف الحقيقة لا يختص بخلق السموات والأرض فقط بل يجري في جميع المخلوقات والعوالم وهذا هو الوصف الثالث.

﴿وَ﴾ استثنائية وما بعدها الوصف الرابع.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿الْمَلَكُ﴾ مبتدأ مؤخر، قصر ﴿الْمَلَكُ﴾ ﴿لَهُ﴾ تعالى، في جميع العوالم ولكن بروزها وظهورها في يوم القيامة.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿لَهُ الْمَلَكُ﴾.

﴿يُنْفَخُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿فِي الصُّورِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنْفَخُ﴾. والنفخ ﴿فِي الصُّورِ﴾ «يوم القيامة في موضعين:

أحدهما: عند ارادته سبحانه صعق المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^٢.

والثاني: عند البعث والنشر للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^٤»^٥.

والظاهر أنّ المراد به هنا الثاني وكناية عن بعث مَنْ فِي الْقُبُورِ.

﴿عَلِمُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف وتقديره «هو» ﴿عَلِمُ﴾.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢١٠.

٢. سورة الزمر / ٦٨.

٣. سورة الزمر / ٦٨.

٤. سورة يس / ٥١.

٥. مواهب الرحمن ١٣/ ٥١٦.

﴿الْغَيْبِ﴾ مضاف إليه. ﴿الْغَيْبِ﴾: الشيء الخفي المستور. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿الشَّهَدَةِ﴾ معطوفة على ﴿الْغَيْبِ﴾. والمراد بها ما كان ظاهراً واضحاً.
﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ﴾ هو الوصف الخامس.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، معطوف على ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾.
﴿الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ خبران. تعليل لما سبق وتلخيص لما ورد في الآية الشريفة
وهما الوصفان السادس والسابع. وبهما تم الاحتجاج و الحمد لله الموصوف بهذه
الأوصاف والمسمى بهذه الأسماء.

رواية

الصدوق بسنده الموثق عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى:
﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ﴾، فقال: الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان.^١
ذكرت في الرواية أحد مصاديق الغيب والشهود ولهما مصاديق متعددة أخرى.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّزَ أَنْتَخِذْ أَصْنَامًا ءِإِنَّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبين ﴿

هذه الآية وتسعة من بعدها «بيان لمصداق كامل من القيام بدين الفطرة
والانتهاض لنشر عقيدة التوحيد والتنزيه عن شرك الوثنية وهو الذي انتهض له
إبراهيم عليه السلام وحال له على الوثنية حينما أطبقت الدنيا على الوثنية ظاهراً، ونسوا ما سنه
نوح عليه السلام والتابعون له من ذريته الأنبياء من طريقة التوحيد»^٢.

١. معاني الأخبار / ١٤٦، ح ١.

٢. الميزان / ٧ / ١٥٥.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿إِذْ﴾ مفعول به فعل محذوف «اذكر».

﴿قَالَ﴾ فعل ماض. ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ فاعله.

﴿لَأَبِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَالَ﴾ ومضاف إليه. والأب في اللغة العربية يطلق على «الجد والعمّ وزوج أمّ الإنسان بعد أبيه وكلّ مَنْ تَوَلَّى أمور الشخص وكلّ كبيرٍ مطاع»^١ والمراد به هنا أحد الأخيرين لا الأب الواقعي وهو الوالد.

«وقال الزجاج: لا خلاف بين أهل النسب أنّ اسم أبي إبراهيم «تارخ»»^٢.

﴿ءَأَزَرَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿لَأَبِيهِ﴾ وهو ممنوع من الصرف «لوزن» الفعل

والعجمة أو العلمية.

﴿أ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ، وبداية مقالة إبراهيم.

﴿تَتَّخِذُ﴾ فعل مضارع باب افتعال من «الأخذ» وفاعله ضمير مستتر «أنت»

وقلبت الهمزة الأصلية تاءً لقصد الادغام ويتعدى لمفعولين.

﴿أَصْنَامًا﴾ مفعول به أول، جمع صنم وهي صورة تمثّل شكل انسان أو حيوان

والظاهر أن اعتبار كونها معبوداً داخل في اسم صنم.

﴿ءَاهَةً﴾ مفعول به ثان. ﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.

﴿أَرْنَاكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به، خبر ﴿إِنِّي﴾ في

محلّ رفع. والمراد بالروية هنا الرؤية القلبية والاعتقادية.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿قَوْمَكَ﴾ معطوف على الضمير المفعولي في ﴿أَرْنَاكَ﴾ ومضاف إليه.

﴿فِي ضَلَالٍ﴾ متعلّق بحال محذوف أو في محلّ نصب حال تقديره: ضالين. «يعني

١. الميزان ٧/ ١٦٥.

٢. التبيان ٤/ ١٧٥.

في ضلال عن الصواب»^١.

﴿مُبين﴾ نعت لـ ﴿صَلَّلِ﴾. ﴿مُبين﴾: «البيّن الظاهر»^٢.

الروايات

روي عن النبي ﷺ أنه قال: نقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يندسني بدنس الجاهلية.^٣
وقال الشيخ الطوسي: «هذا خبر لاخلاف في صحته، فبين النبي ﷺ أن الله نقله من أصلاب الطاهرين فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم بأتهم طاهرون، لأن الله وصف المشركين بأتهم أنجاس، فقال ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^٤ وهم في ذلك أدلة لا تطول بذكرها الكتاب لتلا يخرج عن الغرض»^٥.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أن آزر كان أبا إبراهيم في التربية.^٦
وروي في حديث عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن اسم أبي إبراهيم «تارخ»^٧.
«أقول: ومن أجل ذلك ذكر أصحابنا أن آزر ما كان والد إبراهيم عليه السلام بل جدًّا لأمه، أو عمه عليه السلام، وعليه يحمل قوله سبحانه: ﴿لَأَبِيهِ أَزْرٌ﴾، فإن لفظ الأب أعم إطلاقًا من لوالد كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾^٨، فقد عدَّ إبراهيم أبا ليعقوب وهو جدّه، وإسماعيل أبا له وهو عمّه، وليس الإطلاق من

١. التبيان ٤/ ١٧٦.

٢. التبيان ٤/ ١٧٦.

٣. التبيان ٤/ ١٧٥؛ أوائل المقالات / ٤٦؛ تصحيح الاعتقاد / ١٣٩؛ إيمان أبي طالب / ٥٧.

٤. سورة التوبة / ٢٨.

٥. التبيان ٤/ ١٧٥.

٦. البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٤٤٣.

٧. البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٤٣٣؛ بحار الأنوار ١٢/ ٤٢، ح ٣١.

٨. سورة البقرة / ١٣٣.

باب التغليب لعدم جواز تغليب الواحد على الإثنين، ونظير الأب والوالد في النسبة:
الأم والوالدة.

وعن الزجاج قال: إنه ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تاريخ^١.
وهو يؤيد ذلك، على أن كلامه سبحانه يشهد بذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾^٢، وهذا في أول ما يكلم أباه ويشاجرهم،
ثم قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى أن قال:
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الضَّالِّينَ﴾^٣ الآيات، وهذا في أواخر حاله مع قومه، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ
أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^٤
ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إلى أن قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ
الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ﴾^٥.

وهذا من دعاء إبراهيم في أواخر عهده، وقد دعا لوالديه بالمغفرة مع نفسه
والمؤمنين فهما غير أبيه الذي تبرأ منه وهو ظاهر، وما أَلطف قوله: ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ ولم يقل:
لأبوي، فما وقع في بعض الروايات^٦ من طرقتنا أن أزر كان والد إبراهيم عليه السلام لا ينبغي

١. القصص للجزائري / ١٠٨؛ بحار الأنوار ١٣ / ٤٧.

٢. سورة مريم / ٤٧.

٣. سورة الشعراء / (٨٦-٦٩).

٤. سورة التوبة / ١١٤.

٥. سورة إبراهيم / (٤١-٣٥).

٦. كصحيح ابن مسكان المروي في تفسير القمي ١ / ٣٠٤، ح ٢٠ ومرسلة أبي بصير المروية في تفسير
العياشي ٢ / ١٠١، ح ٣٢.

أن يركن إليه والله أعلم»^١.

ووافقنا على هذا البيان جماعة من العامة: منهم الألويسي في روح المعاني قال: «... المذكور في القرآن بالكفر هو عمّه حيث صرح في الأثر الأوّل أنّ الذي هلك قبل الهجرة هو عمّه ودلّ الأثر الثاني على أن الاستغفار لوالديه كان بعد هلاك أبيه بمدة مديدة فلو كان الهالك هو أبوه الحقيقي لم يصح منه ﷺ هذا الاستغفار له أصلاً؛ فالذي يظهر أن الهالك هو العم الكافر المعبر عنه بالأب مجازاً وذلك لم يستغفر له بعد الموت وأنّ المستغفر له إنّها هو الأب الحقيقي وليس بأزر، وكأنّ في التعبير بالوالد في آية الاستغفار وبالأب في غيرها إشارة إلى المغايرة»^٢.

وخالفنا جماعة أخرى منهم: الفخر الرازي وتبعه صاحب المنار وقال الأوّل منهما: «قالت الشيعة: إنّ أحداً من آباء الرسول عليه الصلاة والسلام وأجداده ما كان كافراً وأنكروا أن يقال أن والد إبراهيم كان كافراً وذكروا أن أزر كان عم إبراهيم ﷺ. وما كان والداً له واحتجوا على قولهم بوجوه^٣... وأما أصحابنا فقد زعموا أنّ والد رسول الله كان كافراً وذكروا أن نص الكتاب في هذه الآية يدلّ على أنّ أزر كان كافراً وكان والد إبراهيم ﷺ. وأيضاً قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^٤ وذلك يدلّ على قولنا، وأما قوله ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ﴾^٥ قلنا: قد بينا أنّ هذه الآية تحتل سائر الوجوه قوله تحمل هذه الآية على الكلّ، قلنا هذا محال لأنّ حمل اللفظ المشترك على جميع معانيه لا يجوز، وأيضاً حمل

١. تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن ٤/ ٨٦ و ٨٧، للعلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان ﷺ.

٢. روح المعاني ٧/ ٢٥٤.

٣. التفسير الكبير ١٣/ ٣٨.

٤. سورة التوبة / ١١٤.

٥. سورة الشعراء / ٢١٩.

اللفظ على حقيقته ومجازه معا لا يجوز، وأما قوله ﷻ «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» فذلك محمول على أنه ما وقع في نسبه ما كان سفاحاً، أما قوله التغليظ مع الأب لا يليق بإبراهيم ﷺ. قلنا: لعله أصرَّ على كفره فلاجل الاصرار استحق ذلك التغليظ. والله أعلم»^١.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

معناها: «إنا أرينا إبراهيم ملكوت السماوات والأرض فبعثه ذلك أن حاج أباه وقومه في أمر الأصنام وكشف له ضلالهم، وكنا نمده بهذه العناية والموهبة وهي إرادة الملكوت»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله ﷻ: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّأْتُتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِالِهَةً﴾ في الآية السابقة.

﴿كَذَلِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة «إلى ما تضمته الآية السابقة من اهتدائه ﷻ للحق، وهو أن عبادة غير الله ﷻ ضلال مبين، وعلى هذا النحو يريه الله تعالى ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن جميع ذلك من الحق وبالحق الذي تقدم ذكره في الآيات السابقة. فيكون التعبير بصيغة المستقبل للدلالة على أنه ﷻ محاطٌ بهذه العناية الإلهية على الدوام والاستمرار، وتجدها له أنا فأن، فإنه مع قومه على جهاد مستمر، وعلى سُلَّم الكمال قد استقر، فلا بد من عناية مفاضة»^٣.

﴿نُرِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن»، خبر، وفعل المضارع يدل

١. التفسير الكبير ١٣ / ٤٠.

٢. الميزان ٧ / ١٧٠.

٣. مواهب الرحمن ١٤ / ٢٠.

على الدوام والاستمرار لهذه الإِراة ولا يختص «لحكاية الحال الماضية»^١ وإن كان يشملها.

﴿إِترَاهِيمَ﴾ مفعول به أول.

﴿مَلَكُوتَ﴾ مفعول به ثان. «المراد من الملكوت هو وجود الأشياء من جهة انتسابها إلى الله سبحانه، وذكر [بعض العلماء] أن هذا هو الذي يفسر به معنى الملكوت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^٢، فإن هذه الآية تبين أن ملكوت كل شيء هو كلمة ﴿كُنْ﴾ الذي يقول لها الحق سبحانه له، وقوله فعله، وهو إيجاد له.

ولذلك كان النظر في ملكوت الأشياء، يهدي الإنسان إلى التوحيد هداية قطعية، فيكون معنى إرادة إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض، هو توجيهه تعالى إلى مشاهدة الأشياء من جهة استناد وجودها إليه سبحانه، لا يلبث أن يحكم عليها بأنه ليس شيء منها رب يتولى تدبير النظام وأداء الأمور.

ولكن التمعن في الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة - وهي أربع آيات - يستفاد أن لها معنى أدق مما ذكره، فإن آية ﴿يَسْ﴾ التي تقدم ذكرها تدل على أن الملكوت غير الخلق والإيجاد، بل هو حقائق الأشياء وبواطنها وسلطانه تعالى القاهر على ما في السماوات والأرض، وهو مختص بملك الله تعالى.

ولا ريب أن أصل ملكه عز وجل العظيم دليل الربوبية، كما يعرفه جميع الموحدين، إلا أن الإطلاع على آثار حكمة الله في كل واحد من المخلوقات هو شيء آخر، ولم يحصل إلا لبعض أنبياء الله سبحانه كإبراهيم عليه السلام، ولهذا كان نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «أرنا الأشياء كما هي».

١. الميزان ٧/ ١٦٩.

٢. سورة يس / ٨٣-٨٢.

والاهتداء بالملكوت عليه، سبحانه غير الاهتداء بالملك عليه فإن الثاني دليل الأول، وإن قيام الملك بالملكوت وقيام الملكوت بقدرة الخلق، كما قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^١، وبهذه الإفاضة على خليله ﷺ، فإنه رأى ما رأى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٢.

وهذا المعنى هو الذي يدل عليه قوله تعالى في سورة يس، فإن الملك الذي بمعنى الخلق والإيجاد قد دل عليه صدر الآية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٣، ولكن ذيلها يبين حقيقة الملك، وهي الآيات المودعة فيها الدالة على التوحيد وعظمة خالق عالم الملك، وهي الآيات المودعة فيها الدالة على التوحيد وعظمة خالق عالم الملك، والتي تكون بيده ﷻ، الذي تنزهه عن مجانسة مخلوقاته. فما ذكره بعض السادة المفسرين^٤ من أن ملكوت كل شيء هو كلمة ﴿كُنْ﴾، الذي يقوله الحق سبحانه له، وقوله فعله وهو إيجاده له.

خلاف ظاهر الآية الكريمة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾^٥، فإن ما بيده من ملكوت كل شيء ليس الخلق فقط، بل يشمل جميع الأسرار والآيات المودعة فيها، وكل شؤونها كالقدر والقضاء، فكانت آيات باهرات تدل على الألوهية العظمى والوحدانية الكبرى، والربوبية التامة، وحكمته المتعالية، وصفاته المقدسة، ولا ريب أن مثل هذا الانتساب إليه ﷻ يكون من الدلالات الواقعية على توحيدته تعالى وصفاته العليا، ولا يشركه غيره فيها أبداً.

١. سورة يس / ٨٣.

٢. سورة النجم / ٩.

٣. سورة يس / ٨٢.

٤. هو العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله في الميزان ٧ / ١٧١.

٥. سورة المؤمنون / ٨٨.

ولذا يكون النظر في ملكه تبارك وتعالى يهدي إلى التوحيد الذي يشترك فيه جميع الموحدين، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^١.

وأما النظر في الملكوت، فإنه يهدي إلى التوحيد الحقيقي الواقعي، من حيث الذات والصفات، وسائر شؤونه المقدسة، فكان توجيه إبراهيم عليه السلام إلى مشاهدة الأشياء بحقائقها وبواطنها، قد اكتسب التوحيد الحقيقي، فصار هو مصداقاً لملكوته عليه السلام، فأنا الله تعالى قلبه، وأذعن بأن جميع الأشياء مظاهر توحيده وصفاته العليا، والجميع مربوبٌ لربوبية التامة الكاملة، وهده إلى الدعوة إلى التوحيد، وألهمه جميع ما تقتضيه الدعوة من الحجج والبراهين الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته وعلمه وحكمته، كما تدلّ على كلا الأمرين الآية اللاحقة، وبيّنت فساد الشرك وبطلانه فلا إله غيره ولا ربّ سواه، وأنّ خلقه مربوب ومصنوع له عليه السلام يتولّى أمرها، والمصنوع المربوب لا يمكن أن يكون ربّاً، لأنّه ليس لها الملك والتدبير، ولا حقّ لها أن تدّعي الربوبية، لأنّه لا قدرة لها، هذا كلّ بالنسبة إلى الملكوت على ما يقتضيه التدبّر في الآيات^٢.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِ﴾ حرف تعليل.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر «هو». ﴿لِيَكُونَ﴾ معطوف

على ﴿وَكَذَلِكَ﴾.

﴿مِنْ﴾ تبعية.

١. سورة الأعراف / ١٨٥.

٢. مواهب الرحمن ١٤ / (٢٤-٢١).

﴿الْمُوقِنِينَ﴾ مجرور بحرف جر ﴿مِنْ﴾. جار ومجرور خبر ﴿يَكُونُ﴾. الموقن: العالم الذي يتقن الشيء بعد أن لم يكن مثبتاً ولهذا لا يوصف تعالى بأنه متيقن كما يوصف بأنه عالم، لأنه عالم بها فيما لم يزل^١.

الروايات

أذكر في هذا المجال عدّة من الروايات الصحاح فقط ومن أراد التفصيل فراجع الكتب الروائية التفسيرية.

صحيححة عبدالله بن مسكان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

قال: كُشِطَ^٢ لإبراهيم [ملكوت] السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمّد عليه السلام مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمة عليهم السلام من بعده قد فعل بهم مثل ذلك^٣.

صحيححة أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هل رأى محمد عليه السلام ملكوت السماوات والأرض كما رأى إبراهيم؟ قال: [نعم] وصاحبكم^٤.

صحيححة أخرى لأبي بصير عن أحدهما عليه السلام قال: قلت له: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: كشفت له السماوات والأرض حتّى رآها ورأى ما فيها والعرض ومن عليه [قال]: قلت [له]:

فأوتى محمد [مثل] ما أوتي إبراهيم؟ قال: نعم، وصاحبكم هذا [أيضاً]^٥.

١. التبيان ٤/ ١٧٧.

٢. أي كُشِفَ.

٣. بصائر الدرجات ١/ ٢٠٦، ح ٤١٤.

٤. بصائر الدرجات ١/ ٢٠٨، ح ٤١٦.

٥. بصائر الدرجات ١/ ٢٠٨، ح ٤١٧.

صحيحة ثالثة لأبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملكوت السموات والأرض وراها كما رأى إبراهيم؟

قال: نعم، وصاحبكم أيضاً.^١

عبدالرحيم القصير قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

قال: كشط له عن السموات والأرض حتى رآها وما فيها، وحتى رأى العرش ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.^٢

حسنة أخرى لعبدالرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام: في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.

قال: كشط له السموات السبع حتى نظر إلى السماء السابعة وما فيها، والأرضون السبع حتى نظر إلى الأرضين السبع ومن فيهنّ، وفعل بمحمد كما فعل بإبراهيم، وإنّي لأرى صاحبكم قد فعل به مثل ذلك.^٣

صحيحة هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كُشط له عن الأرض ومن عليها وعن السماء ومن فيها، والملك الذي يحملها، والعرض ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين صلوات الله عليه.^٤

صحيحة رابعة لأبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السموات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات! ثم رأى آخر، فدعا عليه فمات! حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا! فأوحى الله عزّ ذكره إليه: يا إبراهيم، إنّ دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي، فإنّي لو شئت لم أخلقهم، إنّي

١. بصائر الدرجات ١/٢٠٩، ح ٤٢١.

٢. بصائر الدرجات ١/٢٠٩، ح ٢٤٢.

٣. بصائر الدرجات ١/٢١٠، ح ٤٢٤.

٤. تفسير القمي ١/٣٠٢، ح ١٨.

خلقت خلقي على ثلاثة أصناف:

صنف يعبدني ولا يشرك بي شيئاً فأثيبه، وصنف يعبد غيري فليس يفوتني،
وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني.^١

رواها الكليني بسنده الصحيح في الكافي مع زيادة لطيفة.^٢

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أطعم ثلاثة نفرٍ من المسلمين، أطعمه الله من ثلاث جنانٍ في ملكوت السموات: الفردوس، وجنة عدن، وطوبى، وشجرة تخرج في جنة عدنٍ غرسها ربنا بيده.^٣

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السموات والأرض.^٤
تلك عشرة كاملة من الروايات المعتمدة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الْأَفْلِينَ﴾

نقل برهان إبراهيم على قومه الذين «يعبدون الكواكب من دون الله، فأراد أن يستدرجهم إلى الحق، ويلفتهم إلى منطق العقل والفطرة برفق ولين، فانتظر حتى جنَّ عليه الليل، وستر الأرض بظلامه، ورأى كوكباً مما يعبدون، فقال محاكاة لزعمهم: هذا ربِّي. فاطمأنوا إليه، ولمَّا أفل الكوكب وغاب تحت الأفق أيقظ عقولهم، ولفت

١. تفسير القمي ١/٣٠٣، ح ١٩.

٢. الكافي ١٥/٦٨٤، ح ٤٧٣ (٣٠٥/٨).

٣. الكافي ٣/٥١٢، ح ٣ (٢٠٠/٢).

٤. الكافي ٣/٦٥٧، ح ١٣ (٢٦٣/٢).

نظرهم إلى أن الآلهة لا تتقلب وتتغير، ولا يحجبها شيء»^١.

﴿فَ﴾ تفریع على قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِيّ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم مبني على السكون، ظرف زمان بمعنى «حين».

﴿جَنَّ﴾ فعل ماضٍ، أي سَتَرَ، وهنا أظلم.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَنَّ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿أَلَيْلُ﴾ فاعل، أي أظلم ﴿أَلَيْلُ﴾ على إبراهيم إظلاماً، وأحاطته ظلمة ﴿أَلَيْلُ﴾.

﴿رَءَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿كَوْكَبًا﴾ مفعول به، وتنكيره لعدم الأهمية لتعيينه. والكواكب: النجم، وجملة

﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ جواب شرط ﴿لَمَّا﴾. وقد يقال: بأنّه الزهرة مؤيداً بإختيار أكثر

المفسرين^٢ والاعتبار^٣ والرواية^٤.

﴿قَالَ﴾ بداية جملة مستأنفة وهي حكاية زعم عبدة النجوم، وصدر من

إبراهيم ﷺ على الإنكار والاستخبار وأنه خاطبهم بهذه المقالة.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى الكوكب لقصد تمييزه من بين الكواكب.

﴿رَبِّي﴾ خبر ومضاف إليه. وتعريف الجزأين يفيد القصر ﴿هَذَا رَبِّي﴾. ﴿رَبِّي﴾

أي مدبّرني والمستحق لعبادتي جرياً على معتقد هذا القوم.

﴿فَ﴾ تفريعية. ﴿لَمَّا﴾ مرّ في أوّل الآية.

﴿أَفَلْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿كَوْكَبًا﴾، ﴿أَفَلْ﴾:

غاب. والأفول خاص بغياب النيرات السماوية.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢١٤.

٢. كما في مواهب الرحمن ١٤/ ٢٦.

٣. كما في الميزان ٧/ ١٧٣.

٤. عيون أخبار الرضا ﷺ ١/ ٢٥٥، ح ١ خبر علي بن محمد بن الجهم، من طبعة آل البيت ﷺ.

﴿قَالَ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ . ﴿لَا﴾ نافية .

﴿أُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» .

﴿الْأَفْلِينَ﴾ مفعول به . «برهان عظيم يدل على نفي ربوبية ما سواه ﷻ مهما كان، وتأتي عظمته من أنه له، وجهاً متعدداً يكفي واحداً منها على المطلوب، يستفيد منه العوام والخواص وأخص الخواص» .

الوجه الأول: إن إثبات الأفعال للرب يستلزم الانقطاع عن مربوبه، ولا يستقيم تدبير الكون مع غياب الرب، وهو دليل قوي يفهمه عامة الناس من دون حاجة إلى فكر عميق، وهو من سمات حجج إبراهيم عليه السلام؛ ومن هنا اقتصر على الأفعال دون ذكر البزوغ ونحوه، مع أن كلها من تبدل الأحوال، لأن الأفعال تبدل مع احتجاب وانقطاع، كما عرفت، ولا يمكن أن يكون الرب منقطعاً عن مربوبه .

الثاني: إن الأفعال من صفات الجسمانيات، لأنه التغير في الأحوال، كالمنتقل في المكان وهما من صفات الحدوث والإمكان المستحيلين على الرب القديم الأزلي الأبدي . وهذا برهان علمي إلى من عنده نوع من العلم والمعرفة .

الثالث: إن نفي الحب عن الأفلين كناية عن عدم عبادة الأفلين، لأن نفي المحبة تستلزم نفي العبادة بالأولى .

الرابع: إن الربوبية والمربوبية تقتضي الارتباط بين الرب والمربوب، وهو يقتضي التبعية التكوينية بينهما، ولا يتحقق الحب بالنسبة إلى المتغير الفاني، فنفي الحب لبيان هذه الجهة التي تنافي جعل المتغير الفاني رباً .

الخامس: إن المحبة إنما تأتي من الجمال الذي يكون في الطرف الآخر، فينبهر به ويخلب قلبه، والمحبة في هذه الحالة لا يلتفت إلى الفناء المعجل له لاستغراقه في حبه، فإن قوام الحب إنما هو الدوام، ولو كان في الأمور المادية التي تعتمد على الزوال والفناء، فضلاً عن حب الجمال المطلق، فلا بد أن يكون الرب المحبوب ثابت الوجود

غير متغيّر الأحوال، وهذا النوع من البرهان أقرب إلى الخطابي منه.

السادس: إنّ المربويّة والعبودية متقوّمة بالحبّ، فلا عبادة إلّا بالحبّ، كما ورد في الحديث المعروف المروي عن الصادق عليه السلام «هل الدّين إلّا الحبّ»^١، وقد [يقال]: أنّ الموجودات قائمة بعشقها للجمال المطلق، وإلّا كانت عرضة للفناء والزوال، وقد بيّن عليه السلام أنّ أفول الكوكب يستلزم فناء المربوب العابد له، وهو دليل على نفي المحبّة، فلا بدّ أن يكون الربّ أزليّاً أبديّاً دائم الجمال منزّهاً عن المتغيّرات والسلوب، فعدم المحبّة دليل على نفي الربويّة والألوهيّة، لفقدان الجمال الأزلي الأبدي، ومثل هذا البرهان يرجع إلى الشهود، وهو دليل الصديقين، فاجتمع في هذه الآية المباركة أنواعٌ من الحجج ليستفيد كلّ واحدٍ منها حسب استعداده وقابليته»^٢.

الروايات

عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، قال في إبراهيم عليه السلام، إذ رأى كوكباً، قال: إنّما كان طالباً لربه ولم يبلغ كُفراً، وإنّه من فكّر من الناس في مثل ذلك فأنّه بمنزلته^٣.

عن حُجر، قال أرسل العلاء بن سيّابة يسأل أبا عبدالله عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام: «هَذَا رَبِّي» وقال: إنّ من قال هذا اليوم فهو عندنا مشرك؟ فقال عليه السلام: لم يكن من إبراهيم شريكاً، إنّما كان في طلب ربه وهو من غيره شريكاً^٤.

عن محمّد بن حُمران، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله فيما أخبر عن

١. الكافي ١٥/١٩٩، ح ٣٥ (٨/٨٠).

٢. مواهب الرحمن ١٤/٣١.

٣. تفسير العياشي ٢/١٠٢، ح ٣٨.

٤. تفسير العياشي ٢/١٠٣، ح ٤١.

إبراهيم عليه السلام: ﴿هَذَا رَبِّي﴾، قال: لم يبلغ به شيئاً، أراد غير الذي قال. ١.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي

لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

تممه برهان إبراهيم عليه السلام.

﴿فَلَمَّا﴾ معطوف على ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ ٢.

﴿رَأَى الْقَمَرَ﴾ فعل وفاعل ومفعول.

﴿بَازِعًا﴾ حال من ﴿الْقَمَرَ﴾، بزوغ الشيء: ابتداء طلوعه. ﴿بَازِعًا﴾: طالعاً.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الافتراض أو المجازاة والمهاشة والتسليم.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ﴾ مرّ في الآية السابقة. ﴿لَ﴾ موطئة للقسم.

﴿ئِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَهْدِنِي﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة ونون الوقاية ومفعول به

مقدم، فعل الشرط.

﴿رَبِّي﴾ فاعله ومضاف إليه. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب القسم المقدر.

﴿أَكُونَنَّ﴾ فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر «أنا» ونون التأكيد

الثقيلة.

﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿لَأَكُونَنَّ﴾.

﴿الضَّالِّينَ﴾ نعت لـ ﴿الْقَوْمِ﴾.

والجملة ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ بيان

١. تفسير العياشي ٢/١٠٤، ح ٤٢.

٢. سورة الأنعام/٧٦.

أن الهداية توفيق ربّاني ومن شؤون الربوبية العظمى، فتكون الهداية إلى الربّ تعالى هي الحقّ الذي لا يجاد عنه، وتنبية لقومه على أنّ من اتّخذ القمر وغيره ربّاً وإلهاً، الذي هو نظير الكوكب في الأفل، فهو ضالٌّ، فتكون الجملة كناية عنه، للإعلام بأنّ ما وصف به الكوكب من الأفل لا يختصّ به، بل يصدق على كلّ ما يشابهه، فيكون الاعتقاد به ضلالاً، فمن أصرّ عليه يكون واحداً من الضالّين.

وإدراج نفسه ﷺ مع القوم الضالّين، إنّما هو من كمال النصفه منه، وفيه التعريض بضلالهم، وهو أبلغ من التصريح، ومنه يظهر الوجه في رجائه للهداية الإلهية، لا لكونه مترقباً لما يفيض ربّه عليه من النظر الصحيح والرأي اليقين، سواء كان بحسب الحقيقة أو بحسب الظاهر، كما ذكره بعض المفسّرين، فإنّه لا يتلاءم ما ذكرنا سابقاً من أنّه ﷺ لم يدخل في الحجاج مع قومه إلا بعد ما أفاض الله تعالى عليه من اليقين.

وإنّما تدرّج من عدم المحبة إلى الضلالة، لأنّ نفي المحبة يدلّ على بطلان ربوبية غير الله تعالى مطلقاً، وبعد تنبّههم إليه، فيكون إصرارهم على اتّخاذ غيره سبحانه ضلالاً.

وفي الآية الدلالة على أنّ استدلاله ﷺ ليس لنفسه بل كان محاجة لقومه، كما عرفت سابقاً. فما ذكر بعض السادة المفسّرين^١ من أنّه كان على يقين بأنّ له ربّاً إليه تدبير هدايته وسائر أموره، وإنّما كان يبحث واقعاً أو ظاهراً ليعرفه أهو الذي فطر السماوات والأرض بعينه، أو بعض من خلقه، فلمّا بان له أنّ الكوكب والقمر لا يصلحان للربوبية لأفولهما، توقع أن يهديه ربّه إلى نفسه، ويخلصه من ضلال الضالّين.

ويردّ عليه: إنّ لا يتلاءم مع ظاهر الآيات الواردة في المقام، فإنّه كان على يقين في أصل العقيدة وخصوصياتها، ومصدق ما يعتقد من أنّه الله الواحد الأحد الربّ


١. وهو العلامة الطباطبائي ﷺ في الميزان ٧/ ١٧٩.

الذي لا ينازعه شيء، المنزّه عن كلّ نقص، وقد عرف الحجّة والاستدلال، فلا يصحّ أن يكون باحثاً عن مصداق ما يعتقده، فكلّ ما ورد في الآية الكريمة إنّما هو على سبيل التسليم، ومن المعلوم أن حصول اليقين لا ينافي ذلك»^١.

رواية

عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ أي ناسٍ للميثاق.^٢

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِّمِ

إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ 

تكميل برهان إبراهيم عليه السلام وفيه دلالة «أنّ القمر قد كان غرب حينما رأى عليه السلام الشمس بازغة، وهذا إنّما يكون في الخريف أو الشتاء في العرض الشمالي الذي كانت فيه بلاد كلدان حين يطول الليالي وخاصة إذا كان القمر في شيء من البروج الجنوبية كالقوس والجدي فعند ذلك يميز الوضع السماوي أن يغرب القمر في النصف الأخير من الشهر القمري قبل طلوع الشمس»^٣.

﴿فَلَمَّا﴾ معطوف على ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ في الآية السابقة.

﴿رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ مرّت إعرابها في الآية السابقة وقد ذكروا في

تذكير اسم الإشارة بوجوه متعددة منها:

١. مواهب الرحمن ١٤/٣٤ و ٣٥.

٢. تفسير العياشي ٢/١٠٣، ح ٣٩.

٣. الميزان ٧/١٨٣.

- على لغة غير مشهورة تُذكر وتؤنث الشمس.
- باعتبار الخبر أتى بالابتداء مذكراً.
- أو أئهما (الابتداء والخبر) عبارة عن شيء واحد.
- بتأويل الجرم المشاهد من حيث هو المسمّى أو بتأويل الذي أشير إليه ربّي أو هذا الذي أرى ربّي.

- في اللغة العجم لا فرق بين المذكر والمؤنث في الضمائر وأسماء الاشارة.

- تذكير الاشارة لتعظيم الشمس.

- إن قوم إبراهيم يعدون الشمس مذكراً.

- تذكير بأن إبراهيم لا يعرف الشمس.

- الركن الأصلي في برهان إبراهيم نفي كون الشمس ربّاً «وعليه تكون الضمائر

واسم الاشارة قد جرت على طبق القاعدة، ففي الضمائر وأسماء الاشارة كانت مؤنثة، كما في ﴿بَارِعَةً﴾ و ﴿أَفَلَتَ﴾ لكون المرجع مؤنثاً، وفي مقام إثبات الموضوع الذي أراد إثباته وهو نفي الربوبية، أشار بالمذكر فقال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ ويرشد إليه قوله الآتي ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾^١.

﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ مبتدأ وخبره. بيان تفاضل الشمس على غيرها من الأجرام

السماوية التي يعبدونها قوم إبراهيم ﷺ.

﴿فَلَمَّا أَفَلَتَ قَالَ﴾ مرّ في الآية ما قبل السابقة. ﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿قَوْمِ﴾ اسم منادى. أصله «قومي»، حذف الضمير لجهة ثقل التلفظ على

نصب «قوم» وضمير «ي»، وبُدّلَ النصب بالجر للدلالة على «ي» المحذوفة.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿بَرِيءٌ﴾ خبر ﴿إِنِّي﴾، ﴿بَرِيءٌ﴾: فعيل بمعنى فاعل من بَرِيَ يَبْرَأُ ومعناه التنحي

عن الشيء لاستقباحه والتفصي والتنزه عنه ونفي المخالطة بينها.
 ﴿مَمَّا﴾ «من» حرف جر و «ما» موصولة، متعلق بـ ﴿بَرِيءٌ﴾. ويجوز أن تكون
 ﴿مَا﴾ مصدرية أي من إشراككم.
 ﴿تُشْرِكُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، صلة الموصول والعائد محذوف.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾

سلك إبراهيم عليه السلام بالتدرج في طريق البراءة من الشرك وشركاء المزعومين
 فأولاً أظهر عدم تعلق قلبه بالشريك حيث قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ «ثم الإيحاء إلى
 كون عبادة الشريك ضلالاً حيث قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
 الضَّالِّينَ﴾^١ ثم التبري الصريح من ذلك بقوله: ﴿يَنْقَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^٢ رجع
 إلى توحيده التام في الربوبية، وهو إثبات الربوبية والمعبودية للذي فطر السماوات
 والأرض، ونفي الشرك عن نفسه فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾^٣.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿وَجَّهْتُ﴾ فعل ماض وفاعله. خبر.
 ﴿وَجْهِيَ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وتوجيه الوجه كناية عن الاقبال بالعبادة
 والطاعة والخلوص في الدين، و «لازم العبودية والربوبية أن يتعلق العبد المربوب بربه
 وقوته وإرادته، ويدعوه ويرجع إليه في جمع أعماله، ولا يكون دعاء ولا رجوع إلا

١. سورة الأنعام / ٧٧.

٢. سورة الأنعام / ٧٨.

٣. الميزان ٧ / ١٩١.

بتوجيه الوجه والإقبال إليه فكُنِّي بتوجيه الوجه عن العبادة التي هي دعاء ورجوع^١.
﴿لَلَّذِي﴾ حرف جر واسم موصول، متعلق بـ ﴿وَجَّهْتُ﴾. واللام للغاية وتفيد
معنى «إلى».

﴿فَطَرَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿فَطَرَ﴾: خَلَقَ، وأصل الفَطْر:
الشَّقُّ.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿حَنِيفًا﴾ حال من ضمير ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِي﴾، ﴿حَنِيفًا﴾: «مائلًا إليه عن غيره
نافياً للشريك عنه»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها تأكيد لما قبلها.

﴿مَا﴾ حرف نفي بمنزلة «ليس» وتعمل عملها وتسمى ﴿مَا﴾ الحجازية وهي
عند بني تميم مهملة لا عمل لها.

﴿أَنَا﴾ اسم ﴿مَا﴾ أو مبتدأ.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿مَا﴾ أو خبر مبتدأ. نفي للشرك بكل
أنواعه وأقسامه من الشرك في الذات والصفات والأفعال والعبادة والنظري والعملي
والخفي والجلي.

وبالجملية تفيد الآية معنى الكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله».

رواية

في خبر علي بن محمد بن جهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي
بن موسى عليه السلام فقال له المأمون... فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً،

١. الميزان ٧/ ١٩١.

٢. الميزان ٧/ ١٩١.

فأخبرني عن قول الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^١.

فقال الرضا عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَعَ إِلَى أَصْنَافٍ: صَنَفٌ يَعْبُدُ الزُّهْرَةَ، وَصَنَفٌ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَصَنَفٌ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّرْبِ^٢ الَّذِي أُخْفِيَ فِيهِ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ فَرَأَى الزُّهْرَةَ، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ، ﴿فَلَمَّا أَفَلَّ﴾ الْكَوْكَبِ ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^٣ لِأَنَّ الْآفُولَ مِنْ صِفَاتِ الْمَحْدَثِ، لَا مِنْ صِفَاتِ الْقَدِيمِ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ ﴿فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^٤ يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ.

﴿فَلَمَّا﴾ أَصْبَحَ وَ ﴿رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ مِنَ الزُّهْرَةِ وَالْقَمَرِ عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ، لَا عَلَى الْإِخْبَارِ وَالِإِقْرَارِ ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ﴾^٥ لِلْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِبَادَةِ الزُّهْرَةِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٦ وَإِنَّمَا أَرَادَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا قَالَ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ بَطْلَانَ دِينِهِمْ، وَيُثَبِّتَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَحَقُّ لِمَا كَانَ بِصِفَةِ الزُّهْرَةِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، وَإِنَّمَا تَحَقُّ الْعِبَادَةُ لِخَالِقِهَا وَخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وأتاه كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَلَكَّ

١. سورة الأنعام / ٧٦.

٢. السرب: حفير تحت الأرض. المحكم والمحيط الأعظم ٨ / ٤٨٥.

٣. سورة الأنعام / ٧٦.

٤. سورة الأنعام / ٧٧.

٥. سورة الأنعام / ٧٨.

٦. سورة الأنعام / ٧٩-٧٨.

حُجَّتْنَا ۖ آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۗ ﴿١﴾، الحديث ٢.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۗ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ
بِهِ ۗ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٨٣﴾

هذه الآية وما بعدها بيان احتجاجات قوم إبراهيم ﷺ معه في إرجاع إبراهيم ﷺ إلى الشرك وأهتهم والله تعالى لم يذكر ما أوردوه عليه من الاحتجاج لكنه يلوح من إجابات إبراهيم ﷺ .
﴿و﴾ استثنائية.

﴿حَاجَّهُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم من صيغة مفاعلة متصرفة من الحجة وهي الدليل المؤيد للدعوى ولا يعرف لها فعل مجرد بمعنى استدلل بحجة.
﴿قَوْمُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. لم يذكر الله تعالى حجبتهم ولكن يظهر من جواب إبراهيم ﷺ مقالتهم.

﴿قَالَ﴾ بداية جواب إبراهيم ﷺ وما بعده مقول القول.
﴿أ﴾ استفهام انكار وتأييس من رجوعه إلى معتقدتهم.
﴿تُحْجُّونِي﴾ فعل مضارع وفاعله ونون الوقاية ومفعول به وادغمت نون الفعل مع نون الوقاية.
﴿فِي اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُحْجُّونِي﴾.

﴿و﴾ حالية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿هَدَانِ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ونون الوقاية وضمير «ي»

١. سورة الأنعام / ٨٣.

٢. عيون أخبار الرضا ﷺ / ١ / ٢٥٥، ح ١، طبعة آل البيت ﷺ.

محدوفة مفعول به والكسرة تدلّ عليها. مراد إبراهيم عليه السلام: «إني واقع في أمر مفروغ عنه ومهتد بهداية ربّي حيث أتاني العلم بما أراني من ملكوت السماوات والأرض وأهمني بذلك حجة أنفي بها ربوبية غيره من الأصنام والكواكب، وأني لا أستغني عن ربّ يدبّر أُمري فأتج لي أنّه هو الربّ وحده لا شريك له، وإذ هداني إليه فأنا في غنى عن الإصغاء إلى حجتكم والبحث عن الربوبية ثانياً فإنّ البحث إنّما ينفع الطالب ولا طلب بعد الوصول إلى الغاية.

هذا ما يعطيه ظاهر الآية بالتبادر إلى الذهن لكن هناك معنى أدق من ذلك يظهر بالتدبر وهو أن قوله: ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾ استدلال بنفس الهداية لا استغناء بالهداية عن الاستدلال وتقريره: أن الله هداني بما علمني من الحجّة على نفي ربوبية غيره وإثبات ربوبيته، ونفس هدايته دليل على أنّه ربّ ولا ربّ غيره فإنّ الهداية إلى الربّ من جملة التدبير فهي شأن من هو ربّ، ولو لم يكن الله سبحانه هو ربّي لم يكن ليهديني ولا قام بها إلى الذي هو الربّ لكنّ الله هو هداني فهو ربّي»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿أَخَافُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿تُشْرِكُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور، متعلّق بـ ﴿تُشْرِكُونَ﴾. ومن هذه الجملة يظهر أنّهم

أخافوا إبراهيم عليه السلام من آهتهم وأنّ تمسّسه سوءً بسبب ترك عبادتهم ونفي القول بربوبيتهم.

﴿إِلَّا﴾ استثناء من كلّ خوفٍ، أي ﴿لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ ولا شيئاً آخر

﴿إِلَّا﴾ من:

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع منصوب، أي إذا تعلق مشية ﴿رَبِّي﴾ بشيءٍ.
﴿رَبِّي﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول به. وحاصل رده عليهم: أني أخاف من ربِّي ﴿أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ والاستدلال بالإخافة يجري في شأن ربِّي لا في حق شركائه سبحانه تعالى شأنه.

﴿وَسِعَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿رَبِّي﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿كُلَّ﴾ مفعول به. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿عَلِمًا﴾ تمييز. وجملة ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تعليل لعموم نفي الخوف من شركاء الله تعالى، لأنَّ الخوف نشأ من الجهل وإذا كان الربُّ يعلم كلَّ شيءٍ فعبدته لا يخاف إلا منه سبحانه وتعالى.

﴿أُ﴾ همزة الاستفهام للتوبيخ والإنكار.

﴿فَ﴾ تفرعية، قُدِّمت همزة الاستفهام على فاء العطف. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «تنبيه على غفلتهم، إذ عبدوا ما لا يضُرُّهم ولا ينفعهم، وتوبيخٌ لهم على شركهم بالله تعالى، وقد حاجهم ﷺ بالدلائل الواضحة الموافقة للفطرة والمرتكزة في العقول، ولعله من أجل ذلك أفرد التذكُّر دون التفكُّر للتنبيه على الغفلة»^١.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨١﴾

بيان حجة أخرى تبين المناقضة بين أفعال قوم إبراهيم وأقوالهم بحيث فعلهم يكذب مقالهم، بتقريب: أنهم يأمرون إبراهيم عليه السلام أن يخاف من آلهتهم وهي مما لا يجب أن يخاف منه لعدم الدليل على كونها تضرّ أو تنفع لا على وجه الاستقلال ولا بالتبع والعرض.

ولكنهم لا يخافون من الذي يجب أن يخاف منه لأنهم يقرّون بأنّ الصنع والإيجاد كله لله سبحانه وله الملك والحكم ومن هكذا شأنه لا بدّ أن يخاف منه ويحذر ولذا قال في ختام برهانه: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت جملة ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ على جملة ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ بهـ في الآية السابقة.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام، إنكاري.

﴿أَخَافُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿أَشْرَكْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله، والعائد محذوف أي ﴿مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ به.

﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَخَافُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به مصدر مؤول بعده من «أن» مع

اسمها وخبرها أي: «من اشرككم بالله».

﴿أَنَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿أَشْرَكْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَشْرَكْتُمْ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به ﴿أَشْرَكْتُمْ﴾. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُنزِلُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنزِلُ﴾، والباء للمعية أو السببية.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنزِلُ﴾، أيضاً.

﴿سُلْطَنًا﴾ صلة الموصول، لا محل له من الإعراب. السلطان: الحجة لأئمتها تتسلط على نفس المخاصم، أي «ما أنزل الله على ذلك دليلاً، والكلام بحسب التحليل المنطقي يؤول إلى قياس استثنائي استثنى فيها نقيض المقدم في الشرطية لإنتاج نقيض التالي نحواً من قولنا: لو كان الله نزل بها عليكم سلطاناً يدل على قدرتهم على الضر لكان اتخاذهم الشركاء خوفاً منها في محله لكنه لم ينزل سلطاناً فليس اتخاذهم الشركاء في محله»^١. وبصير معنى هذه الجملة الأخيرة معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^٢.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفرعية على الإنكار. ﴿أَيُّ﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ مضاف إليه. الفريق: الطائفة الكثيرة من الناس المتميزة عن غيرها بشيء خاص «وقد كنى ﷺ عنهم وعن نفسه بالفريقين ولم يقل: أنا وأنتم أو ما يشابه ذلك ليكون أبعد من تحريك الحمية وتهيج العصبية كما قيل، وليدل على تفرقها وشقاق بينهما من جهة الاختلاف في أصل الأصول وأم المعارف الحقيقية بحيث لا يأتلفان بعد ذلك في شيء»^٣.

﴿أَحَقُّ﴾ خبر.

﴿بِالْأَمْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَحَقُّ﴾. و «ال» للجنس. والأمن: ضد

الخوف.

١. الميزان ٧/ ١٩٩.

٢. سورة المؤمنون / ١١٧.

٣. الميزان ٧/ ١٩٩.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط واسمه.

﴿تَعَلَّمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. أي ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ تستعملون

عقولكم وعلومكم وتحكمونها على ما تهوونه وتميل إليه أنفسكم^١.

وجواب الشرط محذوف دلّ عليه الاستفهام وتقديره: فأجيبوني، «وفيه

استحثاث على الجواب»^٢.

تنبيه

«وفي الآية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد وتحريم النظر والحجاج، لأنّ

الله تعالى مدح إبراهيم لمحاботه لقومه وأمر نبيّه بالافتداء به في ذلك فقال ﴿وَتِلْكَ

حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾^٣. ثمّ قال بعد ذلك: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ

فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدِهِ﴾^٤ أي بأدلتهم اقتده»^٥.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾

الآية الشريفة حكاية كلام إبراهيم عليه السلام جواب منه عن قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾^٦ «حيث تولّى جواب استفهامه بنفسه ولم ينتظر جوابهم لكون الجواب ممّا

١. التبيان / ٤ / ١٨٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٦ / ١٨٧.

٣. سورة الأنعام / ٨٣.

٤. سورة الأنعام / ٩٠.

٥. التبيان / ٤ / ١٨٩.

٦. سورة الأنعام / ٨١.

لا يسمع المسؤول إلا أن يجيب بمثله وهو تبيكيت لهم^١.
 وبعبارة أخرى: أجاب إبراهيم عليه السلام «عما سألهم لكون الجواب واضحاً لا
 يختلف فيه الفريقان المتخاصمان والجواب الذي هذا شأنه لا بأس بأن يبادر السائل إلى
 إيراده من غير ان ينتظر المسؤول فإنَّ المسؤول لا يخالف السائل في ذلك حتى يخاف منه
 الرد، وقد حكى الله تعالى اعترافهم بذلك في قصة كسر الأصنام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ
 الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾^٢٣.
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ، خبره جملة ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾.
 ﴿ءَامِنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. صلة الموصول، اطلاق الإيمان يتقضي الإيمان بالله
 ورسله وأوصياء رسله ويوم البعث والنشور، ولا يختص بأحدها فقط.
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
 ﴿يَلْبَسُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. اللبس: الستر. وفي هذا التعبير إشارة إلى
 أنّ «الظلم لا يبطل أصل الإيمان فإنه فطري لا يقبل البطلان من رأس، وإنما يغطي
 عليه ويفسد أثره ولا يدعه يؤثر أثره الصحيح»^٤.
 ﴿يَمْنَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. إضافة إيمان إليهم تدلّ على أنّ الإيمان
 مقول بالتشكيك ولكلِّ أحدٍ من المؤمنين مرتبة خاصة منه.
 ﴿بِظُلْمٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿لَمْ يَلْبَسُوا﴾، نكرة واقعة في سياق النفي
 يستلزم العموم ونفي جميع أنواع الظلم الثلاث وهم:
 ١- «ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك، والكذب على

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/١٨٧.

٢. سورة الأنبياء / (٦٥-٦٣).

٣. الميزان ٧/١٩٩.

٤. الميزان ٧/٢٠٠.

الله تعالى.

٢- ظلم بينه وبين الناس.

٣- ظلم بينه وبين نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^١.

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإنّ الإنسان في أوّل ما يهّم بالظلم فقد ظلم نفسه، فالظالم أبداً مبتدئ بنفسه في الظلم، ولهذا قال تعالى في غير موضع: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^٢٣.

وإن كان «الظلم المذكور في الآية هو الشرك عند أكثر المفسرين: ابن عباس وسعيد ابن المسيب وقتادة ومجاهد وحماد بن زيد وأبي بن كعب وسلمان رحمة الله عليه قال أبيّ لم تسمع قوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^٤ وهو قول حذيفة^٥.
﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. «أشارت اللام إلى أنّ الأيمن مختص بهم وثابت»^٦.

﴿الْأَيْمَنُ﴾ مبتدأ مؤخر. وجملة ﴿لَهُمُ الْأَيْمَنُ﴾ خبر مبتدأ ﴿أُولَئِكَ﴾. «ال» للجنس والمراد به هو ﴿الْأَيْمَنُ﴾ الوارد في قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَيْمَنِ﴾ في الآية السابقة.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ، معطوف على قوله: ﴿لَهُمُ الْأَيْمَنُ﴾. والضمير الفصل هنا يفيد قصر المسند على المسند إليه أي الاهتداء مقصور عليهم.

١. سورة البقرة / ٢٣١.

٢. سورة آل عمران / ١١٧.

٣. مواهب الرحمن / ١٤ / ٦٢.

٤. سورة لقمان / ١٣.

٥. التبيان / ٤ / ١٩٠.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٦ / ١٨٩.

﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبره.

وحاصل المعنى: «الذين آمنوا بالله سبحانه وأقروا بربوبيته، واعترفوا بطاعته، فإنَّ الإيمان بالله هو الاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان، ولم يستروا إيمانهم بظلم من الشرك وغيره من المعاصي التي لها الأثر في إضعاف الإيمان في القلوب وستر آثاره على النفوس؛ أولئك لهم الأمن من كل ما يخاف منه المؤمن كالعذاب والشقاء والشك، أولئك هم المهتدون إلى طاعته ﷻ ومواضع الضعف في نفوسهم، ليفوزوا بكرامته، ويتخلصوا من الضلال والشرك»^١.

الروايات

صحيحة أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: «بِشَكٍّ»^٢

رواها العياشي في تفسيره.^٣

خبر عبد الرحمن بن كثير: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال: بما جاء به محمد ﷺ من الولاية، ولم يخلطوها بولاية فلانٍ وفلانٍ، فهو الملبس بالظلم.^٤

رواها العياشي في تفسيره^٥ مع زيادة.

خبر أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: ... ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ وهو الشرك، الحديث.^٦

١. مواهب الرحمن ١٤/٦٨.

٢. الكافي ٤/١٦٩، ح ٤ (٣٩٩/٢).

٣. تفسير العياشي ٢/١٠٥، ح ٤٨.

٤. الكافي ٢/٣٦٤، ح ٣ (٤١٣/١).

٥. تفسير العياشي ٢/١٠٥، ح ٤٩.

٦. الكافي ٩/٣٨١، ح ١ (١٤/٥).

عن أبي بصير، قال: قلتُ له: إِنَّه قد ألحَّ عليَّ الشيطان عند كِبَرِ سِنِّي يُقَنِّطُنِي.
قال: قل: كَذَبْتَ يا كافر يا مُشْرِك، إِنِّي أُوْمِنُ بِرَبِّي، وَأُصَلِّيْ لَه، وَأُصُوم، وَأُثْنِي
عليه، وَلَا أَلْبِسُ إِيمَانِي بِظُلْمٍ^١.

عن جابر الجعفي، عمَّن حدَّثه، قال: بينا رسول الله ﷺ في مسيرٍ له إذ رأى
سواداً من بعيد، فقال: هذا سوادٌ لا عهد له بأنيس، فلما دنا سلم، فقال له
رسول الله ﷺ: أين أراد الرجل؟ قال: أراد يثرب. قال: وما أردت بها؟ قال: أردت
محمدًا. قال: فأنا محمد. قال: والذي بعثك بالحق، ما رأيت إنساناً مذ سبعة أيام، ولا
طعمت طعاماً إلا ما تناول منه دابتي.

قال: فَعَرَضَ عليه الاسلام فأسلم، فعَضَّتْه راحلته فمات، وأمر به فغُسل وكُفِّن،
ثم صَلَّى عليه النبي ﷺ، قال: فلما وُضِعَ في اللَّحْدِ قال: هذا من ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^٢.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ له: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الزنا منه؟ قال: أعوذ بالله من أولئك، لا ولكنَّه ذنبٌ، إذا تاب تاب الله
عليه.

وقال: مُدْمِنُ الزَّنا والسَّرقة وشارب الخمر كعابد الوثن.^٣

يعقوب بن شُعيب، عنه عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، قال:
الضَّلَالِ فما فوقه.^٤

عن أبي بصير، قال: سألتُه عليه السلام عن قول الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ﴾، قال: نَعُوذُ بِاللَّهِ يا أبا بصير أن تكون ممن لبس إيمانه بظلم، ثمَّ قال: أولئك

١. تفسير العياشي ٢/١٠٤، ح ٤٤.

٢. تفسير العياشي ٢/١٠٥، ح ٤٥.

٣. تفسير العياشي ٢/١٠٥، ح ٤٦.

٤. تفسير العياشي ٢/١٠٥، ح ٤٧.

الخوارج وأصحابهم ١.

وروي عن عبدالله بن مسعود أنه قال لما نزلت هذه الآية شقَّ على الناس، وقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟! فقال: انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح ﴿يُنِيئُ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ٣.٢

وروي عن علي عليه السلام أن الآية مخصوصة بإبراهيم. ٤

أبو منصور الطبرسي رحمه الله بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه خطبة الغدير وفيها قال صلى الله عليه وآله بعد أن ذكر علياً عليه السلام وأولاده: «ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله سبحانه فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. ٥

قال أبو عبدالله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسير في بعض مسيره فقال لأصحابه: «يطلع عليكم من بعض هذه الفجاج شخص ليس له عهد بأنيس منذ ثلاثة أيام»، فما لبثوا أن أقبل أعرابي قد يبس جلده على عظمه وغارت عيناه برأسه واخضرت شفثاه من أكل البقل، فسأل عن النبي في الزقاق حتى لقيه فقال له: اعرض علي الإسلام، فقال: «قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله»، قال: أقررت، قال: «تصلي الحَمَس وتصوم شهر رمضان»، قال: أقررت قال: «تحج البيت وتؤدي الزكاة وتغتسل من الجنابة»، قال: اقررت، فتخلف بعير الأعرابي ووقف النبي صلى الله عليه وآله فسأل عنه فرجع الناس في طلبه فوجدوه في آخر العسكر قد سقط بعيره في حفرة من حفر الجردان فسقط فانقذفت عنق الأعرابي وعنق البعير وهما ميتان، فأمر النبي صلى الله عليه وآله

١. تفسير العياشي ٢/١٠٦، ح ٥٠.

٢. سورة لقمان / ١٣.

٣. التبيان / ٤ / ١٩٠.

٤. التبيان / ٤ / ١٩١.

٥. الاحتجاج / ١ / ١٥٢.

فضربت خيمة فغسل فيها ثم دخل النبي ﷺ فكفنه فسمعوا للنبي حركة، فخرج وجبينه يرشح عرقاً. وقال: «إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِي مَاتَ وَهُوَ جَائِعٌ، وَهُوَ مِمَّنْ آمَنَ وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، فَابْتَدَرَهُ الْحُورُ الْعَيْنُ بِثَانٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَخْشُونَ بِهَا شِدْقَهُ» وهذه تقول: يا رسول الله اجعلني في أزواجه. ١

قال الحاكم الحسكاني: أخبرنا عقيل بن الحسين [أخبرنا] علي بن الحسين [أخبرنا] محمد بن عبيدالله [أخبرنا] محمد بن أبي الطيب السامري [أخبرنا] بشر بن موسى [عن] الفضل بن دكين، [عن] سفیان الثوري، عن منصور، عن مجاهد:

عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدقوا بالتوحيد هو علي ابن أبي طالب ﴿وَلَمْ يَلْبَسُوا﴾ يعني لم يخلطوا، نظيرها: ﴿لَمْ تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ﴾ ٢ يعني لم تخلطوا. ولم يخلطوا إيمانهم ﴿بِظُلْمٍ﴾ يعني الشرك، قال ابن عباس: والله ما آمن أحدٌ إلا بعد شرك ما خلا علياً فإنه آمن بالله من غير أن اشرك به [كذا] طرفة عين. ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من النار والعذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يعني مرشدون إلى الجنة يوم القيامة بغير حساب، فكان عليٌّ أول من آمن به وهو من أبناء سبع سنين». ٣

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

في الآية دلالة واضحة أن الحجج التي أفحم بها إبراهيم وقومه أعطاهها الله إياه وآتاه الله إياها، بمعنى أنه تعالى هداه لها وألهمها إياه، وتدلل على أن أنبياء الله هم لسان

١. الخرائج والجرائح ١/ ٨٨، ح ١٤٥.

٢. سورة آل عمران / ٧١.

٣. شواهد التنزيل ١/ ١٩٧، ح ٢٥٥.

الله وبيانه، ومن ثمَّ الرادِّ عليهم رادِّ على الله تعالى.

﴿وَ عَطْفٌ عَلَى جَمَلَةٍ ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ﴾ ١.

﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. إشارة إلى حجة إبراهيم على قومه. وأشار بها بلفظ

البعيد إلى تعظيمها وتفخيمها.

﴿حُجَّتْنَا﴾ خبر ومضاف إليه وفي إضافة الحجة إليه تعالى تنويه بصحتها

ومكانتها.

﴿ءَاتَيْنَهَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول، حال من مبتدأ أو الخبر. الإيتاء:

الإعطاء. و «إيتاء الحجة إلهامه إياها وإلقاء ما يعبرُّ عنها في نفسه» ٢.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مفعول به ثان.

﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿حُجَّتْنَا﴾ أو ﴿ءَاتَيْنَهَا﴾.

وعلى للاستعلاء وهنا مجاز للتشبيه الغالب بالمستعلي والمغلوب بالمستعلي عليه.

﴿نَرَفَعُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». حال من الضمير الفاعلي في

﴿ءَاتَيْنَهَا﴾ أو جملة مستأنفة لبيان تفضيل هذا الإيتاء.

﴿دَرَجَاتٍ﴾ تمييز. أي: مراتب «وفي أصل اللغة هي المراقي فشبَّه علو المنازل

بها» ٣. نكرة في سياق الإيجاب مهملة غير مطلقة ولكن أن المتيقن من معنى ﴿دَرَجَاتٍ﴾

هنا «هو درجات العلم والهداية فقد رفع الله إبراهيم ﷺ بهدأيته وإراءته ملكوت

السموات والأرض وإيتائه اليقين والحجة القاطعة، والجميع من العلم، وقد قال تعالى

في درجات العلم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ٤، ٥.

١. سورة الأنعام / ٨٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١٩٠.

٣. التبيان ٤ / ١٩٢.

٤. سورة المجادلة ١١.

٥. الميزان ٧ / ٢٠٥.

﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول به ﴿تَرْفَعُ﴾.

﴿نَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». أي هذا الاعطاء والرفع لا يكون لكلِّ أحد بل لمن يشاء الله هذا في حقه وشأنه.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿إِنَّ﴾ وما بعدها جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿رَبِّكَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. التفات من التكلم إلى الغيبة لتطيب قلب

رسول الله ﷺ ولتثبيت أن الحجج التي آتاها رسول الله ﷺ من هذا القبيل وصدرت من حكمته تعالى وعلمه سبحانه اللذان لا تناهي لهما.

﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. وتبين أنه تعالى حكيم فيما يدبره من أمور عباده

وعليم بهم وبأعمالهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ﴾

هذه الآية وما بعدها تدلُّ على بعض نعم الله تعالى ومِنَّته سبحانه على إبراهيم عليه السلام «مضافاً إلى بيان التوحيد بيان أن عقيدة التوحيد محفوظة بين الناس في سلسلة متصلة ركبت حلقاتها بعضها على بعض بهداية إلهية وعناية خاصة ربانية حفظ الله بها الفطرة الإلهية من أن تضيع بالأهواء الشيطانية، وتسقط رأساً من الفعلية فيبطل بذلك غرض الخلقة ويذهب سدًى»^١.

﴿وَعَاطِفَةً﴾. ﴿وَهَبْنَا﴾ عطف على ﴿ءَاتَيْنَاهَا﴾^١. فعل ماض وفاعله.
﴿لَهُدًى﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿وَهَبْنَا﴾، والضمير يرجع إلى النبي إبراهيم عليه السلام.
﴿إِسْحَاقَ﴾ مفعول به، وهو نجل إبراهيم عليه السلام.
﴿وَعَاطِفَةً﴾، والواوات كلها عاطفة في الآية الشريفة.
﴿يَعْقُوبَ﴾ وهو ابن إسحاق وحفيد إبراهيم عليه السلام.
﴿كُلًّا﴾ مفعول به مقدم، دال على «أن الهداية الإلهية تعلقت بكل واحد من
المعدودين استقلالاً لا أنها تعلقت بعضهم استقلالاً كإبراهيم عليه السلام وبغيره بتبعه»^٢.
﴿هَدَيْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل إبراهيم عليه السلام، يعني سلسلة الهداية غير
مبتدأة بإبراهيم عليه السلام وغير منتهية به.
﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿هَدَيْنَا﴾. والضمير يرجع
إلى نوع لأنه أقرب مذكور فلا إشكال في ذكر هؤلاء لأنهم كلهم من ذرية نوح
وإبراهيم من ذرية نوح أيضاً.
ويمكن ارجاعه إلى إبراهيم بناءً على التغليب لأن «لوط» ليس من ذرية إبراهيم
بل هو ابن أخته^٣ أو ابن أخيه^٤ كما قيل. وكذا إلياس ليس من ذرية إبراهيم، وان قيل^٥:
انه ابن أخي موسى، فكان من ذرية إبراهيم.
والأول أظهر والثاني أقوى.
﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ كلهم من ذرية إبراهيم.

١. سورة الأنعام / ٨٣.

٢. الميزان ٧ / ٢٤٢.

٣. مواهب الرحمن ١٤ / ١١٢.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ١٩٥.

٥. قاله ابن إسحاق كما في التبيان ٤ / ١٩٤.

﴿و﴾ حالية.

﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ، اسم إشارة للبعيد بجهة تفخيم وتعظيم هذا الجزاء.

﴿تَجَزَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن»، والظاهر المراد بالجزاء هو

الهداية الإلهية.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول به.

والحاصل: هداهم الله إلى الهداية بسبب أنهم كانوا من ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى خلق

الله الذين يعدون عيال الله.

رواية

عن محمد بن الفضيل، عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ لنجعلها في أهل بيته ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ لنجعلها في أهل بيته، فأمن العقب من ذرية الأنبياء من كان قبل إبراهيم عليه السلام ١.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿و﴾ الواوات كلها عاطفة.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ﴾ قد مرّ في الآية السابقة ان إلياس ليس من نسل

إبراهيم.

﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ.

﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ جار ومجرور، خبر. والمراد بالصلاح العمل بما ينبغي

والتحرّز عمّا لا ينبغي وهذا وصف جميع الأنبياء. أي أنّهم أخذوا بالهداية الإلهية في مقام العمل وعملوا على ما أوحى الله تعالى عليهم من الشرائع المقدسة.

«وفي الآية دلالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ عيسى جعله الله من ذرية إبراهيم أو نوح، وإنّما كانت أمّه من ذريتها»^١.

الروايات

خبر بشير الدهان قال: لي أبو عبد الله عليه السلام: إنّ هذه المرجئة، وهذه القدرية، وهذه الخوارج، ليس منهم أحد إلا وهو يرى أنّه على الحقّ، وإنّكم إنّما أحببتمونا في الله، ثمّ تلا ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^٢ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^٣ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^٤ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^٥ ثمّ قال: والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم من قبل النساء، ثمّ قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾^٦ إلى قوله ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾^٧.

معتبرة أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله! قال: فبأيّ شيء احتججتهم عليهم؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾^٦ إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي

١. التبيان ٤/ ١٩٤.

٢. سورة النساء / ٥٩.

٣. سورة الحشر / ٧.

٤. سورة النساء / ٨٠.

٥. سورة آل عمران / ٣١.

٦. سورة الأنعام / ٨٤.

٧. المحاسن ١/ ٢٥٥، ح ٩٠.

الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

فجعل عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم عليه السلام. قال: فبأي شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون والد البنت من الولد، ولا يكون من الصلب!

قال: فبأي شيء احتججتهم عليهم؟ قال: قلت: احتججنا عليهم بقول الله

تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ٢.

قال: فأي شيء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل،

والآخر يقول: أبناءنا. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: والله يا أبا الجارود لأعطينكها من

كتاب الله أتمها من صلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يردها إلا كافر.

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟ قال: من حيث قال الله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الآية، إلى أن ينتهي إلى قوله ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

أَصْلَابِكُمْ﴾ ٣.

فسألهم يا أبا الجارود هل حلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم نكاح حليلتيهما؟

فإن قالوا: نعم، فكذبوا - والله - وفجروا؛

وإن قالوا: لا، فهما والله أبناءه فصلبه، وما حرمتا عليه إلا للصلب. ٤.

عن بشير الدهان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: والله لقد نسب الله عيسى بن مريم

في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قبل النساء، ثم تلا عليه السلام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ٥

إلى آخر الآيتين، وذكر عيسى عليه السلام. ٦.

١. سورة الأنعام / ٨٤.

٢. سورة آل عمران / ٦١.

٣. سورة النساء / ٢٣.

٤. تفسير القمي / ١ / ٣٠٧، ح ٢١.

٥. سورة الأنعام / ٨٤.

٦. تفسير العياشي / ٢ / ١٠٦، ح ٥٢.

عن أبي حَرَب بن أبي الأسود، قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن معمر، قال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي، تجده في كتاب الله؟ وقد قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره فلم أجده.

قال: أليس تقرأ سورة الأنعام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾^١ حتى بلغ ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى﴾، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم عليه السلام، وليس له أب؟ قال: صدقت.^٢
عاصم بن بهدلة قال: اجتمعوا عند الحجاج، فذكر الحسين بن علي عليه السلام فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي عليه السلام، وعنده يحيى بن يعمر، قال له: كذبت أيها الأمير، فقال: أتأتيني على ما قلت بيئته ومصدق من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك، قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فأخبر الله عز وجل أن عيسى بن مريم من ذرية آدم بأمه، والحسين بن علي عليه السلام من ذرية محمد عليه السلام. قال: صدقت، فما حملك على تكذبي في مجلسي؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^٣ قال الله عز وجل: ﴿فَتَبَدُّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ نَمًّا قَلِيلًا﴾^٤ قال: فنفاه إلى خراسان.^٥

١. سورة الأنعام / ٨٤.

٢. تفسير العياشي ١٠٦/٢، ح ٥٣.

٣. سورة آل عمران / ١٨٧.

٤. سورة آل عمران / ١٨٧.

٥. تاريخ دمشق ١٥٢/١٢؛ مختصر تاريخ دمشق ٢١٢/٦؛ السنن الكبرى للبيهقي ١٦٦/٦ كتاب الوقف؛ المستدرک ١٦٤/٣؛ الدرّ المنثور ٣١١/٣؛ فرائد السمطين ٧٢/٢، ح ٣٩٧ و ٢٠٣/٢، ح ٤٨٢ و ٤٨٣؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٨٩/١، فصل ٦، فضائل الحسين؛ جواهر العقدين ٥/٢، ح ١٦٤، الذكر السادس؛ المناقب للحافظ الكوفي ٢٢٤/٢، ح ٦٨٨؛ شرح الأخبار ٩٢/٣، ح ١٠٢١؛ ينابيع المودة ١١٧/٣؛ تاريخ الإسلام للذهبي ٣١٩/٦، تاريخ وفيات (١٠٠-٨١)؛ ابن أبي حاتم ١٣٣٥/٤، ح ٧٥٥٤؛ البرهان ٧١٦/٢، ح ١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٨١/١، ح ٩؛ بحار الأنوار ١٤٣/٢٥، ح ٩٦-٢٦؛ جامع الأحاديث والآثار ١١٧/١، ح ١٨٦.

﴿وَأِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿وَأِسْمَعِيلَ﴾ ابن الأكبر لإبراهيم الخليل من هاجر.

﴿وَالْيَسَعَ﴾ «اسمه بالعبرانية إيشع - بهمزة قطع مكسورة ولام بعدها تحتية ثم شين معجمة وعين - وتعريبه في العربية اليسع - بهمزة وصل ولام ساكنة في أوله بعدها تحتية مفتوحة - في قراءة الجمهور.

وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف «الْيَسَعَ» - بهمزة وصل وفتح اللام مشددة بعدها تحتية ساكنة - بوزن ضَيْعَم، فهما لغتان فيه... والألف واللام في اليسع من أصل الكلمة، ولكن الهمزة عوملت معاملة همزة الوصل للتخفيف فأشبه الاسم الذي تدخل عليه اللام التي للمح الأصل مثل العباس، وما هي منها»^١.

﴿وَيُونُسَ﴾ بن متى وهو صاحب الحوت.

﴿وَلُوطًا﴾ بن هاران بن تارح [تارخ] فهو ابن أخي إبراهيم، وقيل: ابن اخته كما مر وليس من نسل إبراهيم عليه السلام.

﴿وَكُلًّا﴾ مفعول به مقدم. ﴿فَضَّلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَضَّلْنَا﴾، أي عالمي زمانهم لأنهم أخذوا الهداية الإلهية بلا واسطة أحد.

﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٨٧﴾

«بيان لاتصال الهداية، وأنها مستمرة في سلسلة من الأفراد بينهم رابطة البنوة أو

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ١٩٥.

الأبوة أو الأخوة»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِنْ ءَابَائِهِمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾^٢ و ﴿مِنْ﴾ تبعيضية

والضمير يرجع إلى الأنبياء الماضين ذكرهم.

﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ ذريات: جمع ذرية يشمل أولاد البنين والبنات.

﴿وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. الاجتباء: الاصطفاء والاختيار.

﴿وَهَدَيْنَاهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به، معطوف على ﴿وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ﴾.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: الكل مجتمعون «بهداية واحدة توردهم صراطاً

واحداً مستقيماً لا اختلاف فيه أصلاً فلا يختلف بحسب الأحوال، ولا بحسب

الأزمان، ولا بحسب الأجزاء، ولا بحسب الأشخاص السائرين فيه، ولا بحسب

المقصد.

وذلك أن صراطهم الذي هداهم الله إليه وإن كان يختلف بحسب ظاهر

الشرائع سعة وضيقةً إلا أن ذلك إنما هو بحسب الإجمال والتفصيل وقلة استعداد

الأمم وكثرته، والجميع متفق في حقيقة واحدة وهو التوحيد الفطري والعبودية^٣.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

استئناف بياني على أن هداية أنبياء الله ﷺ هي الهداية الخاصة التي ﴿يَهْدِي﴾ بها

١. مواهب الرحمن ١٤/ ١٢١.

٢. سورة الأنعام / ٨٤.

٣. الميزان ٧/ ٢٤٧.

﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة للبعيد، مبتدأ. أشار إلى هذه الهداية بالبعيد لبيان علو مرتبتها وتفضيلها.

﴿هُدًى﴾ مصدر مأخوذ من أفعال الهداية الثلاثة في الآيات السابقة، خبر.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. «الهدى إنما يكون هدى - حق الهدى - إذا كان من الله سبحانه، والهدى إنما يكون هدى الله إذا أورد المتلبس به صراطاً مستقيماً اتفق على الورود فيه أصحاب الهدى وهم الأنبياء المكرمون ﷺ، واتفق أجزاء ذلك الصراط في الدعوة إلى كلمة التوحيد وإقامة دعوة الحق والالتسام بسمة العبودية والتقوى»^١.

﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، والجملة وما بعدها حال من ﴿هُدًى اللَّهِ﴾.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَهْدِي﴾، والضمير يرجع إلى ﴿هُدًى اللَّهِ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». والمشية الإلهية لا تكون جزافاً بل لا تجرى إلا بالعلم والعدل والحكمة وهنا حيث كانوا ثمانية عشر من الأنبياء المذكورين في الآيات السابقة من ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾^٢ و ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٣ ﴿فَضَّلْنَا﴾^٤ هم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٥ ورزقهم الله الهداية الخاصة.

﴿مَنْ عِبَادِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بحال محذوف من ﴿مَنْ﴾. إبهام يبعث النفوس على تطلب ﴿هُدًى اللَّهِ﴾ والتعرض لنفحاته.

١. الميزان ٧/ ٢٤٩.

٢. سورة الأنعام / ٨٤.

٣. سورة الأنعام / ٨٥.

٤. سورة الأنعام / ٨٦.

٥. سورة الأنعام / ٨٦.

﴿و﴾ حالة. ﴿لَوْ﴾ أداة شرط غير جازمة.

﴿أَشْرَكُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الأنبياء المذكورين حتى يعلم الباقي حكمهم.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿حَبِطَ﴾ فعل ماضٍ. معناه: تلف أي بطل ثوابه. وترتب الحبط على الشرك ترتب المعلول على علته التامة.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَبِطَ﴾، والضمير يرجع إلى الذين ﴿أَشْرَكُوا﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، فاعل ﴿حَبِطَ﴾. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾.

والجملة الأخيرة «بيان لعظيم الأثر الذي يترتب على الشرك بالله سبحانه، وهو حبط الأعمال الذي يرجو كل عامل أن ينال الجزاء عليه، وأن الشرك يوجب سلب الكرامة عن الفرد عند الله تعالى، فيكون ترتب الحبط على الشرك ترتب المسبب على السبب التام، وإنما اقتصر سبحانه على الشرك دون غيره، مع أنه لا كرامة لأحد عليه تعالى، ولا أمن له إلا بالعبودية المحضة الجامعة للعقيدة والعمل، لأجل أن العبودية كذلك تتضمن التوحيد ونفي الشرك، وأن العمل مع الشرك لا قيمة له ولا وزن لمثله، وهذا هو معنى الحبط.

وإنما خص الأنبياء بالخطاب للاهتمام بهذا الموضوع، فإن الأصفياء إذا أشركوا فإنه يوجب الحبط، وهم في أعلى درجات الكرامة والمنزلة فكيف بغيرهم، وبيان أن الشرك يوجب سلب الاهتداء عن أعمال المهتدين الذين بهم يهتدي عباد الله تعالى، وفيه غاية الترهيب والتوبيخ لئلا يأمنوا مكر الله ﷻ»^١.

«بل هذه العطية الإلهية إنما تقوم على شريطة التوحيد والعبودية فلا كرامة لأحد

عليه تعالى ولا أمن له منه إلا بالعبودية محضاً، ولذلك ذيل الكلام بقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وإنما ذكر الإشراك لأن محط البيان إنما هو التوحيد^١.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُّؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾

بيان علو منزلة الأنبياء ورفيع مقامهم وأتهم متصفون بالهداية الإلهية ومصطفون لمقام النبوة والرسالة ومجتبون لهداية الناس ومنتخبون لأداء الرسالة الإلهية وبيان الدين الحق المودي لصلاح الدنيا والآخرة.

﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، اسم إشارة للبعيد يدل على رفعة مقامات الأنبياء وعلو

شؤونهم.

﴿الَّذِينَ﴾ خبر.

﴿آتَيْنَاهُمُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. والضمير المفعولي يرجع إلى

بعض الأنبياء لا جميعهم.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ثان. والمراد به الكتب السماوي النازلة على الأنبياء

المشتملة على المعارف والشرائع والأخلاقيات وغيرها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْحِكْمَ﴾ معطوف على ﴿الْكِتَابَ﴾. والمراد به القضاء بين الناس بها من معنى

العام الذي يشمل الإفتاء والأمور الحسبية والقضاء في المرافعات.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النُّبُوَّةُ﴾ والمراد بها الوصول بأنباء الغيب بعناية ربانية وهي إنباء المتعلقة بما وراء الحس والمحسوس كوحداية الله أو اليوم الآخر.

«والظاهر أنّ هذه الكرامات الثلاث التي خصّ الله تعالى بها أنبياءه ورسله ﷺ، من آثار اصطفايتهم واجتبايتهم لنيل الفضيلة الكبرى، وهي الهداية الإلهية التي لها آثار كبيرة ظاهرة في الدنيا والآخرة، منها حصول اليقين بالله تعالى وآياته، ومنها معرفة الغيب من التشريعات والمعارف الإلهية، ومجموع الدين الحق. ومنها التسديد لهم، ونصيبهم خلفاء في الأرض ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومنها تفضيلهم على العالمين، ومنها هداية الناس إلى الصراط المستقيم بعد ما أصبحوا هم الصراط الأفوم، ومنها علمهم بما بعثوا به من الكتاب والحكم، ومنها مقام الشفاعة والشهادة في الآخرة، ومنها كونهم ميزان الأعمال يوم القيامة.

فكانت هذه الآيات من جلالها التي تبيّن مقام الأنبياء والأصفياء ﷺ ووظائفهم، والثمرات الطيبة المترتبة على وجودهم المبارك في الدنيا والآخرة»^١.
﴿فَ﴾ عاطفة أو استئنافية، وعلى الأول معطوف على ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ
الْكِتَابَ﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَكْفُرُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط، والكفر هنا يشمل إضاعة الحدود.

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَكْفُرُ﴾ والضمير عائد إلى المذكورات: ﴿الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

﴿هَتُّوْلَاءٍ﴾ فاعل ﴿يَكْفُرُ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿وَكَلَّنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. جواب الشرط، أي «وفَّقنا للإيمان بها ومراعاتها والقيام بحَقِّها. فالتوكيل هنا استعارة، لأنَّ حقيقة التوكيل إسناد صاحب الشيء تديره شيء إلى من يتولَّى تديره ويكفيه كلفة حفظه ورعاية ما به بقاؤه وصلاحه ونهاؤه. يقال: وكَّلته على الشيء ووكَّلته بالشيء فيتعدَّى بعلى وبالباء. وقد استعير في هذه الآية للتوفيق إلى الإيمان بالنبوة والكتاب والحكم والنظر في ما تدعو إليه ورعايته تشبيهاً لتلك الرعاية برعاية الوكيل، وتشبيهاً للتوفيق إليها بإسناد النظر إلى الوكيل، لأنَّ الوكالة تقتضي وجود الشيء الموكل بيد الوكيل مع حفظه ورعايته، فكانت استعارة ﴿وَكَلَّنَا﴾ لهذا المعنى إيجازاً بديعاً يقابل ما يتضمَّنه معنى الكفر بها من إنكارها الذي فيه إضاعة حدودها»^١.

﴿بِهَا﴾ جارٍ ومجرور متعلِّق بـ ﴿وَكَلَّنَا﴾.

﴿قَوْمًا﴾ مفعول به، أي جماعة آخرين من دون تعيين يشمل كلَّ من دخل بوصفي العلم والتقوى.

﴿لَيَسُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿بِهَا﴾ جارٍ ومجرور متعلِّق بـ ﴿كَفِّرِينَ﴾.

﴿بِ﴾ حرف جر زائد لتأكيد النفي.

﴿كَفِّرِينَ﴾ مجرور بحرف جر، في محلِّ نصب خبر ﴿لَيَسُوا﴾.

تطبيق

قال القمي: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأُولَئِكَ﴾ يعني أصحابه، وقريشاً، ومن أنكر بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَقَدْ وَكَلَّنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَفِّرِينَ﴾ يعني شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.^٢

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٠٤.

٢. تفسير القمي ١/ ٣٠٩.

الروايات

عن محمد بن حمران، قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه رجلٌ، وقال له: يا أبا عبد الله، ما يُتَعَجَّبُ من عيسى بن زيد بن علي^١، يزعم أنه ما يتولى علياً عليه السلام إلا على الظاهر، وما يدري لعله كان يعبد سبعين إلهاً من دون الله!

قال: فقال: وما أصنع؟ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُّوْلًا فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكْفِرِيْنَ﴾^٢ وأوماً بيده إلينا. فقلت: نعقلها والله.^٣

عن ابن سنان، عن سليمان بن هارون، قال: والله لو أن أهل السماء والأرض اجتمعوا على أن يُحوّلوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، ولو أن الناس كفروا جميعاً حتى لا يبقى أحدٌ، لجاء [الله] لهذا الأمر بأهل يكونون هم أهله، ثم قال: أما تسمع الله يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾^٣ الآية، وقال في آية أُخرى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُّوْلًا فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكْفِرِيْنَ﴾^٤؟ ثم قال: أما إن أهل هذه الآية هم أهل تلك الآية.^٥

عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ﴾^٥ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿بِهَا بِكْفِرِيْنَ﴾ فإنه من وُكِّلَ بالفضل من أهل بيته والاخوان

١. هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، نائر، من كبار الطالبين، كنيته أبو يحيى، ويلقب بمؤتم الأشبال. قتل لبوة فقيل له: أيتمت أشبالها، فقال: نعم، أنا مؤتم الأشبال، فكان لقباً له. ولد ونشأ بالمدينة، وصحب محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وأخاه إبراهيم، ولما خرج محمد في أيام المنصور نائراً بالمدينة ثار معه عيسى، واختفى بعد قتل النفس الزكية إلى أن توفي في أيام المهدي العباسي سنة ١٦٨ هـ. الأعلام للزركلي ١٠٢/٥.

٢. تفسير العياشي ١/١٠٧، ح ٥٤.

٣. سورة المائدة/ ٥٤.

٤. تفسير العياشي ١/١٠٨، ح ٥٦.

٥. سورة الأنعام/ ٨٤.

والذرية، وهو قول الله: إن يكفُرَ به أُمَّتُكَ، يقول: فقد وكَّلت أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به فلا يكفُرون به أبداً، ولا أضيِّع الإيمان الذي أرسلتك به من أهل بيتك بعدك، علماء أُمَّتِكَ، وولاة أمري بعدك، وأهل استنباطِ عِلْمِ الدِّينِ، ليس فيه كَذِبٌ، ولا إثمٌ، ولا وِزْرٌ، ولا بَطْرٌ، ولا رِياءٌ.^١

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ

إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾

تنويه أخرى بعظم شأن الأنبياء وأنَّ ﴿هُدَى اللَّهِ﴾^٢ يختص بهم وأمر نبيه المصطفى باتباع هذه الهدى التي ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ بهم.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، وبعدها يدلُّ على التعظيم والتفخيم.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، خبر. ﴿هُدَى﴾ فعل ماضٍ.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله، يعني ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ بالهداية الخاصة وهي الإيصال إلى المطلوب، تختص بـ ﴿الَّذِينَ﴾ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ^٣ لأنَّ تعريف المسند والمسند إليه يفيد القصر فالذين ﴿هُدَى﴾ بهم ﴿اللَّهُ﴾ هم الأنبياء فقط ولا غير.

﴿فَ﴾ تفريعية.

﴿بِهِدْنُهُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلِّق بـ ﴿أَقْتَدَهُ﴾، قدَّم على متعلِّقه للاهتمام به. ونسبة الهدى إلى الأنبياء نسبة تشريفية وإلا في الواقع هو ﴿هُدَى اللَّهِ﴾.

ولا يقول «بهم» لأنَّ شريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع الماضية وكتابه

١. تفسير العياشي ١/١٠٨، ح ٥٧.

٢. سورة الأنعام / ٨٨.

٣. سورة الأنعام / ٨٩.

مهيمن على كتبهم، ولا يدلّ على أنّ الرسول الأعظم ﷺ كان متعبداً بشرية مَنْ قبله من الأنبياء إلاّ ما قام الدليل على نسخه، لأنّ الله تعالى لا يقول «بهم» بل يقول ﷻ ﴿فَبِهْدَانُهُمْ﴾، والهدى ﴿هُدَى اللَّهِ﴾.

﴿اَقْتَدِهْ﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة - الياء - من آخره وبقيت الكسرة دالة عليها وفاعله ضمير مستتر «أنت» والهاء للوقف - السكت وهي «التي» تُجلب عند الوقف على الفعل المعتلّ اللام إذا حذفت لانه للجازم وهي تثبت في الوقف وتحذف في الوصل، وقد ثبتت في المصحف لأنهم كانوا يكتبون أواخر الكلم على مراعاة حال الوقف. وقد أثبتها جمهور القراء في الوصل، وذلك من إجراء الوصل مجرى الوقف وهو وارد في الكلام الفصيح. والأحسن للقارئ أن يقف عليها جرياً على الأوضح، فجمهور القراء أثبتوها ساكنة ما عدا رواية هشام عن ابن عامر فقد حرّكها بالكسر، ووجه أبو عليّ الفارسي هذه القراءة بأنّها تجعل الهاء ضمير مصدر «اقتد»، أي اقتد الاقتداء، وليست هاء السكت، فهي كالهاء في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^١ أي لا أعذب ذلك العذاب أحداً. وقرأ حمزة، والكسائي، وحلّف، بحذف الهاء في حالة الوصل على القياس الغالب»^٢.

الاقتداء: الإلتباع.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» والخطاب للرسول الأعظم ﷺ

للتنبية على أهمية ما يقال، وما بعده مقول القول.

﴿لَّا﴾ نافية.

﴿أَسْأَلُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به أوّل.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾ والضمير يرجع إلى القرآن لأنّه أعظم

١. سورة المائدة / ١١٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٠٨.

وأفضل مصداق لـ ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾^١. أو إلى ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾ أو تبليغها.
 ﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان، لأنَّ الله جعل النبوة أمراً مجانياً من دون الأجرة لعدم تناسبها مع الأجرة لقداستها ونزاهتها وليكون أنجح لدعوة الأنبياء وأبعد من مظان الإتهام ولتطيب نفوس المؤمنين وأطمئنوا بأنَّ الأنبياء لا يريدون الدنيا وما فيها.
 ﴿إِنَّ﴾ نافية.
 ﴿هُوَ﴾ مبتداء، يرجع إلى ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾ أو القرآن لأنَّه أظهر مصاديقه.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿ذِكْرِي﴾ خبر، مصدر التذكير.
 ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ذِكْرِي﴾. يدلُّ على عموم نبوته ﷺ.
 لجميع العالمين.

رواية

عن العباس بن هلال، عن الرضا عليه السلام: أن رجلاً أتى عبد الله بن الحسن^٢ وهو بالسَّبَّالَة^٣، فسأله عن الحجِّ، فقال له: هذاك جعفر بن محمَّد، قد نصب نفسه لهذا فاسأله، فأقبل الرجل إلى جعفر عليه السلام فسأله، فقال له: قد رأيتك واقفاً على عبد الله بن الحسن، فما قال لك.
 قال: سألته فأمرني أن آتيك، وقال: هذاك جعفر بن محمَّد، قد نصَّب نفسه لهذا.
 فقال جعفر عليه السلام: نعم، أنا من الذين قال الله تعالى في كتابه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدَنُهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ سلَّ عما شئت، فسأله الرجل، فأنبأه عن جميع ما سأله^٤.

١. سورة الأنعام / ٨٨.

٢. هو عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام، أبو محمَّد، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبدالعزيز، حبسه المنصور عدَّة سنوات من أجل ابنيه محمَّد (النفوس الزكية) وإبراهيم ونقله إلى الكوفة، فمات سجيناً فيها. الأعلام للزركلي ٤/ ٧٨.

٣. كذا في المصدر، وفي المرصد: سبال: موضع بين البصرة والمدينة. «مراصد الإطلاع ٢/ ٦٨٨».

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٠٧، ح ٥٥.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ

ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾

ابطال مزاعم الجاحدين والمكابرين لنزول القرآن الكريم.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآءٍ...﴾^١.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿قَدَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿حَقَّ﴾ مفعول مطلق، أو صفة لمفعول مطلق محذوف أي: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾

قدرًا ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

﴿قَدْرِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. وحاصل

معنى الجملة: «ما عظموه بما يليق بساحته من العظمة أو ما وصفوه حق وصفه أو ما

عرفوه حق معرفته. فالآية بحسب نفسها تحتمل كلاً من المعاني الثلاثة أو جميعها

بطريق الإلتزام لكن الأنسب بالنظر إلى الآيات السابقة الواصفة لهديته تعالى أنبياءه

المستعقبة لإيتائهم الكتاب والحكم والنبوة، وعنايته الكاملة بحفظ كلمة الحق ونعمة

الهداية بين الناس زماناً بعد زمان وجيلاً بعد جيل أن تحمل على المعنى الأول فإن في

إنكار إنزال الوحي خطأً لقدره تعالى وإخراجاً له من منزلة الربوبية المعتنية بشؤون

عباده وهدايتهم إلى هدفهم من السعادة والفلاح»^٢.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» متعلق بـ ﴿قَدَرُوا﴾.

١. سورة الأنعام / ٨٩.

٢. الميزان ٧ / ٢٦٨.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله، في محلّ جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف. وما بعدها مقول القول.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَىٰ بَشَرٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿مَنْ﴾ حرف جر زائد، و ﴿مَنْ﴾ في حيز النفي يدلّ على استغراق الجنس.

﴿شَيْءٍ﴾ في محلّ نصب لأنّه مفعول به لـ ﴿أَنْزَلَ﴾. والمراد بـ ﴿شَيْءٍ﴾ هنا الوحي، والمراد نفي إنكار نزول الوحي على جنس البشر لأنّ النكرة ﴿بَشَرٍ﴾ في سياق النفي يدلّ على العموم مضافاً إلى استفادة استغراق الجنس أيضاً مِنْ لفظ ﴿مَنْ﴾ فيدلّ على نفي انزال الوحي على البشر على نحو العموم، مع «أنّ من لوازم الألوهية وخصائص الربوبية أن ينزل الوحي والكتاب لغرض هداية الناس إلى مستقيم الصراط والفوز بسعادة الدنيا والآخرة فهي الدعوى»^١.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» وما بعده مقول القول وجواب

الجاحدين للوحي والنبوة.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ. ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به. والمراد به الكتاب السماوي المشتمل على الوحي الإلهي

على النبي موسى ﷺ وهو التوراة.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿الْكِتَابِ﴾. ﴿جَاءَ﴾ فعل ماض.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿جَاءَ﴾. ﴿مُوسَى﴾ فاعل.

﴿نُورًا﴾ حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ أي منيراً، «النور: استعارة للوضوح والحقّ فإنّ

الحقّ يشبه النور كما يشبه الباطل بالظلمة»^٢.

١. الميزان ٧/ ٢٦٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢١٢.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿هُدَى﴾ معطوف على ﴿نُورًا﴾.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿نُورًا﴾ والمراد بالناس هنا: بني إسرائيل لا جميع الناس. و «ال» التعريف فيه للاستغراق العرفي أي الناس الذين من قوم بني إسرائيل.

وهذه الجملة الأخيرة احتجاج على منكري الوحي بنزول الوحي على النبي موسى ﷺ وجواب نقضي عليهم والظاهر أنهم يعترفون بموسى ﷺ وكتابه، إمّا إثم من اليهود أو من المعترفين به، والاعتراف بموسى ﷺ وشريعة اليهود سهل لأنهم لا يدعون إلى نبيهم وإلى كتابه إلا قوم بني إسرائيل.

﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به أول والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود والمفعولي إلى ﴿الْكِتَابِ﴾، في محل نصب حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ أو صفة له. ﴿قَرَأَاطِيسَ﴾ مفعول به ثان. جمع قرطاس، و ﴿الْكِتَابِ﴾ يكتب على قرطاس للحفاظ وعدم الضياع، وحيث جاء على القرطاس فيمكن تقطيعه بها يأتي.

﴿تُبَدُّونَهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود والمفعولي إلى ﴿قَرَأَاطِيسَ﴾. في محل نصب صفة لـ ﴿قَرَأَاطِيسَ﴾. أي تبدون بعضها. ﴿و﴾ عاطفة. ﴿تُخْفُونَ﴾ معطوف على ﴿تُبَدُّونَهَا﴾.

﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به. أي ﴿تُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ منها. ففهم أنهم يجعلونه ﴿قَرَأَاطِيسَ﴾ وكتباً متفرقة وصحفاً متعددة حتى تبدوا بعضها وتخفوا ﴿كَثِيرًا﴾ منها. ﴿و﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ...﴾.

﴿عُلِّمْتُمْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله، والفاعل محذوف لتعظيمه وظهوره وما يأتي أنفا.

﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَعَامُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿أَنْتُمْ﴾ ضمير منفصل تأكيد لفظي للضمير الفاعلي في ﴿تَعَلَّمُوا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد للنفي.

﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ معطوف على ﴿أَنْتُمْ﴾.

وهذه الجملة الأخيرة ﴿عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا﴾ احتجاج بوجود المعارف والأحكام الإلهية بينهم.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». جواب استفهام ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿اللَّهُ﴾ تعالى هو مُنْزِلُ الْكِتَابِ وَمُعَلِّمٌ ﴿مَا لَمْ تَعَلَّمُوا﴾.

﴿تُمْ﴾ للترتيب الرتبي.

﴿ذَرَّهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. أي أتركهم، لأن

الاحتجاج لا تنفع لهم.

﴿فِي حَوَظِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ذَرَّهُمْ﴾، خاض في الأمر

وخاض في الحديث إذا دخل فيه ولا تستعمل إلا في الباطل.

﴿يَلْعَبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

الروايات

صحيحة الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله لا

يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟! فلا يوصف

بقدرٍ إلا كان أعظم من ذلك. ١

وورد نحوها في اول صحيحة زرارة. ٢

عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ


١. الكافي ١/٢٥٣، ح ١١ (١/١٠٣).

٢. الكافي ٣/٤٦٦، ح ١٦ (٢/١٨٢).

٣٩٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السابع

أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا ۖ قَالَ: كَانُوا يَكْتُمُونَ مَا شَاءُوا وَيُيَدُّونَ مَا شَاءُوا.^١

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام، قال: كانوا يكتبونه في القراطيس، ثم يبدون ما شاءوا، ويخفون ما شاءوا، وقال: كل كتاب أنزل، فهو عند أهل العلم.^٢

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ 

آية في شأن القرآن الكريم وأنه مُنزلاً من عند الله و ﴿مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السماوية الحقّة النازلة من عند الله تعالى.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى...﴾^٣.

﴿هَذَا﴾ مبتدأ. إشارة إلى القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿كِتَابٌ﴾ خبر، أي أنّ هناك كتاباً حقاً كالتوراة التي جاء بها موسى عليه السلام وهو هذا القرآن الكريم.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. في محلّ رفع صفة أولى لـ ﴿كِتَابٌ﴾ أو في محلّ نصب حال منه.

﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة ثانية لـ ﴿كِتَابٌ﴾، أو خبر ثان. المبارك: اسم مفعول من باركه، والبركة: كثرة الخير ونماؤه، أي القرآن كثير النفع والفائدة لمن قرأه وعلم أحكامه وأسراره وعمل به.

١. تفسير العياشي ٢/١٠٩، ح ٥٨.

٢. تفسير العياشي ٢/١٠٩، ح ٥٩.

٣. سورة الأنعام / ٩١.

وقد قيل في تعريف البركة: هي «كون الشيء مشتملاً على الخير المطلوب»^١.
 ﴿مُصَدِّقٌ﴾ صفة ثالثة لـ ﴿كِتَابٌ﴾، أو خبر ثالث.
 ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل جرّ بالاضافة. ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان.
 ﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي: ما سبقه من الكتب السماوية الحقّة
 النازلة من عند الله على أنبيائه الكرام ﷺ.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِ﴾ حرف جرّ للتعليل.
 ﴿تُنذِرُ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله ضمير
 مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الأعظم ﷺ.
 ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي: أهل ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ والمراد بها مكة
 المكرمة لأنّ فيها ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾^٢ ولأنّ الناس يقصدونها بالحج والعمرة
 من جميع الآفاق، والمراد بها بدأ دعوة الإسلام منها، لا أنّ دعوته مختصة بها أو
 أنّه ﷺ مبعوث إلى العرب خاصة، لأنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
 لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٣ وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
 رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٤.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، معطوف على ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾.
 ﴿حَوْهًا﴾ ظرف مكان لفعل محذوف نحو: «وُجد»، ومضاف إليه، والضمير
 يرجع إلى ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾.
 ﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.
 ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

١. الميزان ٧/ ٢٨١.

٢. سورة آل عمران / ٩٦.

٣. سورة سبأ / ٢٨.

٤. سورة الأنبياء / ١٠٧.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مرّت إعرابه.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ خبر مبتدأ
 ﴿الَّذِينَ﴾، «كأنه تفرّيع لما عدّه الله سبحانه من أوصاف هذا الكتاب الذي أنزله أي لما
 كان هذا الكتاب الذي أنزلناه مباركاً ومصداقاً لما بين يديه نازلاً لغاية إنذار أهل
 الأرض فالمؤمنون بالآخرة يؤمنون به لأنّه يدعو إلى أمن أخروي دائم ويجذرهم من
 عذاب خالد»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها أهم صفات المؤمنين.
 ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، يرجع إلى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.
 ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿مُحَافِظُونَ﴾.
 ﴿مُحَافِظُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر، «بمعنى يراعون أوقاتها ليؤدّوها في
 الأوقات ويقوموا بإتمام ركوعها وسجودها وجميع فرائضها»^٢.
 «وخصّ الصلاة بالذكر لأئها عماد الدين وعلم الإيمان وهي التي تدعو إلى
 الطاعة، بل هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر»^٣.

الروايات

صحيح علي بن حسان وعلي بن أسباط وغيره رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال:
 قلت: إن الناس يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكتب ولا يقرأ فقال كذبوا لعنهم الله
 أنّي يكون ذلك وقد قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
 آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^٤ فكيف

١. الميزان ٧/ ٢٨٠.

٢. التبيان ٤/ ٢٠١.

٣. مواهب الرحمن ١٤/ ١٥٩.

٤. سورة الجمعة / ٢.

يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن ان يقرأ ويكتبه؟! قال: قلت فلم سمي النبي الأمي؟ قال: لأنه نسب إلى مكة وذلك قول الله ﷻ ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأما القرى مكة فقبيل: أمي لذلك. ١.

الرواية مرفوعة.

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تُفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به. ٢.

وقال عليه السلام: وتعلموا القرآن [فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه] فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص. ٣.

وقال عليه السلام: واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى.

واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقته، ولا لأحد قبل القرآن من غنى؛ فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه يُنادي مُناد يوم القيامة: ألا إن كل حارث مُبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن؛ فكونوا من حرثه وأتباعه، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم،

١. علل الشرائع / ١٢٥، ح ٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

واستغشوا فيه أهواءكم. ١

وقال عليه السلام: وإن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينايع العلم، وما للقلب جلاءً غيره، مع أنه قد ذهب المتذكرون، وبقي الناسون أو المتناسون. ٢

الروايات الواردة حول عظمة القرآن وشأنه كثيرة وقد ذكرت ٦٥ منها في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٣ فراجعها إن شئت.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٣﴾

الغرض من هذه الآية «الدعوة إلى النزول على حكم العقل السليم والأخذ بالصفة وخفض الجناح لصريح الحق فكأنه يقول: قل لهم: يجب عليّ وعليكم أن لا نستكبر عن الحق ولا نستعلي على الله تعالى بارتكاب ما هو من أشد الظلم وأشنعه وهو الظلم في جنب الله فكيف يصح لكم أن تفتروا على الله كذباً وتدعوا له شركاء تتخذونها شفعاء؟ وكيف يسوغ لي أن أدعي النبوة وأقول: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، فيسخر بحكم الله ويستهزء بآياته؟

ونتيجة هذه الدعوة أن ينقادوا لحكم النبوة فإنهم إذا اجتنبوا الافتراء على الله

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٩/ ٩٦.

بالشرك، وكف القائل ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ عن مقاله، والنبي ﷺ يصير على الوحي بقيت نبوته بلا معارض^١.

﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة على قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾^٢.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿أَظْلَمُ﴾ أفعل التفضيل، خبر، استفهام إنكاري في معنى النفي أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾.

﴿مِمَّنْ﴾ مكونة مِنْ «مِنْ» و «مَنْ» جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَظْلَمُ﴾، «مَنْ» مبني على السكون وحرّك بالكسر لالتقاء الساكنين.

﴿أَفْتَرَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَفْتَرَى﴾.

﴿كَذِبًا﴾ مفعول مطلق نحو جلستُ قعوداً فهذا أول المظالم المعدودة وهو الأعم بالنسبة إلى ما يليه من دعوى الوحي الإلهي كذباً.

﴿أَوْ﴾ عاطفة، عطفت الجملة الفعلية ما بعدها إلى ما قبلها.

﴿قَالَ﴾ عطف على ﴿أَفْتَرَى﴾، وما بعده مقول القول.

﴿أَوْحَى﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَى﴾ جار ومجرور، نائب فاعل.

﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُوحَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف

حرف العلة من آخره.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَمْ يُوحَ﴾.

١. الميزان ٧/ ٢٨٢.

٢. سورة الأنعام / ٩١.

﴿شَىءٌ﴾ نائب فاعله. وهذا هو ثاني المظالم المعدودة والمراد به ادعاء النبوة كذباً والمدعي للنبوة كذباً في كل عصرٍ ولعلَّ في كلِّ مصرٍ موجودٌ.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ قَالَ﴾ معطوف على ﴿مِمَّنْ أَفْتَرَى﴾، وما بعده مقول القول.

﴿سَ﴾ حرف تسويق للمستقبل القريب.

﴿أَنْزِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿مِثْلُ﴾ مفعول به. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وهذا الأخير ثالث المظالم المعدودة، وهو نوع استكبار عن آياته واستعلاء عليه تعالى واستهزاء بـ ﴿مَا أَنْزَلَ﴾ه، وادعاء كذب على أنه سينزل مثل القرآن الكريم أو يأتي بمثله.

والفرق بين الأولين والثالث: في الأول والثاني الظالم يقبل الله في ظاهر كلامه ولكنه يدعي على الله ما ليس بحقٍ ولكن في الثالث يردف نفسه مع الله تعالى استكباراً واستعلاءً وادعاءً.

﴿وَ﴾ عطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول

الأعظم ﷺ أو لكلِّ قارئٍ.

﴿إِذِ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿تَرَى﴾ بمعنى «حين».

﴿الظَّالِمُونَ﴾ مبتدأ، والمراد بهم هؤلاء الثلاثة أو الأعم منها كما هو الظاهر.

﴿فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه متعلقٌ بخبر المبتدأ.

«الغمرات جمع غمرة، وغمرة كلُّ شيءٍ كثرتة ومعظمه، وأصله الشيء الذي

يغمر الأشياء فيغطيها. وقال ابن عباس غمرات الموت سكراته^١. الغمرات: الشدائد.

﴿وَ عَاطِفَةٌ أَوْ حَالِيَةٌ﴾ «الْمَلَيْكَةُ» مبتدأ.

﴿بَاسِطُوا﴾ خبر، «البسط: الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم وملك الموت يتوفاهم»^٢. فالمراد من البسط هنا: شروع الملائكة بتعذيب الظالمين لأن بسط يد المأمور الغليظ الشديد على المجرم المأخوذ به هو عذابه وإيذاؤه بضرب وجرح وزجر وشم ونحوها.

﴿أَيَّدِيهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿أَخْرَجُوا﴾ فعل أمر وفاعله. مقول قول محذوف أي يقول ﴿الْمَلَيْكَةُ﴾: ﴿أَخْرَجُوا﴾. وهذا أمر تكويني لأن الموت والحياة ليسا تحت اختيار الإنسان ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^٣.

﴿أَنفُسِكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد أن الملائكة يعذبون الظالمين بقبض أرواحهم وكيفية موتهم.

﴿أَلْيَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿تُجَزَّوْنَ﴾. والمراد به يوم الموت وحينه.

﴿تُجَزَّوْنَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. أي تُعْطَوْنَ جزاءً.

والجزاء هو عوض العمل.

﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. «أي العذاب الذي يقع به الهوان

الشديد»^٤. ﴿الْهُونِ﴾: الهوان وهو الذلُّ.

﴿بِمَا﴾ حرف و ﴿مَا﴾ موصولة أو مصدرية متعلِّق بـ ﴿تُجَزَّوْنَ﴾. والباء

١. التبيان / ٤ / ٢٠٣.

٢. التبيان / ٤ / ٢٠٣.

٣. سورة النجم / ٤٤.

٤. التبيان / ٤ / ٢٠٣.

للسببية.

- ﴿ كُنْتُمْ ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
- ﴿ تَقُولُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿ كُنْتُمْ ﴾، بمعنى تكذبون.
- ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تَقُولُونَ ﴾.
- ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ مفعول به أو حال من ﴿ مَا ﴾ موصولة أو صفة لمفعول المطلق ومضاف إليه. ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾: هو الباطل.
- ﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ كُنْتُمْ ﴾ معطوف على ﴿ كُنْتُمْ ﴾ السابق.
- ﴿ عَنْ آيَاتِهِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.
- ﴿ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿ كُنْتُمْ ﴾.

الروايات

صحیحة أبي بصیر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان [بن عفان] من الرضاة قدم المدينة وأسلم، وكان له خطٌّ حسنٌ، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من الوحي. فكان إذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «سميع بصير» يكتب «سميع عليم»! وإذا قال: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^١ يكتب: بصير، ويفرق بين التاء والياء!

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هو واحد. فارتدَّ كافرًا ورجع إلى مكة!

وقال لقريش: والله ما يدري محمد ما يقول، أنا أقول مثل ما يقول، فلا ينكر عليّ ذلك، فأنا أنزل مثل ما أنزل الله! فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله في ذلك ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾.

١. سور: البقرة / ٢٣٤ و ٢٧١، آل عمران / ١٨٠، الحديد / ١٠، المجادلة / ٣ و ١١، التغابن / ٨.

فلما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله، فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول الله ﷺ في المسجد، فقال: يا رسول الله! اعف عنه.

فسكت رسول الله ﷺ ثم أعاد، فسكت، ثم أعاد، فقال: هو لك.

فلما مر قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟!

فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إلي فأقتله.

فقال رسول الله ﷺ: إن الأنبياء لا يقتلون بالإشارة. فكان من الطلقاء^١.

ومثلها صحيحة أخرى لأبي بصير عن أحدهما عليه السلام، قال: سألته عن قول

الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾؟

قال: نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر، وهو ممن كان

رسول الله ﷺ يوم فتح مكة هدر دمه، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أنزل

الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^٢ كتب: إن الله عليم حكيم، فيقول له رسول الله ﷺ:

دعها، فإن الله عليم حكيم، وكان أبي سرح يقول للمنافقين: إنني لأقول من نفسي مثل

ما يجيء به، فما يغير علي، فأنزل الله - تبارك وتعالى - فيه الذي أنزل^٣.

ورواها العياشي^٤ عن الحسين بن سعيد.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ

أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. قال: من ادعى الإمامة

دون الإمام عليه السلام.^٥

عن سلام، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ قال:

١. تفسير القمي / ١ / ٣٠٩، ح ٢٢.

٢. سور البقرة / ٢٢٠؛ الأنفال / ١٠، ومواضع أخر.


٣. الكافي / ١٥ / ٤٦٨، ح ٢٤٣ (٢٠١ / ٨).

٤. تفسير العياشي / ٢ / ١٠٩، ح ٦٠.

٥. تفسير العياشي / ٢ / ١٠٩، ح ٦١.

العَطَشُ يوم القيامة. ١

عن الفضيل، قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ^ط آيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾. قال: العَطَشُ. ٢
رواها الطوسي^٣ مرسلًا عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ 

تبيّن حالة الموت التي تقطع بها الأسباب وكلّ ما يرجو النجاة به. وقد يقال: هذه حالة أعداء آل محمد عليهم السلام عند الموت.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.
﴿لَ﴾ تأكيد. ﴿قَدْ﴾ تأكيد آخر.

﴿جِئْتُمُونَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. عبّر بالماضي عن المستقبل القريب المحقق وجوده فيه قطعاً.

﴿فُرَادَى﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿جِئْتُمُونَا﴾. ﴿فُرَادَى﴾ «أي وحداناً لا مال لكم ولا أثاث ولا رفيق ولا شيء مما كوّن الله حولكم في الدنيا»^٥.

١. تفسير العياشي ٢/١٠٩، ح ٦٢.

٢. تفسير العياشي ٢/١٠٩، ح ٦٣.

٣. التبيان ٤/٢٠٤.

٤. القائل هو القمي في تفسيره ١/٣١٠.

٥. التبيان ٤/٢٠٧.

﴿كَ﴾ بمعنى «مثل» في محلّ نصب صفة لمفعول مطلق محذوف، أي مجيئاً مثل مجيئكم أوّل مرّة.

﴿مَا﴾ مصدرية، مجرورة بـ ﴿كَ﴾ . ﴿خَلَقْتَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به.

﴿أَوَّل﴾ مفعول مطلق نائب عن المصدر تقديره: ﴿خَلَقْتَكُمْ﴾ خلقاً ﴿أَوَّل﴾.

﴿مَرَّة﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تَرَكْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿جِئْتُمُونَا﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿حَوَّلْنَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، أي: أنعمنا به عليكم. التحويل:

التفضل بالعطاء.

﴿وَرَاء﴾ ظرف مكان متعلّق بـ ﴿تَرَكْتُمْ﴾.

﴿ظُهُورِكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿نَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلّق بحال محذوفة من «الشفعاء»، أي حاضرين

﴿مَعَكُمْ﴾.

﴿شُفَعَاءِكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، والإضافة تدلّ على أنّ لهم شفعاء

معهودون وهم آلهتهم التي يعبدونها.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول صفة لـ ﴿شُفَعَاء﴾.

﴿زَعَمْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، الزعم: القول الباطل.

﴿أَنْهَم﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿فِيكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿شُرَكَؤُا﴾.

﴿شُرَكَؤُا﴾ خبر ﴿أَنْهَم﴾. ﴿لَ﴾ تأكيد. ﴿قَدْ﴾ تأكيد آخر.

﴿تَقَطَّعَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، أي ﴿لَقَدْ﴾ وقع التقطع

بينكم، على اسناد الفعل إلى مصدره لأن المقصود حصول التقطع.
﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. يعني: تشتت ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وبين ما يعبدون
من دون الله من أهتكم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ضَلَّ﴾ فعل ماض، معطوف على ﴿تَقَطَّعَ﴾.
﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ضَلَّ﴾. ﴿مَا﴾ فاعل ﴿ضَلَّ﴾.
﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿تَزَعُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. وحذف مفعول
﴿تَزَعُمُونَ﴾ لوضوحه من الشفاعة والشرك والآراء والعقائد الباطلة.

روايتان

قال القمي: حدثني أبي، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه
قال: نزلت هذه الآية في معاوية وبني أمية وشركائهم وأئمتهم^١.
رؤي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: يحشرون حفاة عراة عزلاً^٢.
ورؤي ان عايشة قالت لرسول الله حين سمعت ذلك: وا سو أتاه ينظر بعضهم
إلى سوءة بعض من الرجال والنساء، فقال رسول الله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ﴾^٣ فيشغل بعضهم عن بعض^٤.

١. تفسير القمي ١/ ٣١١، ح ٢٣.

٢. العزل: الغلف أي من دون ختان.

٣. سورة عبس / ٣٧.

٤. التبيان ٤/ ٢٠٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَمُخْرِجُ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَانِّ تُوْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

بعد ما مضى في الآيات السابقة بحوث حول المبدأ والمعاد والنبوة انتقل البحث إلى عظيم خلق الله وبديع صنعه وعجائبه مما يدل على أنه تعالى هو الذي ينفرد بالالوهية والربوبية ولا إله ولا رب ولا معبود سواه سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد، «جيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات هذا الوصف ودوامه»^١.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿فَالِقُ﴾ خبره، فلق: أي شق وأبان.

﴿الْحَبِّ﴾ مضاف إليه، اسم جنس واحده حبة جمعها الحبوب يدل على ما يكون في السنبل والأكمام. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النَّوَى﴾ معطوف على ﴿الْحَبِّ﴾. جمع نواة يطلق على كل ما يغرس ويخرج منه الشجر كالعنب والزيتون والتمر ونحوها. نَسَبَ الإنبات والإخراج إلى الله سبحانه. ﴿تُخْرِجُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿الْحَيَّ﴾ مفعول به. ﴿مِنَ الْمَمِيتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُخْرِجُ﴾. وجملة ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ خبر ثان عن ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ وقد مر معناها منّا في تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران فراجعه^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مُخْرِجُ﴾ معطوف على ﴿فَالِقُ﴾.

﴿الْمَمِيتِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُخْرِجُ﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٣٠.

٢. أجود البيان ٣/ ٢٤٥.

﴿ذَلِكُمْ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى هذا الفالق والمخرج.

﴿اللَّهُ﴾ خبر، أي لا يمكن أن يكون هذا الفاعل غير ﴿اللَّهُ﴾.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿أَنِّي﴾ اسم استفهام بمعنى «أين»، وهو استفهام تعجيبى إنكارى.

﴿تُؤَفِّكُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله، الأفك: إذا صرفه عن

مكان أو عمل وهنا يعني فكيف تصرفون عن التوحيد؟!

الروايات

خبر إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنَّ الله تعالى لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعةٍ من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضةً بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كلِّ سماءٍ تربةً، وقبض قبضةً أُخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله تعالى كلمته، فأمسك القبضة الأولى بيمينه، والقبضة الأخرى بشماله، ففلق الطينَ فلقين، فذرا^٢ من الأرض ذرواً، ومن السماوات ذرواً، فقال للذي بيمينه: منك الرُّسل والأنبياء، والأوصياء والصدِّيقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، وقال للذي بشماله: منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ما قال كما قال.

ثمَّ إنَّ الطينتين خلطتا جميعاً، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ

١. الفلق: شق الشيء وإبانه بعضه عن بعض، يقال: فلقتُه فانفلق. والفلقة وزنٌ ومعنى. راجع: المفردات للراغب / ٦٤٥؛ المصباح المنير / ٤٨١ (فلق).

٢. «ذراً» بالهمزة. وهو بمعنى خلق وكثر وبذر. وأما «ذرا» فهو من الذرو بمعنى الإذهاب والتفريق والإطارة، وعليه فالفاعل ضمير راجع إلى الله تعالى أو جبرئيل. واختاره العلامة المجلسي. وبمعنى الذهاب والطيران، والضمير راجع إلى الطين، والمعنى: تحرز وتفرق سريعاً. واختاره العلامة المازندراني. راجع: لسان العرب ١٤ / ٢٨٢؛ القاموس المحيط ٢ / ١٦٨٦ (ذرا).

وَأَلْتَوَىٰ ﴿١﴾، فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير، وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد عنه. وقال الله ﷻ: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَمُخْرِجُ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ فالحي: المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر، والميت - الذي يخرج من الحي - هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحي: المؤمن، والميت: الكافر.

وذلك قوله ﷻ: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾^١ فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله ﷻ بينها بكلمته^٢؛ كذلك يخرج الله ﷻ المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور، ويخرج^٣ الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور، وذلك قوله ﷻ: ﴿لَيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٤.

عن صالح بن سهل، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام، في قوله الله: ﴿فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾ الحب: ما أحبه، والنوى: ما نأى عن الحق فلم يقبله^٦. عن المفضل، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله: ﴿فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾، قال: الحب: المؤمن، وذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾^٧، والنوى: هو الكافر الذي نأى عن الحق فلم يقبله^٨.

١. سورة الأنعام / ١٢٢.

٢. في الوافي: «والمعاد بالكلمة جبرئيل؛ إذ هو القابض للقبضتين».

٣. في مرآة العقول: «يمكن أن يقرأ - أي يخرج - على بناء المجرد المعلوم، أو على بناء المجهول».

٤. سورة يس / ٧٠.

٥. الكافي ٣/ ١٧، ح ٧ (٢/ ٥).

٦. تفسير العياشي ٢/ ١١٠، ح ٦٤.

٧. سورة طه / ٣٩.

٨. تفسير العياشي ٢/ ١١٠، ح ٦٥.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

آية تتضمن تديرات الله وأفعاله في عالم الكون الدالان على قدرته وحكمته وعلمه وبالمآل تدلّ على التوحيد في الخالقيّة والربوبيّة.

﴿فَالِقُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: هو ﴿فَالِقُ﴾، أو خبر رابع اسم ﴿إِنَّ﴾ في الآية السابقة أو صفة الاسم الجلالة المخبر به عن اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ﴾.

﴿فَالِقُ﴾: هو الذي شقّ ظلمة الليل بعمود الصبح، «استعارة لظهور الضياء في ظلمة الليل»^١.

﴿الْإِصْبَاحِ﴾ مضاف إليه، مصدر أصبح إصباحاً بمعنى «أصبح كل يوم»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَعَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الله تعالى.

﴿اللَّيْلَ﴾ مفعول به أوّل.

﴿سَكَنًا﴾ مفعول به ثانٍ، والسكّن: المسكون فيه كالبيت، أو السكون وما سكن

إليه ويستأنس به للاستراحة.

ومعناه: هو الذي ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ تسكنون فيه من التعب والكلل والملل،

وتستأنسون به للاستراحة وتتودعون فيه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الشَّمْسَ﴾ معطوف على ﴿اللَّيْلَ﴾. أو مفعول لفعل محذوف.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿القَمَرَ﴾ معطوف على ﴿الشَّمْسَ﴾.

﴿حُسْبَانًا﴾ مفعول به ثانٍ، ﴿حُسْبَانًا﴾ ما يعدّ به الأشياء أو الاوقات. أي

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٣٢.

٢. التبيان ٤/ ٢١١.

جعلها حساباً أو علامة حساب للناس.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى الجعل المأخوذ من ﴿جَعَلَ﴾.

﴿تَقْدِيرٌ﴾ خبر، وهو وضع الأشياء على قدرٍ معلومٍ.

﴿الْعَزِيزِ﴾ مضاف إليه، ﴿الْعَزِيزِ﴾: الغالب القاهر الذي لا يغلب ولا يقهر.

﴿الْعَلِيمِ﴾ صفة لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾. مبالغة في العلم، لأنَّ وضع الأشياء على هذا النظام

البديع لا يصدر إلا عن ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

الروايات

عن عبدالله بن الفضل النوفلي، عمَّن رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام، قال: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها بالنهار، فإنَّ الله جعل الحياء في العينين، وإذا تزوَّجتم فتزوَّجوا بالليل، فإنَّ الله جعل الليل سَكَنًا. ١

عن الحسن بن علي ابن بنت إلياس، قال: سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنَّ الله جعل الليلَ سَكَنًا، وجعل النساءَ سَكَنًا، ومن السُّنَّة التزوَّج بالليل، وإطعام الطعام. ٢

عن علي بن عَقْبَةَ، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: تزوَّجوا بالليل، فإنَّ الله جعله سَكَنًا، ولا تَطْلُبُوا الحوائج بالليل، فإنَّه مُظْلِمٌ. ٣

١. تفسير العياشي ٢/ ١١٠، ح ٦٦.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١١٠، ح ٦٧.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١١١، ح ٦٨.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا

الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾

آية أخرى تتعلق بالتكوين والغرض منها الاستدلال على التوحيد في الربوبية والعبادة وقد ذكر سبحانه إحدى الغايات من خلق ﴿النُّجُومِ﴾ وهي الإهتداء بها وهذه الغاية من القديم يستفاد منها الإنسان ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت على جملة ﴿وَجَعَلَ أَلْيَلٍ سَكَنًا﴾ في الآية السابقة.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾ خبر، تعريف المسند والمسند إليه يفيد القصر.

﴿جَعَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، يرجع إلى ﴿هُوَ﴾. والمراد

بالجعل هنا الجعل التكويني يعني الخلقة والإيجاد والإبداع. فيتعدى إلى مفعول واحد.

﴿لَكُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾، والضمير الخطاب يرجع إلى الناس

كلهم واللام للتعليل دالٌّ على الإمتنان.

﴿النُّجُومِ﴾ مفعول به. «جمع نجم وهو الكوكب أي الجسم الكروي المضيئ في

الأفق»^١ والقمر ليس بنجم وكذا الشمس بالنسبة إلينا فخرج الفرقدين ظاهر.

﴿لِ﴾ للتعليل أيضاً فهذه علة ثانية للجعل، الدالة على حكمة الجعل وسبب

الامتنان.

﴿تَهْتَدُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله. أي

للإهتداء.

﴿بِهَا﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿تَهْتَدُوا﴾. والباء للسببية والضمير يرجع إلى

﴿النُّجُومِ﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٣٥.

﴿ فِي ظُلْمَتٍ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تَهْتَدُوا ﴾ . « والمراد بالظلمات: الظلمة الشديدة وصيغة الجمع مستعملة في القوة»^١ .

﴿ الْبَرِّ ﴾ مضاف إليه . والإضافة على معنى «في» أو على معنى «اللام» للملابسة لأن الحاجة إليها تتحقق عند ذلك أو استعارة أي في مشتبهات الطرق .

﴿ وَ ﴾ عاطفة . ﴿ الْبَحْرِ ﴾ معطوف على ﴿ الْبَرِّ ﴾ .

﴿ قَدْ ﴾ حرف تحقيق، وما بعده جملة مستأنفة . ﴿ فَصَلْنَا ﴾ فعل ماضٍ وفاعله .

﴿ آيَاتٍ ﴾ مفعول به . و «ال» للاستغراق فيشمل خلق ﴿ النُّجُومِ ﴾ وغيرها .

﴿ لِ ﴾ حرف جر، للتعليل .

﴿ قَوْمٍ ﴾ مجروره، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿ فَصَلْنَا ﴾ .

﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله . في محل جر صفة لـ ﴿ قَوْمٍ ﴾ . أي الذين

﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ ينتفعون ويستفيدون من هذه ﴿ آيَاتٍ ﴾ على قدر «علمهم» في أمر دنياهم

وآخرتهم، والأول ظاهر والثاني أظهر لأن هذه ﴿ آيَاتٍ ﴾ تدل على توحيد الخالقية

والربوبية والعبادة الذي يفيدنا في الآخرة .

تأويل

في تفسير القمي: النجوم آل محمد عليه وعليهم السلام.^٢

روايتان

في وصية الإمام الكاظم إلى هشام بن الحكم: ... يا هشام إن كل الناس يبصر

النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها . وكذلك أنتم تدرسون

١ . تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٢٣٥ .

٢ . تفسير القمي ١ / ٣١٢ .

الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها، الحديث. ١
أمير المؤمنين عليه السلام: ... ألا إن مثل آل محمد عليهم السلام، كمثل نجوم السماء: إذا خوى
نجمٌ طلع نجمٌ، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأتاكم ما كنتم تأملون. ٢

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

تذكير بآيات الأنفس بعد التذكير بآيات التكوين، وتذكير بخلق الإنسان
وكيفية نشأ الذرية الإنسانية على كثرتها وانتشارها من نفس واحدة وهي آدم الذي
يعدّه القرآن الكريم مبدء للنسل الإنساني الحاضر، فالذي أنشا هذا الخلق العظيم هو
الحقيق بالربوبية والعبادة دون غيره مما يشركون.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿هُوَ الَّذِي﴾ عطف على ﴿هُوَ الَّذِي﴾ في الآية السابقة. مبتدأ وخبر وتعريفها
يفيد القصر كما مرّ وتعريض بالمشركين في شركهم في الربوبية والعبادة.
﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

الانشاء: هو الإحداث والإيجاد بالتدرج. والضمير الفاعلي يرجع إلى «الله»
تعالى والضمير المفعولي يرجع إلى بني آدم كلهم.

﴿مِنْ نَفْسٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾. والمراد بالنفس هنا آدم
أبوالبشر عليه السلام.

﴿وَاحِدَةٍ﴾ نعت لـ ﴿نَفْسٍ﴾. يعني: ﴿هُوَ الَّذِي﴾ أوجدكم أيها معاشر بني آدم

١. تحف العقول / ٣٩٢.

٢. نهج البلاغة، خطبة ٩٩.

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والمراد بها جدنا آدم عليه السلام.

﴿فَ﴾ تفریع على الإنشاء والایجاد.

﴿مُسْتَقَرًّا﴾ «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح «مستقر» بكسر القاف والباقون

بفتحها»^١.

وعلى قراءة «مستقر» بكسر القاف يصير اسم فاعل أي «مستقر» منكم أقرناه فهو مستقر «والاستقرار هو القرار والسين والتاء فيه للتأكيد مثل استجاب. يقال: استقر في المكان بمعنى قر»^٢.

وعلى قراءة ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ بفتح القاف اسم مكان بمعنى الاستقرار أو مصدر ميمي والوصف بالمصدر للمبالغة في الحاصل به.

ورفعه على القراءتين على أنه مبتدأ حذف خبره تقديره: فمنها ﴿مُسْتَقَرًّا﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فأنتم ﴿مُسْتَقَرًّا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ معطوف على ﴿مُسْتَقَرًّا﴾. وعلى قراءة «مستقر» بالكسر ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾

يكون اسم مفعول من استودعه بمعنى أودعه وتقديره: فمنكم «مستقر» ومنكم ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ لم يستقر بعد.

وعلى قراءة ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ بالفتح، يكون ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ أيضاً اسم مكان بمعنى محلّ

الاستيداع وهو المكان الذي توضع فيه الوديعة أو مصدراً ميمياً كذلك.

«واختلف المفسرون في قوله ﴿فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فقال عبدالله بن مسعود:

المستقر ما في الرحم، والمستودع حيث يموت، وبه قال إبراهيم ومجاهد.

وقال سعيد ابن جبیر: مستوع ما كان في أصلاب الرجال، فإذا قروا في أرحام

١. التبيان ٤/ ٢١٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٣٧.

النساء وعلى ظهر الأرض وفي بطونها، فقد استقروا به.
وقال ابن عباس، وروي عن مجاهد - في رواية أخرى - المستقر الأرض،
والمستوع عند ربك.
وروي عن ابن مسعود - في رواية - ان مستقرها في الآخرة ومستودعها في
الصلب.

وقال عكرمة: مستقر في الآخرة ومستودع في صلب لم يخلق سيخلق. وبه قال
قتادة والضحاك والسُّدِّي وابن زيد.

وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا.
و [قال الشيخ الطوسي] معنى الآية أنّ الله تعالى هو الذي أنشأ الخلق ابتداء من
نفس واحدة يعني آدم، منهم مستقر ومستودع، وإذا حمل على العموم، فإنه يتناول كلّ
أحدٍ على تأويل من قال المستقر في القبر والمستودع في الحشر، وعلى تأويل من قال
المستودع من كان في الاصلاب والمستقر من كان في الارحام، لأنّ كلّ الخلائق داخلون
فيه، فالأولى حمل الآية على عمومها وهو اختيار الطبري^١.

واختار صاحب الميزان: «وهو الذي أوجدكم معشر الأناسي من نفس واحدة
وعمّر بكم الأرض إلى حين فهي مشغولة بكم ما لم تنقضوا فلا يزال بعضكم مستقراً
فيها وبعضكم مستودع في الأصلاب والأرحام أو في الأصلاب فقط في طريق
الاستقرار فيها»^٢.

أقول: لعلّ المعنى: «هُوَ الَّذِي» أوجدكم «مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» وجعلكم على
الأرض فلا يزال بعضكم «مُسْتَقَرًّا» فيها وبعضكم «مُسْتَوْدَعٌ» منها إلى عالم الآخرة.
أو أنّ الحياة الإنساني في جميع مراحلها لا يزال بين استقرار واستيذاء، بلا فرق

١. التبيان ٤/٢١٤.

٢. الميزان ٧/٢٨٩.

بين ما قبل الدنيا وفي الدنيا وما بعد الدنيا إلى أن يصل الانسان إلى البقاء الدائمي والاستقرار الأبدي في الجنة لمن يدخل فيها وفي النار لبعض من يدخل فيها لأن البعض يخرج منها ويدخل الجنة بإذن الله وعفوه ومغفرته.

وهذه المسيرة الاستقراري والاستيداعي تكويني وليس باختيارى ولكن كيفية السير فيها وانتخاب محل الاستقرار الدائمي أي الجنة أو النار اختيارياً كما نبه على هذا الأخير السيد السيزواري^١.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾ مرّ إعرابه ومعناه في الآية السابقة وعدل عن ﴿يَعْلَمُونَ﴾^٢ إلى ﴿يَفْقَهُونَ﴾ لأن معرفة هذه المسيرة وكيفية السير فيها تحتاج إلى فهم عميق ونظر دقيق وفتانة كاملة وفكرة متعالية ونظرة متفقهة.

الروايات

معتبرة يونس عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن صلوات الله عليه، قال: إن الله خلق النبيّن على النبوة؛ فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان، فلا يكونون إلا مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً؛ فإن شاء تمّمه لهم، وإن شاء سلبهم إياه، قال: وفيهم جرت ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾، وقال لي: إن فلاناً كان مستودعاً لإيمانه، فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك.^٣

الرواية مرسلة.

صحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما^٤، قال سمعته يقول: «إن الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك، واستودع بعضهم الإيمان؛ فإن يشأ أن يتمّمه لهم أمته، وإن يشأ أن يسلبهم إياه سلبهم؛

١. مواهب الرحمن ١٤/٢١٥.

٢. سورة الأنعام / ٩٧.

٣. الكافي ٤/٢٠٣، ح ٤ (٤١٨/٢).

وكان فلان منهم مُعَاراً»^١.

ورواها العياشي في تفسيره^٢.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾؟

قال: ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه؟ قال: قلت: يقولون: مُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصُّلْبِ.

فقال: كَذَبُوا، الْمُسْتَقَرُّ: مَا اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، فَلَا يُنْزَعُ مِنْهُ أَبَدًا، وَالْمُسْتَوْدَعُ:

الَّذِي يُسْتَوْدَعُ الْإِيمَانُ زَمَانًا، ثُمَّ يُسَلَبُهُ، وَقَدْ كَانَ الزَّبِيرُ مِنْهُمْ^٣.

عن جعفر بن مروان، قال: إِنَّ الزَّبِيرَ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ يَوْمَ قَبْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: لَا أَغْمِدُهُ حَتَّى أَبَايَ لِعَلِّي عليه السلام، ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ فَضَارِبَ عَلِيًّا عليه السلام، فَكَانَ مِمَّنْ أُعِيرَ الْإِيمَانَ، فَمَشَى فِي ضَوْءِ نُورِهِ، ثُمَّ سَلَبَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ^٤.

عن سعيد بن أبي الأصبح، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ مُسْتَقَرِّ وَمُسْتَوْدَعٍ، قَالَ: مُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصُّلْبِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَوْدَعُ الْإِيمَانِ ثُمَّ يُنْزَعُ مِنْهُ، وَلَقَدْ مَشَى الزَّبِيرُ فِي ضَوْءِ الْإِيمَانِ وَنُورِهِ حِينَ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَشَى بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا تُبَايِعْ إِلَّا عَلِيًّا^٥.

عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾، قَالَ: مَا كَانَ مِنَ الْإِيمَانِ الْمُسْتَقَرُّ فَمُسْتَقَرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَوْ أَبَدًا،

١. الكافي ٤/٢٠١، ح ١ (٤١٧/٢).

٢. تفسير العياشي ٢/١١٣، ح ٧٦.

٣. تفسير العياشي ٢/١١١، ح ٦٩.

٤. تفسير العياشي ٢/١١١، ح ٧٠.

٥. تفسير العياشي ٢/١١١، ح ٧١.

وما كان مُسْتَوْدِعًا سَلْبَهُ اللهُ قَبْلَ الْمَاتِ. ١

عن صفوان، قال: سألتني أبو الحسن عليه السلام ومحمد بن خلف جالس، فقال لي: مات يحيى بن القاسم الحذاء؟ فقلت له: نعم، ومات زُرعة. فقال: كان جعفر عليه السلام يقول: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدِعٌ﴾ فالمُسْتَقَرُّ: قومٌ يُعْطَوْنَ الإِيَانَ وَيَسْتَقَرُّ فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْمُسْتَوْدِعُ: قومٌ يُعْطَوْنَ الإِيَانَ ثُمَّ يُسَلْبُونَهُ. ٢
عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: سألتُه عن قول الله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدِعٌ﴾، قال: الْمُسْتَقَرُّ: الإِيَانُ الثَّابِتُ، وَالْمُسْتَوْدِعُ: الْمُعَارُ. ٣

عن أحمد بن محمد، قال: وقف عليّ أبو الحسن الثاني عليه السلام في بني زريق، فقال لي وهو رافعٌ صوته: يا أحمد. قلت: لبيك. قال إنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جَهِدَ النَّاسُ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَلَمَّا تُوِّفِيَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام جَهِدَ ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.
وإنَّ أَهْلَ الْحَقِّ إِذَا دَخَلَ فِيهِمْ دَاخِلٌ سُرُّوا بِهِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُمْ خَارِجٌ لَمْ يَجْزِعُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَإِنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ إِذَا دَخَلَ فِيهِمْ دَاخِلٌ سُرُّوا بِهِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُمْ خَارِجٌ جَزِعُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَلَى شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدِعٌ﴾ قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: الْمُسْتَقَرُّ: الْمُعَارُ. ٥

خبر محمد بن سليمان الديلمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك أن شيعتك تقول إن الإيوان مستقر ومستودع فعلمني شيئاً إذا أنا قلته استكملت

١. تفسير العياشي ٢/١١١، ح ٧٢.

٢. تفسير العياشي ٢/١١٢، ح ٧٣.

٣. تفسير العياشي ٢/١١٢، ح ٧٤.

٤. هو علي بن أبي حمزة البطائني، روى عن الإمام الصادق عليه السلام وعن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام، ووقف عليه بعد شهادته عليه السلام، ولم يقل بإمامة أبي الحسن الرضا عليه السلام، طمعاً بالأموال الكثيرة التي كانت بحوزته حيث كان أحد قوام الإمام الكاظم عليه السلام، راجع: قاموس الرجال ٦/٣٤٤.

٥. تفسير العياشي ٢/١١٢، ح ٧٥.

الإيمان.

قال: قل في دبر كل صلاة فريضة «رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبالكعبة قبلهً وبعليّ ولياً وإماماً وبالحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم اللهم إني رضيت بهم أئمة فارضني لهم إنك على كل شيء قدير»^١.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مُمَشَّبًا وَغَيْرَ مُمَشَّبٍ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١١)

في الآية الشريفة دلالات على توحيد الخالقية والربوبية والعبادة وخلع الأنداد دونه وأنه لا يستحق العبادة سواه، وفيها تفصيل يستفيد منه المؤمنون لما ورد من النعم المتواردة التي تدل على عظيم فضله واحسانه وحسن تديره، وغيرها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ الَّذِي﴾ مبتدأ وخبره، يفيد القصر لما مر.

﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، والمراد بـ «السما» هي جهة العلو فكلما علاك وأظلك فهو سماء^٢ «ولأجل ذلك يطلق على السحاب»^٣.

﴿مَاءٍ﴾ مفعول به، والمراد به المنزولات السماوية من المطر والثلج.

﴿فَ﴾ تفرعية.

١. التهذيب ٢/١٠٩، ح ١٨٠.

٢. الميزان ٧/٢٨٩.

٣. مواهب الرحمن ١٤/٢١٦.

﴿أَخْرَجْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. التفتات من الغيبة إلى المتكلم.
 ﴿بِهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْرَجْنَا﴾. والباء للسببية والضمير يرجع إلى
 ﴿مَاءٍ﴾.

﴿نَبَاتٍ﴾ مفعول به، اسم مصدر نَبَتَ، واسم لما يَنْبِتُ. ﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه.
 ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه ثان. أي «﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بالماء الذي أنزلناه ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾
 النبات والنمو الذي في ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ نام [و] له قوة النبات من الكمون إلى البروز»^١ من
 النبات والشجر والحيوان والإنسان والشاهد عليه ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾.
 ﴿فَ﴾ للتفصيل، وما بعدها تفصيل لما قبلها. ﴿أَخْرَجْنَا﴾ مرّ.
 ﴿مِنَهُ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْرَجْنَا﴾. «من» للابتداء أو التبعية، والضمير
 يرجع إلى ﴿نَبَاتٍ﴾.

﴿خَضِرًا﴾ مفعول به. وهو الشيء الذي لونه أخضر ويطلق على النبات الرطب
 الذي ليس بشجر كالقصيل^٢ والقضب^٣.
 ﴿خُرُجٌ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». «من» اتصالية أو ابتدائية والضمير
 يرجع إلى ﴿خَضِرًا﴾.
 ﴿حَبًّا﴾ مفعول به. «الحب»: هو ثمر النبات كالبُرِّ والشعير والزراريع^٤ كلّها^٥.
 «والحبّ يخرج من النبات الرطب»^٦.

١. الميزان ٧/ ٢٨٩.

٢. بالفارسية: جونارس و سبز که برای خوراک دام و ستوران چیده می شود، چیز بریده شده.

٣. القضب: أغصان مقطوعة أو بقول طرية.

٤. بالفارسية: دانه ها.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤٠.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤٠.

﴿مُتْرَاكِبًا﴾ نعت لـ ﴿حَبًّا﴾. «المتراكب: المتصق بعضه على بعض في السنبلة مثل القمح وغيره والتفاعل للمبالغة في ركوب بعضه بعضاً»^١. يعني: «بعضه فوق بعض مأخوذ من الركوب كترابك حبوب القمح والشعير [والأرز] في سنابلها]» وحبوب الرمان والصنوبر في ثمارها»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾.

﴿مِنَ النَّخْلِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، «ال» ﴿النَّخْلِ﴾ للعهد الجنسي.

﴿مِنَ طَلْعِهَا﴾ بدل بعض ﴿مِنَ النَّخْلِ﴾ بإعادة الخافض. «الطلع: أول ما يخرج

من النخلة في أكامه»^٣.

«الطَّلَعُ: وعاء عرجون التمر الذي يبدو في أول خروجه يكون كشكل الأثرجة العظيمة مغلقاً على العرجون، ثم ينفتح كصورة نعلين فيخرج منه العنقود مجتمعاً، ويسمى حينئذٍ الإغريض، ثم يصير قنوا»^٤.

و «إنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع العجيبة والأغذية الشريفة التي

ليست في شيء من كمام الثمار»^٥.

﴿قِنْوَانٌ﴾ مبتدأ مؤخر. جمع قنوا: وهو «عرجون التمر كالعنقود للعنب ويسمى

العذق - بكسر العين - ويسمى الكِبَاسَة - بكسر الكاف -»^٦. والحاصل: قنوا: «هو

العنقود من الثمر»^٧.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤٠.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٢٣٠.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٢٣٠.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤١.

٥. التبيان ٤/ ٢١٦.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤٠.

٧. التفسير الكاشف ٣/ ٢٣٠.

﴿دَائِيَةٌ﴾ نعت لـ ﴿فَتَوَانٌ﴾. أي «قريبة سهلة التناول»^١. يعني: «هي التي تكون نخلتها قصيرة لم تتجاوز طول قامة المتناول»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَنَّتٍ﴾ معطوف على ﴿نَبَاتٍ﴾. ﴿جَنَّتٍ﴾: بسايتين.

﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ تمييز مجرور بـ ﴿مِّنْ﴾ بيانية، أو متعلِّقٌ بمحذوف صفة لـ

﴿جَنَّتٍ﴾. ﴿أَعْنَابٍ﴾ جمع عِنَب وهو ثمر شجر الكَرَم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الزَّيْتُونِ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾. والتعريف للجنس والمراد به شجره.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الزُّمَّانِ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾ والتعريف للجنس والمراد به شجره.

﴿مُشْتَبِهًا﴾ حال من كلِّ ما تقدم من النبات. والمشتبه والمتشابه والتشابه بمعنى

واحد، والمراد أن بعض النبات يشبه بعضاً في اللون والطعم والصورة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿غَيْرٍ﴾ معطوف على ﴿مُشْتَبِهًا﴾.

﴿مُتَشَبِهٍ﴾ مضاف إليه. أي بعض النبات غير متشابه كما أن بعضه متشابه.

﴿أَنْظُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. أي ﴿أَنْظُرُوا﴾ بنظر الاعتبار والاستبصار.

﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلِّقٌ بـ ﴿أَنْظُرُوا﴾. الثمر: جمع ثمرة

وهو ما انعقد على الشجر. والضمير يرجع إلى النبات.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان بمعنى «حين». أي حين ابتداء أثماره.

﴿أَتَمَّرَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَنْعَمَ﴾ معطوف على ﴿ثَمَرِهِ﴾. الينع: النضج، يقال: أينعت الثمرة إذا

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٣٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤١.

أدركت ونضجت.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿فِي ذَٰلِكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿إِنَّ﴾. إشارة إلى المذكورات السابقة كلها.

﴿لَ﴾ لام التوكيد المزحلقة. ﴿ءَايَاتٍ﴾ اسم مؤخر ﴿إِنَّ﴾.

﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿ءَايَاتٍ﴾. واللام للتعليل.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. صفة لـ ﴿قَوْمٍ﴾. خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك والمعتبرون به، وتعريض بأن غير المؤمنين هم غير العالمين وغير الفاهمين مع لحاظ الآيتين السابقتين.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

قسم من المشركين هم الذين ﴿جَعَلُوا﴾ ﴿الْجِنَّ﴾ ﴿شُرَكَاءَ﴾ ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى شأنه والآية الشريفة تنفي جميع أقسام الشرك بأجمعها وكذا تنفي وجود البنين والبنات لله سبحانه، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على الجمل السابقة.

﴿جَعَلُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والمراد بالجعل هنا جعلٌ وهميٌ تخيُّليٌ غير منطبقٍ

على واقع صحيح وحقيقة واضح.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿شُرَكَاءَ﴾. «وتقديم المجرور على المفعول في قوله:

﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ للاهتمام والتعجب من خطل عقولهم إذ يجعلون لله شركاء من مخلوقاته لأنَّ المشركين يعترفون بأنَّ الله هو خالق الجنِّ، فهذا التّقديم جرى على خلاف مقتضى

الظَّاهِر لِأَجْلِ مَا اقْتَضَى خِلَافَهُ»^١.

﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلُوا﴾.

﴿الْجِنِّ﴾ مفعول أوَّلٍ لـ ﴿جَعَلُوا﴾، «قَدَّمَ المَفْعُولَ الثَّانِي عَلَى الأوَّلِ لِأَنَّهُ مَحَلٌّ

تَعَجُّبٍ وَإِنكَارٍ فَصَارَ لِذَلِكَ أَهَمُّ وَذَكَرَهُ أَسْبَقُ»^٢.

فِيصِيرُ مَعْنَى الآيَةِ ﴿وَجَعَلُوا﴾ ﴿الْجِنِّ﴾ ﴿شُرَكَاءَ﴾ ﴿لِلَّهِ﴾. وَقَدْ مَرَّ وَجْهَ التَّقْدِيمِ.

والمُرَادُ مِنْ ﴿الْجِنِّ﴾ طَائِفَةٌ غَيْرِ الْإِنْسَانِ وَالْمَلَائِكَةِ، يَذْكُرُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي آيَاتِهِ، وَإِبْلِيسَ وَالشَّيَاطِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ. وَقَدْ «نُسِبَ إِلَى قَرِيشٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ:

إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَاهَرَ الْجِنَّ فَحَدَّثَ بَيْنَهُمَا الْمَلَائِكَةَ، وَهَذَا أَنْسَبُ بِسِيَاقِ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ

شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ^٣ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ»^٣.

﴿وَ﴾ حَالِيَةً.

﴿خَلَقَهُمْ﴾ فَعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ «هُوَ» يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَفْعُولٌ

بِهِ، وَالضَّمِيرُ الْمَفْعُولِيُّ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الضَّمِيرِ الْفَاعِلِيِّ فِي ﴿جَعَلُوا﴾ أَيِ الْمُشْرِكِينَ كَمَا

يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى ﴿الْجِنِّ﴾ وَكَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمَا وَهَذَا الْآخِرُ هُوَ الْمَخْتَارُ.

وَمَوْضِعُ هَذَا الْحَالِ هُوَ التَّعَجُّبُ مِنْ ضَلَالِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ

مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أُنْدَاداً لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ.

﴿وَ﴾ عَاطِفَةٌ.

﴿خَرَقُوا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿جَعَلُوا﴾. ﴿خَرَقُوا﴾: ابْتَدَعُوا وَتَخَرَّصُوا وَاخْتَرَعُوا

وَاخْتَلَقُوا كَذِباً وَزوراً وَبَاطِلاً وَجَهالاً وَضَلالاً.

﴿لَهُ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿خَرَقُوا﴾، وَالضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٤٤.

٣. الميزان ٧/ ٢٩٠.

﴿بَيْنَ﴾ مفعول به، نحو قول اليهود: ﴿عَزَّزَ ابْنُ اللَّهِ﴾^١ وقول النصارى:
﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَنَّتْ﴾ معطوفة على ﴿بَيْنَ﴾، «مشركو العرب كانوا يقولون: إن الملائكة بنات
الله»^٣.

﴿بَغَيْرِ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حالاً من الضمير الفاعلي في ﴿خَرَقُوا﴾.
والباء للملابسة.

﴿عَلِمَ﴾ مضاف إليه. أي الحجة والبرهان.

﴿سُبَّحْنَهُ﴾ مصدر منصوب على أنه بدل من فعله وتقديره: أَسْبَحَ اللهُ سبحانه،
عَوَّضَ عن فعله صار «سبحان الله» بإضافة إلى مفعوله الأصلي. والضمير يضاف إليه.
تنزيه له تعالى عن الشرك وعن جميع هذه المقالات الفاسدة وعن كل نقص
وعيب، تعالى الله عنها علواً كبيراً.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تَعَلَّى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿تَعَلَّى﴾: «ارتفع، وهو تفاعل
من العلوِّ. والتفاعل فيه للمبالغة في الاتِّصاف. والعلوُّ هنا مجاز، أي كونه لا ينقصه ما
وصفوه به، أي لا يوصف بذلك لأنَّ الاتِّصاف بمثل ذلك نقص وهو لا يلحقه
النَّقص فشبهه التَّحاشي عن النَّقائص بالارتفاع، لأنَّ السَّيِّء المرتفع لا تلتصق به
الأوساخ التي شأنها أن تكون مطروحة على الأرض، فكما شبه النَّقص بالسفالة شبه
الكمال بالعلوِّ، فمعنى (تعالى عن ذلك) أنه لا يتطرَّق إليه ذلك»^٤.

١. سورة التوبة / ٣٠.

٢. سورة التوبة / ٣٠.

٣. الميزان ٧ / ٢٩١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦ / ٢٤٧.

﴿عَمَّا﴾ مركبة من «عن» و «ما» جار ومجروره «ما» موصولة أو مصدرية، يتعلّق بـ ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ .

﴿يَصِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الوصف: إخبارٌ عن الشيء و اوصافه وما يتميّز به. بناء على موصولية «ما» أي أنزّهه عن الذي يصفونه، وبناءً على مصدرية «ما» أنزّهه عن وصفهم. يعني عن توصيفات المشركين و اوصاف التي وصفوا الله بها.

﴿بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ اَنۢىۤ يَكُوۡنُ لَهُۥٓ وَلَدٌۭ وَلَمۡ تَكُنۡ لَهُۥٓ صٰحِبَةًۭ ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْۡءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْۡءٍ عَلِيۡمٌ﴾

تعليل لما ورد في الآية السابقة من التسييح والتنزيه بالإخبار بعظيم قُدْرَةِ الله وُصْنَعِهِ وبديع خَلْقِهِ .

﴿بَدِيعٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «هو» ﴿بَدِيعٌ﴾. صفة مشبهة على وزن فاعيل و «هو» عبارة عن إنشاء الشيء بلا مادّة ولا زمان ولا آلة ولا اقتداء بالمثل والنظير^١. ﴿السَّمٰوٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿السَّمٰوٰتِ﴾. ولا يوصف بهذا الوصف غير الله لأنّه خالقهما على غير مثال سبق.

﴿أَنۢىۤ﴾ أداة استفهام بمعنى «كيف» أو «من أين». تعليل آخر لمضمون التنزيه.

﴿يَكُوۡنُ﴾ فعل مضارع ناقص. ﴿لَهُۥٓ﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم ﴿يَكُوۡنُ﴾.

﴿وَلَدٌۭ﴾ اسم ﴿يَكُوۡنُ﴾. ﴿وَ﴾ حالية. ﴿لَمۡ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَكُنۡ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿لَمْ تَكُنْ﴾.

﴿صَحْبَةً﴾ اسم ﴿لَمْ تَكُنْ﴾. الصاحب: القرين اللازم وهو هنا الزوجة لأنها تصاحب الزوج في معظم أحواله. كأنه يقول: إذا لم يكن لله تعالى زوجة فمن أين حصل له الأولاد؟! بناءً على أن الولادة يحتاج إلى الأب والأم في العرف أي الزوج والزوجة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». معطوف على ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿كُلَّ﴾ مفعول به.

﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. يعني أنه تعالى خالق ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ومنه ما ينسب إليه من البنين والبنات، فهو تعالى خالقهم ولا أبوهم لعدم المجانسة بين الخالق والمخلوق ووجودها بين الوالد والولد.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿بِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر، بيان لعظيم علمه وعموميته.

«المستفاد من الآية الشريفة بطلان اتخاذ الولد من وجوه عديدة:

الأول: إن الولد مناط الحاجة إلى تكثير النوع، ولا يعقل الحاجة مطلقاً بالنسبة إليه ﷻ، فيستحيل له الولد، لأنه بديع السماوات والأرض بأجزائها وجزئياتها، فلا يبقى موضوع للولادة الحقيقية بالنسبة إليه سبحانه وتقدس.

الثاني: إن الولادة من صفات الأجسام، ومبدع السماوات والأرض ليس بجسم، ولا شيء يماثله من أجزائها، حتى يكون والداً. وكيف يكون له صاحبة أو بنون وبنات.

الثالث: إن الولادة إنما تكون بين زوجين من جنس واحد، وهو ﷻ متعال عن

مجانس، فلا تكون له سبحانه صاحبة، فلا تصح الولادة.
الرابع: إنه ما من شيء إلا وهو تعالى خالقه وفاطره، والولد هو جزء من الشيء، والمائل له لا يكون مخلوقاً له البتة.
الخامس: إنه تبارك وتعالى يخبر بأنه لا صاحبة له ولا ولد، ومثل هذا الخبر لا سبيل للجهل إليه، لأنه بكل شيء عليم.
السادس: إنه تعالى غني بالذات عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج وهو منزّه عن الحاجة^١.

رواية

معتبرة سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله عز وجل ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين، ولم يكن قبلهنّ سماواتٌ ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؟
 فقال له حمران: أ رأيت قوله جلّ ذكره: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾؟^٢

فقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^٣؛ وكان والله محمداً ممن ارتضاه. وأما قوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾^٤ فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه - فيما يقدر من شيء، ويقضيه في علمه - قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة؛ فذلك يا حمران،

١. مواهب الرحمن ١٤/٢٢٦.

٢. سورة هود/٧.

٣. سورة الجن/٢٦.

٤. سورة الجن/٢٧.

٥. سور: الأنعام/٧٣، التوبة/٩٤ و ١٠٥، الرعد/٩، المؤمنون/٩٢، السجدة/٦، سبأ/٣، الزمر/٤٦، الحشر/٢٢، الجمعة/٨، التغابن/١٨، الجن/٢٦.

علمٌ موقوف عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه، فلا يمضيه؛ فأما العلم الذي يقدره الله ﷻ ويقضيه ويمضيه، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ﷺ ثم إلينا^١.

رواها الصفار في بصائر الدرجات^٢ والعياشي في تفسيره^٣ مختصراً.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

هذه الآية الشريفة كالنتيجة للآيات السابقة وهي إذا كان الأمر على ما ورد في الآيات السابقة فالله الذي وصفناه هو ربكم لا الغير، تصريح بالتوحيد الضمني الوارد في السابقات وهو مع ذلك في معنى التعليل بتقريب: «هو الرب ليس دونه رب لأنه الله الذي ليس دونه إله وكيف يكون غيره رباً وليس ياله»^٤.

﴿ذَلِكُمْ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، وقوع اسم الإشارة بعد الأخبار المتقدمة والصفات السابقة يدل على أن المشار إليه حقيق بالأخبار والأوصاف التي ترد بعد اسم الإشارة.

واسم الإشارة ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما تقدم من وصف الله تعالى بأنه ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٥ وغيرها من صفاته سبحانه، و «أدخل فيه «الميم» لأنه خطاب

١. الكافي ١/٦٣٧، ح ٢ (١/٢٥٦).

٢. بصائر الدرجات ١/٢١٧، ح ٤٤٣.

٣. تفسير العياشي ٢/١١٣، ح ٧٧.

٤. الميزان ٧/٢٩١.

٥. سورة الأنعام / ١٠١.

لجميع الخلق»^١.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ثان. ﴿رَبُّكُمْ﴾ خبر ﴿اللَّهُ﴾، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبر ﴿ذَلِكَ﴾.

﴿لَا﴾ أداة نافية للجنس تعمل عمل «إن».

﴿إِلَهَ﴾ اسم ﴿لَا﴾، وخبره محذوف تقديره «موجود».

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿هُوَ﴾ بدل من محل ﴿لَا﴾ مع اسمها.

والجملة الاسمية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ حال من ﴿رَبُّكُمْ﴾ أو صفة. وإخبار بأنه لا معبود سواه تحق له العبادة وقد مرّ في تقريب أول الآية بأن من ليس بإله فلا يكون رباً، والربوبية يستحق لمن له الألوهية.

﴿خَلِقُ﴾ صفة لـ ﴿رَبُّكُمْ﴾ أو لـ ﴿اللَّهُ﴾.

﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه ثان.

وجملة ﴿خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تعليل لقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ «أي إنما انحصرت الألوهية فيه لأنه ﴿خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من غير استثناء فلا خالق غيره لشيء من الأشياء حتى يشاركه في الألوهية، وكل شيء مخلوق له، خاضع له بالعبودية فلا يعادله فيها»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿أَعْبُدُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. تفریع ونتيجة على قوله: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ﴾

﴿رَبُّكُمْ﴾ «أي إذا كان الله سبحانه هو ربكم لا غير ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾»^٣.

بعبارة أخرى: الألوهية تقتضي الربوبية ومن ينفرد بالأول فهو ينفرد بالثاني ومن ينفرد بالربوبية فهو يختص بالعبادة لا غيره.

١. التبيان ٤/ ٢٢٢.

٢. الميزان ٧/ ٢٩١.

٣. الميزان ٧/ ٢٩١.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَى كُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَكَيْلٍ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿وَكَيْلٍ﴾ خبر. ﴿وَكَيْلٍ﴾: حافظ، «والوكيل على الشيء هو الحافظ الذي

يحوطه ويدفع الضرر عنه»^١.

والجملة الإسمية ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٍ﴾ معطوفة على ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ «بناءً

على جواز عطف الخبر على الإنشاء والعكس - وهو الحق - على وجه تكميل التعليل

للأمر بعبادته دون غيره»^٢.

وبتقريب آخر: «و ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٍ﴾، أي هو القائم على كل شيء

المدبّر لأمره الناظم نظام وجوده وحياته وإذا كان كذلك كان من الواجب أن يتقى فلا

يتخذ له شريك بغير علم فالجملة كالتأكيد لقوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ أي لا تستنكفوا عن

عبادته لأنه وكيل عليكم غير غافل عن نظام أعمالكم»^٣.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

المشركون اعتادوا بالتفكر المادي وأخلدوا إلى الحسّ والمحسوس فردّ الله في

هذه الآية توهمهم الفاسدة بأنّ الله تعالى أمر جسماني كسائر الجسمانيات فردّ عليهم

بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وإذا ارتفع عن تعلق الأبصار به أخرج عن حيلة الحسّ

والمحسوس.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿تُدْرِكُهُ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم، والضمير المفعولي يرجع إلى

١. التبيان ٤/ ٢٢٢.

٢. الميزان ٧/ ٢٩١.

٣. .

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ...﴾^١ و «الإدراك إذا أضيف إلى واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه»^٢ فالمراد به هنا الروية. وإن كان حقيقة الإدراك هي الوصول إلى المطلوب.

﴿الْأَبْصَرُ﴾ فاعل، جمع بَصَرَ وهو اسم للقوة التي بها النظر والروية.
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ﴾ تصريح بعدم إمكان رؤية الله تعالى مطلقاً أي في الدنيا والآخرة لأنه تعالى عن الجسمية ولوازمها، ولا يُرى إلا الأجسام، والله سبحانه ليس بجسم فلا يُرى أبداً.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ. يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾^٣.

﴿يُدْرِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿الْأَبْصَرُ﴾ مفعول به.
ردّ على مَنْ زعم «أنه تعالى إذا ارتفع عن تعلق الأبصار به، خرج عن حيلة الحس والمحسوس وبطل نوع الاتصال الوجودي الذي هو مناط الشعور والعلم وانقطع عن مخلوقاته فلا يعلم بشيء كما لا يعلم به شيء ولا يبصر شيئاً كما لا يبصره شيء فأجاب تعالى عنه بقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿الْلَطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ صفتا مشبهة من لُطْفٍ وَخُبْرٍ خبران. «اللطف هو الرقيق النافذ في الشيء، والخبير من له الخبرة، فإذا كان تعالى محيطاً بكلّ شيء بحقيقة معنى الإحاطة كان شاهداً على كلّ شيء لا يفقده ظاهر شيء من الأشياء ولا باطنه، وهو مع ذلك ذو علم وخبرة كان عالماً بظواهر الأشياء وبواطنها من غير أن يشغله شيء عن شيء أو يحتجب عنه شيء بشيء»^٥.

١. سورة الأنعام / ١٠٢.

٢. التبيان / ٤ / ٢٢٣.

٣. سورة الأنعام / ١٠٢.

٤. الميزان / ٧ / ٢٩٢.

٥. الميزان / ٧ / ٢٩٢.

وفي هذه الآية وما قبلها «من سطوح البيان وسهولة الطريق وإيجاز القول ما يحير اللب وهما مع ذلك تهديان المتدبر فيهما إلى أسرار دونها أستار»^١.

الروايات

صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ قال: إحاطة الوهم؛ أ لا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؟ ليس يعني بصر العيون ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾: ليس يعني من البصر بعينه ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾^٢: ليس يعني عمى العيون، إنما عنى إحاطة الوهم، كما يقال: فلان بصيرٌ بالشعر، وفلان بصيرٌ بالفقه، وفلان بصيرٌ بالدراهم، وفلان بصيرٌ بالثياب، الله أعظم من أن يرى بالعين^٣.
صحيحة أبي هاشم الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سألته عن الله: هل يُوصَفُ؟ فقال: أ ما تقرُّ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أ ما تقرُّ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: أبصار العيون، فقال: إنَّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام.^٤

خبر أبي هاشم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ فقال: يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون؛ أنت قد تدرك بوهمك السنن والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟!^٥

١. الميزان ٧/ ٢٩٢.

٢. سورة الأنعام / ١٠٤.

٣. الكافي ١/ ٢٤٤، ح ٩ (١/ ٩٨).

٤. الكافي ١/ ٢٤٤، ح ١٠ (١/ ٩٨).

٥. الكافي ١/ ٢٤٥، ح ١١ (١/ ٩٩).

صحيحة صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك، فأذن لي فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^١؟ أليس محمد؟ قال: بلى، قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً، فيخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟ أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قرّة: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^٢؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى؛ حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^٣ يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بها رأى، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^٤ فأيات الله غير الله، وقد قال الله: ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^٥ فإذا رآته الأبصار، فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة^٦.
صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال:

١. سورة شوري / ١١.

٢. سورة النجم / ١٣.

٣. سورة النجم / ١١.

٤. سورة النجم / ١٨.

٥. سورة طه / ١١٠.

٦. الكافي / ١ / ٢٣٨، ح ٢ (١ / ٩٥).

قال رسول الله ﷺ: لما أُسْرِيَ بي إلى السماء، بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قطُّ جبرئيل، فكشِفَ له، فأراه الله من نور عظمته ما أحبّ»^١.

خبر سنان قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام، فدخل عليه رجل من الخوارج، فقال له: يا أبا جعفر، أي شيء تعبد؟ قال: «الله تعالى» قال: رأيته؟ قال: «بلى، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.^٢
خبر أبي الحسن الموصلي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «جاء حبرٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك حين عبدته؟»

قال: فقال: ويلك، ما كنت أعبد رباً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك، لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».^٣
أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام، قال سمعته يقول: لا يوصف الله بمحكم وحيه، عظم ربنا عن الصفة، كيف يوصف من لا يُحدُّ وهو يدرك الأبصار، ولا تُدرك الأبصار، ولا تُدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير.^٤
عن الأشعث بن حاتم، قال: قال ذو الرياستين^٥: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام:

١. الكافي ١/٢٤٣، ح ٨ (١/٩٨).

٢. الكافي ١/٢٤١، ح ٥ (١/٩٧).

٣. الكافي ١/٢٤٢، ح ٦ (١/٩٧).

٤. تفسير العياشي ٢/١١٣، ح ٧٨.

٥. هو الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، المتوفى سنة ٢٠٢ هـ، صحب المأمون العباسي قبل أنبلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) مولده ووفاته في سرخس، قتله جماعة بينما كان في الحمام، قيل: إن المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره، وكان حازماً عاقلاً فصيحاً. الأعلام للزركلي ١٤٩/٥.

جُعِلت فداك، أخبرني عمّا اختلف فيه الناس من الرؤية، فقال بعضهم: لا يُرى.
فقال: يا أبا العباس، من وَصَفَ الله بخلاف ما وَصَفَ به نفسه فقد أعظم
الفرية على الله، قال الله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
هذه الأبصار ليست هي الأعين، إنّها هي الأبصار التي في القلوب، لا يقع عليه
الأوهام، ولا يُدْرِكُ كيف هو. ١

حسنة بل صحيحة محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: قال أبو الحسن علي بن
موسى الرضا عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ قال: لا
تُدْرِكُه أوهام القلوب، فكيف تُدْرِكُه أبصار العيون؟! ٢

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا

عَلَيْكُمْ بِخَفِيفٍ﴾

«أمر من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء الكفار: قد جاءكم حجج من الله وهو ما ذكره
في قوله ﴿فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾ ٣ إلى ها هنا. وما يبصرون به الهدى من الضلال، فمن
نظر وعلم فلنفسه نفع، ومن جهل وعمي فلنفسه ضرر. ولست أمنعكم منه ولا أحول
بينكم وما تحتاجون» ٤.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم، أي في الآيات السابقات.

١. تفسير العياشي ٢/ ١١٣، ح ٧٩.

٢. أمالي الصدوق، المجلس الرابع والستون ح ٢/ ٤٩٤، رقم ٦٧٣.

٣. سورة الأنعام / ٩٥.

٤. التبيان ٤/ ٢٢٧.

﴿بَصَّارٍ﴾ فاعل. «جمع بصيرة وهي الدلالة التي توجب العلم الذي يبصر به نفس الشيء على ما هو به والمراد ههنا قد جاءكم القرآن الذي فيه الحجج والبراهين»^١.
«ونعني بالبصيرة: الحججة البيّنة الظاهرة»^٢.

﴿مَنْ رَّبُّكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾ أو قد جاءكم من جانب الله بالوحي إلى رسوله ﷺ.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿أَبْصَرَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿مَنْ﴾، في محلّ جزم

فعل الشرط.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لِنَفْسِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بـ ﴿أَبْصَرَ﴾ محذوف، جواب

الشرط.

«يعني من تبين بهذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم وتبين بها،

فمنفعة ذلك تعود عليه ولنفسه بما نظر»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ معطوفة على ﴿مَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾. يعني «﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ فلم

ينظر فيها وصدف عنها حتى جهل فعلى نفسه لأن عقاب تفريطه لازم له وحال به،

فسمي العلم والتبيين إحصاراً مجازاً، وسمي الجهل عمى توسعاً. وفي ذلك دلالة على

أن الخلق غير مجبرين بل هم مخيرون في أفعالهم»^٤.

﴿وَ﴾ استئنافية، والجملة بعدها يقولها الله نيابة عن النبي الأعظم ﷺ.

١. التبيان ٤/٢٢٦.

٢. التبيان ٤/٢٢٧.

٣. التبيان ٤/٢٢٧.

٤. التبيان ٤/٢٢٧.

﴿ مَا ﴾ نافية تعمل عمل «ليس».

﴿ أَنَا ﴾ اسم ﴿ مَا ﴾ ، والضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ .

﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ حَفِظْ ﴾ .

﴿ بِ ﴾ حرف جر زائد لتأكيد النفي .

﴿ حَفِظْ ﴾ خبر ﴿ مَا ﴾ مجرور لفظاً، منصوب محلاً . صفة مشبهة .

الحفيظ: الحارس والرقيب، يعني: أنا ناصح لكم ولست برقيب وحارس عليكم تكويناً بالنسبة إلى أعمالكم بل أنتم مختارون في عقائدكم وأعمالكم وتجزون عليهما والله العالم.

﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

رُدُّ على مقالة مشركي قريش حيث «كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ : إنَّ الذي تخبرنا به من الأخبار تتعلَّمه من علماء اليهود وتدرسه»^١ .
 ﴿ وَ ﴾ اعتراضية، وما بعدها جملة معترضة تذييلاً لما قبلها .
 ﴿ كَذَلِكَ ﴾ مبتدأ . إشارة إلى التصريف المأخوذ من ﴿ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ . أي: على هذا المثال .

﴿ نُصَرِّفُ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» . «التصريف: هو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفائدة»^٢ .
 ﴿ الْآيَاتِ ﴾ مفعول به، إشارة إلى القرآن الكريم . ﴿ وَ ﴾ عاطفة .

١ . تفسير القمي ١ / ٣١٣ .

٢ . قاله الرماني كما في التبيان ٤ / ٢٢٩ ، ومن دون انتساب في الميزان ٧ / ٣٠٣ ومواهب الرحمن ١٤ / ٢٣٧ .

﴿إِ﴾ حرف جر، للتعليل، مستعارة لمعنى العاقبة والصيرورة. كقوله تعالى:
﴿فَالْتَقَطَهُ آءِالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^١.

﴿يَقُولُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿إِ﴾ وفاعله.

﴿دَرَسَتْ﴾ فعل مضارع وفاعله. مقول القول. الدراسة: القراءة بتمهّل للحفظ
أو الفهم، أو التعلّم والتعليم من طريقها^٢.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِ﴾ للتعليل.

﴿نُبَيِّنُهُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به.
والضمير المفعولي عائدٌ إلى القرآن الكريم لأنه مجمع الآيات.

﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُبَيِّنُهُ﴾. والمراد بهم الذين آمنوا واهتدوا، كما
مرّ في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^٣.
﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، صفة لـ ﴿قَوْمٍ﴾.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦﴾

استئناف في خطاب رسول الله ﷺ وأمره «باتباع ما أوحى إليه من ربه من
أمر التوحيد وأصول شرائع الدين من غير أن يصدّه ما يشاهده من استكبار المشركين
عن الخضوع لكلمة الحقّ والإعراض عن دعوة الدين»^٤.

﴿اتَّبِعْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للنبي ﷺ. «والاتباع

١. سورة القصص / ٨.

٢. والضمير يرجع إلى القراءة.

٣. سورة الأنعام / ٩٧.

٤. الميزان ٧ / ٣١٢.

هو أن ينصرف الثاني بتصريف الأوّل، والنبى ﷺ كان يتصرف في الدين بتصريف الوحي فذلك كان متبعاً، وكذلك كلّ متدبر بتدبير غيره فهو متبع له^١.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مفعول به.

﴿ أُوحِيَ ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

«الإيحاء: هو القاء المعنى إلى النفس من جهة يخفى»^٢.

﴿ إِلَيْكَ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أُوحِيَ ﴾.

﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوفة من الاسم

الموصول ﴿ مَا ﴾ تقديره: حال كونه ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾. ومشعر بمزيد الاختصاص وتلويح إلى شمول العناية الربانية الخاصة.

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ جملة اعتراضية، وصف لـ ﴿ رَبِّكَ ﴾ وتمهيداً لما يأتي من الأمر

بالأعراض وبيان لأنّ الأعراض عن المشركين لا يدلّ على صحة معتقدهم في الشرك.

﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ أَعْرَضَ ﴾ معطوف على ﴿ اتَّبَعَ ﴾، والمراد بالأعراض يعني الرسول ﷺ

يشتغل بأمره ولا يلتفت إليهم ولا يشتغل بهم، «وأصل الإعراض هو الانصراف

بالوجه إلى جهة العرض»^٣. «لأنّ الحقّ هو الذي يعلو مهما فعل المبطلون»^٤.

﴿ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَعْرَضَ ﴾.

١. التبيان ٤/ ٢٣٠.

٢. التبيان ٤/ ٢٣٠.

٣. التبيان ٤/ ٢٣٠.

٤. مواهب الرحمن ١٤/ ٢٤٠.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا^ط وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا^ط وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٧﴾

سنة الله أن يكون الإنسان مختاراً في حياته بالنسبة إلى اعتقاداته وأعماله، ولو أراد الله بالإرادة التكوينية لا يبقى على وجه الأرض مشرك وكلهم آمنوا برّبهم ولكنها لم تتعلق بالإيمان والصلاح، والإرادة التشريعية تتعلق بهما وهي لا تتعلق بشيء إلا مع الاختيار.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿شَاءَ﴾ فعل ماضٍ، معطوف على ﴿أَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^١. فعل الشرط.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿أَشْرَكُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، جواب الشرط. والمشركون حيث «استكبروا في الأرض واستعلوا على الله ومكروا به وقد أهلكوا بذلك أنفسهم فردَّ الله مكرهم إليهم وحرّمهم التوفيق للإيمان والاهتداء»^٢ و «السنة في نظام التشريع والهداية هي سنة الأسباب فمن استرحم الله رحمه ومن أعرض عن رحمته حرّمه، والهداية بمعنى إراءة الطريق تعم الجميع فمن تعرض لهذه النفحة الإلهية ولم يقطع طريق وصولها إليه بالفسق والكفر والعناد شملته وأحيت به بأطيب الحياة، ومن اتبع هواه وعاند الحق واستعلى على الله وأخذ يمكر بالله، ويستهزئ بآياته حرّمه الله السعادة وأنزل الله عليه الشقوة وأضلّه على علم وطبع عليه بالكفر فلا ينجو أبداً»^٣.

وحاصل المعنى: «اعرض عنهم ولا يأخذك من جهة شركهم وجد ولا حزن فإن الله قادر أن يشاء منهم الإيمان فيؤمنوا كما شاء ذلك من المؤمنين فأمنوا. على أنك

١. سورة الأنعام/١٠٦.

٢. الميزان ٧/٣١٢.

٣. الميزان ٧/٣١٣.

لست بمسؤول عن أمرهم لا تكويناً ولا غيره فلتطب نفسك»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿جَعَلْنَاكَ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أول.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَفِيفًا﴾.

﴿حَفِيفًا﴾ مفعول به ثان. الحفيظ: القيم الرقيب، والقائم على إدارة شؤون

وجود شخص كالحياة والنشوء والرزق ونحوها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية بمنزلة «ليس». ﴿أَنْتَ﴾ اسم ﴿مَا﴾.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَكَيْلٍ﴾. ﴿بِ﴾ حرف جر زائد للتأكيد.

﴿وَكَيْلٍ﴾ خبر ﴿مَا﴾. الوكيل: القائم على إدارة أعمال شخص ليجلب إليه المنافع

ويدفع عنه المضار المتوجهة إلى الموكل. «والفرق بين الحفيظ والوكيل هو أنّ الحفيظ

يحفظهم من أن يزلوا بمنعه لهم، والوكيل القيم بأمرهم في مصالحهم لدينهم أو

ديناهم حتى يلطف لهم في تناول ما يجب عليهم، فليس بحفيظ في ذلك ولا وكيل في

هذا، فذلك قال تعالى: أنه لم يجعل نبيّه حفيظاً ولا جعله وكيلاً عليهم، بل الله تعالى هو

الرقيب الحافظ عليهم والمتكفل بأرزاقهم. وإنما النبي ﷺ مبلغٌ منذرٌ ومخوفٌ»^٢.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ

زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾



حكم تشريعي اجتماعي، يتضمّن النهي عن سبّ المعتقدات الدينية ورموز

عقائد الناس، وقد اقتصر فيه على سبّ المعبودات التي يدعونها من دون الله ولكن

١. الميزان ٧/ ٣١٣.

٢. التبيان ٤/ ٢٣١.

الحكم عامّ يشمل غيرها... ١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿أَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^٢.

﴿لَا تَسُبُّوا﴾ فعل نهي وفاعله. «المراد بالسبّ هو الشتم، بلا فرق بين أن يكون خبراً أو إنشاءً، وبين أن يكون المسبوب حاضراً أو غائباً، وبين أن يكون السابّ قاصداً الإهانة والتنقيص والتحقير أو لم يقصد. فعلى هذا النسبة بين السب والغيبة وقصد الإهانة والإستخفاف عموم من وجه... وحيث أنّ المرجع فيه هو العرف لا محالة يختلف السب باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنة، فربما يكون لفظ سباً عند قوم ولا يكون سباً عند آخرين، فيلحق كلاً من المصاديق حكمه»^٣.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به. ﴿يَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بصفة محذوفة من مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾.

﴿فَ﴾ للسببية.

﴿يَسُبُّوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿فَ﴾ وفاعله.

﴿اللَّهِ﴾ مفعول به.

﴿عَدُوًّا﴾ مفعول من أجله لـ ﴿يَسُبُّوا﴾، أو مفعول مطلق بياناً لنوعه، ﴿عَدُوًّا﴾: ظلماً وعدواناً.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بحال من الضمير الفاعلي في

﴿يَسُبُّوا﴾. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: عن جهالة.

﴿كَ﴾ بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف.

١. راجع مواهب الرحمن ٢٨٦/١٤.

٢. سورة الأنعام/١٠٦.

٣. الآراء الفقهية قسم المكاسب المحرمة ١٨٨/٢ للمؤلف.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، المشار إليه هو التزئين الآتي.

﴿زَيْنًا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والمراد بالتزئين هنا أن كل فردٍ وأمة يرى أعمالهم صحيحة ومحبوبة لهم وهذه الرؤية جبلي الإنسان ومنشأه حب الذات الغريزي فلذا نسبه الله إلى نفسه.

﴿لِكُلِّ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿زَيْنًا﴾. ﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه.

﴿عَمَلُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي: كتزئيننا لهؤلاء سوء عملهم ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾.

و «يفيد عموم النهي لكل قول سيء يؤدي إلى ذكر شيء من المقدسات الدينية بالسوء بأي وجه أدى»^١.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي هنا.

﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه، خبر مقدم.

﴿مَرَّجِعُهُمْ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. ﴿فَ﴾ للتفريع.

﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾ ومفعول به. الإنباء: الإعلام.

﴿بِمَا﴾ جارٍ ومجروره ﴿مَا﴾ موصولة متعلق بـ ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾.

الروايات

معتبرة مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنه سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء! فقال:

كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم، لكيلا يسبّ الكفّار إله المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون.

فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

الآية. ١.

حسنة حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام، قال: في التّوراة مكتوب - فيما ناجى الله ﷻ به موسى بن عمران عليه السلام - : يا موسى، اكنم مكتوم سرّي في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي، ولا تستسبب^٢ لي عندهم بإظهار مكتوم سرّي: فتشرك عدوك وعدوي في سبي^٣.

معتبرة إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... وإياكم وسبّ أعداء الله حيث يسمعونكم، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقد ينبغي لكم أن تعلموا حدّ سبّهم لله كيف هو، إنّه من سبّ أولياء الله فقد انتهك سبّ الله، ومن أظلم عند الله ممن استسبب لله ولأوليائه، فمهلاً مهلاً، فاتبعوا أمر الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. ٤

عن عمر الطيالسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قال: فقال: يا عمر، هل رأيت أحداً يسبّ الله؟ قال: فقلت: جعلني الله فداك،

فكيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله. ٥

١. تفسير القمي ١/ ٣١٤، ح ٢٤.

٢. ولا تستسب له، أي لا تُعرضه للسبّ وتجرّه إليه. والمراد: لا تطلب سبي، فإنّ من لم يفهم السرّ يسبّ من تكلم به. فتشرك، أي تكون شريكاً له؛ لأنك أنت الباعث له عليه. راجع: الوافي ٤/ ٤٥٨؛ النهاية ٢/ ٣٣٠ (سبب).

٣. الكافي ٣/ ٣٠٣، ح ٣ (١١٧/٢).

٤. الكافي ١٥/ ٢٢، ح ١ (٧/٨).

٥. تفسير العياشي ٢/ ١١٤، ح ٨٠.

خبر إبراهيم بن أبي محمود عن الرضا عليه السلام: ... يابن أبي محمود، إن مخالفتنا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوه إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا^١ وأسائنا وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^٢.

إن جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا يسبون أهل الشام في حرب صفين وهم: حجر بن عدي وعمرو بن الحُمق وأمثالهم ثم نهاهم الأمير عليه السلام من السب بها سأذكره ثم قالوا: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك وتؤادب بأدبك^٣.

أمير المؤمنين عليه السلام حين سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين. قال لهم: إنِّي أكره أن تكونوا سبّيين ولكنكم لو وصفتهم أفعالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دمائنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به^٤.

قد ذكرت الروايات الواردة في النهي عن السب في كتابي: موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام

١. في نسخة: يسبون، وفي نسخة: بكتونا، وفي نسخة: يكتونا، وفي حاشية نسخة في نسخة: سبوننا،

بدل: بأسمائهم ثلبونا

وبكته تبيكيتاً: إذا قرعه بالعدل تقريباً. تهذيب اللغة ١٠/١٥٣ - بكت

والثلب: شدة اللوم والأخذ باللسان، تهذيب اللغة ١٥/٩١.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٤١٦، ح ٦٢.

٣. كما في وقعة صفين / ١٠٢ لنصر بن مزاحم ونقلت عنه في الموسوعة ٥/٢٧، ح ١٧.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٦ ونقلت عنه في الموسوعة ٥/٢٧، ح ١٧.

٥. الآراء الفقهية ٢/١٩٤.

٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥/٢٣.

٤٤٦ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السابع

وألف حديث في المؤمن^١، وهكذا بحث عن حرمة السبِّ ومستثباته في كتابي الآراء الفقهية^٢ - قسم المكاسب المحرمة - فراجع.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣

«أيد الله سبحانه رسوله محمداً ﷺ بالأدلة الكافية على نبوته بما لا يدع مجالاً للشك عند من يطلب الحق لوجه الحق، ولكن مشركي قريش اقترحوا على محمد ﷺ معجزات خاصة، وجعلوها شرطاً لإيمانهم به، وأقسموا أغلظ الإيمان أن يصدقوا محمداً إذا استجاب لاقتراحهم»^٣.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَظْفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^٤.

﴿أَقْسَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي عائد إلى القوم في قوله ﷻ:

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾^٥ وكذلك الضمائر التي جاءت بعده.

﴿بِاللَّهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلقٌ بـ ﴿أَقْسَمُوا﴾.

﴿جَهْدَ﴾ مصدر، مفعول مطلق لـ ﴿أَقْسَمُوا﴾ لأنه مضاف إلى الأيمان.

الجهد: المشقة والطاقة والمراد به المبالغة في القسم والتأكيد عليه، أي أغلظ

الأيمان وأشدّها.

﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. الأيمان: جمع اليمين أي القسم،

١. ألف حديث في المؤمن / ٢٠٣.

٢. الآراء الفقهية ٢ / (١٨٥-٢٠٢).

٣. التفسير الكاشف / ١٠٦.

٤. سورة الأنعام / ١٠٦.

٥. سورة الأنعام / ٦٦.

والضمير يرجع إلى القوم كما مرّ.

﴿لَ﴾ موطئة للقسم. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط.

﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم، فعل الشرط.

﴿آيَةٌ﴾ فاعل، والمراد بها المعجزة المقترحة لا آيات القرآن الكريم وغيرها من

المعجز التي بها رسول الله ﷺ.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب القسم.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب القسم بدلاً من جواب الشرط

وفاعله «واو» الجماعة محذوف لالتقاء الساكنين مع نون التأكيد الثقيلة.

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿آيَةٌ﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم وإعراضاً

عنهم. وما بعده مقول القول.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، ردّ على المشركين لأنهم يظنون أنّ الآيات في مقدور

النبي ﷺ.

﴿الآيَاتُ﴾ مبتدأ، والمراد بها هنا المعجزات والخوارق العادات.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر محذوف تقديره: استقرت، و «كلمة ﴿عِنْدَ﴾

هنا مجاز. استعمل اسم المكان الشديد القرب في معنى الاستبداد والاستثثار مجازاً

مرسلاً، لأنّ الاستثثار من لوازم حالة المكان الشديد القرب عرفاً، كقوله تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ١/٢٠١.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. والمعني: ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله: هو الذي يملك الآيات

١. سورة الأنعام / ٥٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٦٨.

والمعجزات «ويحيط بها وليس إليّ من أمرها شيءٌ حتّى أُجيبكم إليها من تلقاء نفسي»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية، وما بعدها التفتات من المشركين إلى المؤمنين.

﴿مَا﴾ استفهامية، مبتدأ.

﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، والضمير

المفعولي يرجع إلى المؤمنين. «والإشعار: الإعلام بمعلوم من شأنه أن يخفى ويدق»^٢.

﴿أَنَّهُآ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه وقيل: هو هنا بمعنى «لعل». «وهذا معنى

شاذ لا يحمل على مثله كلام الله لو ثبت لغة»^٣. والضمير يرجع إلى ﴿آيَةٍ﴾.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، أداة شرط غير جازمة.

﴿جَاءَتْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي» عائد إلى ﴿آيَةٍ﴾، في محل جرّ

بالإضافة لوقوعها بعد الظرف.

﴿لَا﴾ نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، جواب الشرط.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهِمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

تعليل لما ورد من عدم إيمان المشركين.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٤. ويجوز أن

تكون مستأنفة.

١. الميزان ٣١٩/٧.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٦٩/٦.

٣. الميزان ٣١٩/٧.

٤. سورة الأنعام/١٠٩.

﴿تُقَلِّبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». «التقليب: مصدر قلب الدال على شدة قلب الشيء عن حاله الأصلية»^١.

﴿أَفْئِدَتِهِمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الذين ﴿أَفْسَمُوا بِاللَّهِ...﴾ في الآية السابقة. والمراد بالفؤاد: محل إدراك الأدمي.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ معطوفة على ﴿أَفْئِدَتِهِمْ﴾. والبصر: العين.

﴿كَ﴾ حرف جرّ للتشبيه أو للتعليل. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُؤْمِنُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. ﴿مَا﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر

في محل جر تقديره: مثل ما لا يؤمنون، أو فلا يؤمنون.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾. والضمير يرجع إلى القرآن الكريم

أو إلى صاحبه والمرسل به وهو محمد رسول الله ﷺ.

﴿أَوَّلَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾.

﴿مَرَّةٍ﴾ مضاف إليه. أي «الدعوة الأولى قبل نزول الآيات قبل ما يتصور له من

المرّة الثانية التي هي الدعوة مع نزول الآيات.

والمعنى أنهم لا يؤمنون لو نزلت عليهم الآيات، وذلك أنا نقلب أفئدتهم فلا

يعقلون بها كما ينبغي أن يعقلوه، وأبصارهم فلا يبصرون بها ما من حقهم أن يبصروه

فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالقرآن أوّل مرّة من الدعوة قبل نزول هذه الآيات

المفروضة»^٢. أو أنّ المراد بها عالم الذر والميثاق كما ورد في الروايات.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نَدَّرَهُمْ﴾ معطوف على ﴿تُقَلِّبُ﴾ والضمير المتصل مفعول به. أي ندعهم

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦/ ٢٧٣.

٢. الميزان ٧/ ٣٢٠.

وشأنهم.

﴿ فِي طُعَيْنِهِمْ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَعْمَهُونَ﴾. أي في كفرهم
بآيات الله.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. حال من الضمير المفعولي في ﴿نَذَرُهُمْ﴾.
العمه: التردد والحيرة، العمه هنا ناش عن الطغيان والكفر.

الروايات

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدِيَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾
يقول: نُكْسُ قلوبهم، فيكون أسفل قلوبهم أعلاها، ونُعْمِي أبصارهم، فلا يبصرون
الهدى. ١.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إِنَّ أَوَّلَ مَا تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ: الْجِهَادُ
بَأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ الْجِهَادُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ الْجِهَادُ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبَهُ مَعْرُوفًا وَلَمْ يَنْكُرْ
مَنْكَرًا نَكَسَ قَلْبَهُ، فَجَعَلَ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ، فَلَا يَقْبَلُ خَيْرًا أَبَدًا! ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ
مَرَّةٍ﴾ يعني في الذرِّ والميثاق ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يضلُّون. ٢.
عن زرارة ومُحْران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، عن قوله
الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدِيَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ إلى آخر الآية: أما قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ
مَرَّةٍ﴾ فإنه حين أخذ عليهم الميثاق. ٣.

١. تفسير القمي ١/٣١٥، ح ٢٥.

٢. تفسير القمي ١/٣١٥، ح ٢٦.

٣. تفسير العياشي ٢/١١٤، ح ٨١.

إلى هنا تم الجزء السابع من أجود البيان في تفسير القرآن بيد مؤلفه الفاني العبد
هادي النجفي في صباح يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول ١٤٤٠
بمدينة إصفهان صانها الله تعالى عن الحدثان.
والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآله الطيبين
الطاهرين المعصومين.^١

١. تمّ تصحيح هذه الأوراق في التاسع من شهر الله ١٤٤٠ = ٢٥ / ٢ / ١٣٩٨ ش في مكتبة والدي عليه السلام
وجوار قبره وفي أيام مضي ١٨ عاماً عن ارتحاله ولذا أهديت ثواب هذا الجزء إلى روحه الطاهر
والحمد لله رب العالمين.

فهرس

٢٩	الروايات.....	تتمة سورة المائدة
٣٠	الآية (٩٠).....	الآية (٨٢)..... ٣
٣٣	الروايات.....	لطيفة: مَنْ هم أقرب مودة للمؤمنين .. ٥
٣٦	الآية (٩١).....	شأن نزولها ٧
٣٨	شأن نزولها.....	رواية..... ١٠
٣٩	الآية (٩٢).....	الآية (٨٣)..... ١١
٤٢	تنبيه.....	الآية (٨٤)..... ١٤
٤٣	رواية.....	الآية (٨٥)..... ١٦
٤٣	الآية (٩٣).....	الآية (٨٦)..... ١٧
٤٦	الروايات.....	الآية (٨٧)..... ١٨
٤٧	الآية (٩٤).....	الروايات..... ٢٠
٥٠	شأن نزولها.....	الآية (٨٨)..... ٢٣
٥٠	الروايات.....	شأن نزولها وسابقتها..... ٢٤
٥١	الآية (٩٥).....	رواية..... ٢٤
٥٥	الآية (٩٦).....	الآية (٨٩)..... ٢٥

١٠١ الآية (١٠٩)	٥٧ روايتان
١٠٥ الروايات	٥٨ الآية (٩٧)
١٠٨ الآية (١١٠)	٦١ الروايات
١١٢ روايتان	٦٢ الآية (٩٨)
١١٣ الآية (١١١)	٦٤ رواية
١١٤ روايتان	٦٤ الآية (٩٩)
١١٥ الآية (١١٢)	٦٦ الآية (١٠٠)
١١٧ رواية	٦٨ الآية (١٠١)
١١٧ الآية (١١٣)	٧٠ الآية (١٠٢)
١١٨ تنبيه	٧١ الروايات
١٢٠ الآية (١١٤)	٧٢ الآية (١٠٣)
١٢٣ الروايات	٧٦ روايتان
١٢٣ الآية (١١٥)	٧٦ الآية (١٠٤)
١٢٦ رواية	٧٩ الآية (١٠٥)
١٢٦ الآية (١١٦)	٨٢ الروايات
١٣٠ الروايات	٨٣ الآية (١٠٦)
١٣٢ الآية (١١٧)	٨٧ تنبيه
١٣٤ الآية (١١٨)	٨٩ شأنه نزولها
١٣٥ الآية (١١٩)	٩٠ الروايات
١٣٧ رواية	٩١ الآية (١٠٧)
١٤٠ الآية (١٢٠)	٩٤ روايتان
	سُورَةُ الْأَنْعَامِ	٩٦ الآية (١٠٨)
١٤٥ فضل سورة الأنعام		بعض أهم الأحكام المستخرجة من
١٤٨ غرض السورة	٩٨ الآيات الثلاث

١٨٤ الآية (١٧)	١٤٩ وجه التسمية
١٨٦ الآية (١٨)	١٥٠ الآية (١)
١٨٨ الآية (١٩)	١٥٢ روايتان
١٩١ شأن نزولها	١٥٢ الآية (٢)
١٩١ الروايات	١٥٤ الروايات
١٩٢ الآية (٢٠)	١٥٧ الآية (٣)
١٩٤ رواية	١٥٨ رواية
١٩٥ الآية (٢١)	١٥٩ الآية (٤)
١٩٨ الآية (٢٢)	١٦٠ الآية (٥)
٢٠٠ الآية (٢٣)	١٦٢ الآية (٦)
٢٠١ الروايات	١٦٤ الآية (٧)
٢٠٢ الآية (٢٤)	١٦٦ الآية (٨)
٢٠٣ الآية (٢٥)	١٦٨ تنبيهان
٢٠٦ الآية (٢٦)	١٦٩ الآية (٩)
٢٠٩ الآية (٢٧)	١٧١ تنبيه
٢١١ شأن نزولها	١٧٢ رواية
٢١١ الآية (٢٨)	١٧٢ الآية (١٠)
٢١٣ سؤال وجواب	١٧٤ الآية (١١)
٢١٣ دراية	١٧٥ الآية (١٢)
٢١٤ روايتان	١٧٨ الآية (١٣)
٢١٥ الآية (٢٩)	١٧٩ الآية (١٤)
٢١٧ الآية (٣٠)	١٨١ تنبيهان
٢١٩ الآية (٣١)	١٨١ الآية (١٥)
٢٢١ روايتان	١٨٣ الآية (١٦)

٢٦٢ الروايات	٢٢١ الآية (٣٢)
٢٦٤ الآية (٤٦)	٢٢٤ رواية
٢٦٧ روايتان	٢٢٤ الآية (٣٣)
٢٦٨ الآية (٤٧)	٢٢٦ الروايات
٢٧٠ شأن نزولها	٢٢٧ الآية (٣٤)
٢٧٠ الآية (٤٨)	٢٣٠ روايتان
٢٧٢ الآية (٤٩)	٢٣٢ الآية (٣٥)
٢٧٣ الآية (٥٠)	٢٣٥ شأن نزولها
٢٧٧ الآية (٥١)	٢٣٦ الآية (٣٦)
٢٨٠ رواية	٢٣٨ الآية (٣٧)
٢٨١ الآية (٥٢)	٢٤٠ رواية
٢٨٤ شأن نزولها	٢٤١ الآية (٣٨)
٢٨٥ الآية (٥٣)	٢٤٣ رواية
٢٨٧ تنبيه	٢٤٤ الآية (٣٩)
٢٨٨ رواية	٢٤٥ روايتان
٢٨٨ الآية (٥٤)	٢٤٦ الآية (٤٠)
٢٩١ روايتان	٢٤٨ الآية (٤١)
٢٩١ الآية (٥٥)	٢٥٠ رواية
٢٩٣ الآية (٥٦)	٢٥١ الآية (٤٢)
٢٩٥ الآية (٥٧)	٢٥٣ رواية
٢٩٨ رواية	٢٥٤ الآية (٤٣)
٢٩٨ الآية (٥٨)	٢٥٦ الآية (٤٤)
٣٠٠ الآية (٥٩)	٢٥٩ الروايات
٣٠٢ الروايات	٢٦٠ الآية (٤٥)

٣٤٧ الآية (٧٦)	٣٠٤ الآية (٦٠)
٣٥٠ الروايات	٣٠٦ رواية
٣٥١ الآية (٧٧)	٣٠٧ الآية (٦١)
٣٥٣ رواية	٣٠٩ الآية (٦٢)
٣٥٣ الآية (٧٨)	٣١٠ الروايات
٣٥٥ الآية (٧٩)	٣١١ الآية (٦٣)
٣٥٧ رواية	٣١٣ الآية (٦٤)
٣٥٨ الآية (٨٠)	٣١٤ الآية (٦٥)
٣٦١ الآية (٨١)	٣١٧ الروايات
٣٦٣ تنبيه	٣١٨ الآية (٦٦)
٣٦٣ الآية (٨٢)	٣٢٠ الآية (٦٧)
٣٦٦ الروايات	٣٢٠ الآية (٦٨)
٣٦٩ الآية (٨٣)	٣٢٢ الروايات
٣٧١ الآية (٨٤)	٣٢٥ الآية (٦٩)
٣٧٣ رواية	٣٢٦ رواية
٣٧٣ الآية (٨٥)	٣٢٧ الآية (٧٠)
٣٧٤ الروايات	٣٢٩ الآية (٧١)
٣٧٧ الآية (٨٦)	٣٣٢ الآية (٧٢)
٣٧٧ الآية (٨٧)	٣٣٣ الآية (٧٣)
٣٧٨ الآية (٨٨)	٣٣٦ رواية
٣٨١ الآية (٨٩)	٣٣٦ الآية (٧٤)
٣٨٣ تطبيق	٣٣٨ الروايات
٣٨٤ الروايات	٣٤١ الآية (٧٥)
٣٨٥ الآية (٩٠)	٣٤٥ الروايات

٤٥٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السابع

٤١٥	الروايات	٣٨٧	رواية
٤١٨	الآية (٩٩)	٣٨٨	الآية (٩١)
٤٢٢	الآية (١٠٠)	٣٩١	الروايات
٤٢٥	الآية (١٠١)	٣٩٢	الآية (٩٢)
٤٢٧	رواية	٣٩٤	الروايات
٤٢٨	الآية (١٠٢)	٣٩٦	الآية (٩٣)
٤٣٠	الآية (١٠٣)	٤٠٠	الروايات
٤٣٢	الروايات	٤٠٢	الآية (٩٤)
٤٣٥	الآية (١٠٤)	٤٠٤	روايتان
٤٣٧	الآية (١٠٥)	٤٠٥	الآية (٩٥)
٤٣٨	الآية (١٠٦)	٤٠٦	الروايات
٤٤٠	الآية (١٠٧)	٤٠٨	الآية (٩٦)
٤٤١	الآية (١٠٨)	٤٠٩	الروايات
٤٤٣	الروايات	٤١٠	الآية (٩٧)
٤٤٦	الآية (١٠٩)	٤١١	تأويل
٤٤٨	الآية (١١٠)	٤١١	روايتان
٤٥٠	الروايات	٤١٢	الآية (٩٨)